الكبريت الأحمر
في بيان علوم الشيخ الأكبر

تأليف

الإمام أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي التلمساني
الشافعي المصري المعروف بالشعراني
المتوفى سنة ٩٧٣ هـ

ضبطه وصححه
عبد الله محمود محمد عمر

منشورات
محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

Bibliotheca Alexandrina
0015433

بسم الله الرحمٰن الرحيم

ترجمة المصنف[1]

هو أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن زرقا ابن موسى ابن السطلان أحمد التلمساني الشافعي المصري، المعروف بالشعراني. محدّث، فقيه، صوفي. توفي في جمادى الأولى من سنة ٩٧٣ هـ.

له من المصنفات:

- الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية.
- الأخلاق الزكية والعلوم اللدنية.
- الأخلاق المتبولية المفاضة من الحضرة المحمدية.
- إرشاد المغفلين من الفقهاء والفقراء إلى شروط صحبة الأمراء.
- الأنوار القدسية في معرفة آداب العبودية.
- البحر المورود في المواثيق والعهود.
- البروق الخواطف.
- تنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء.
- تنبيه المغترين في القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر.
- الجواهر والدرر.
- الجوهر المصون والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم.
- حقوق أخوّة الإسلام.
- درر الغواص في فتاوى سيدي علي الخواص.
- الدرر المنثورة في بيان زبد العلوم المشهورة.
- ردع الفقرا عن دعوى الولاية الكبرى.
- الدرر واللمع في الصدق والورع.

---

(١) هدية العارفين (١/ ٦٤١، ٦٤٢).

- السراج المنير في غرائب أحاديث البشير النذير.
- سرّ المسير والتزود ليوم المصير.
- السرّ المرقوم فيما اختص به أهل الله من العلوم.
- شرح جمع الجوامع للسبكي في الفروع.
- الطراز الأبهج على خطبة المنهج.
- طهارة الجسم والفؤاد من سوء الظن بالله تعالى والعباد.
- علامات الخذلان على من لم يعمل بالقرآن.
- الفتح المبين في ذكر جملة من أسرار الدين.
- فتح الوهاب في فضائل الآل والأصحاب.
- فرائد القلائد في علم العقائد.
- القواعد الكشفية الموضحات لمعاني صفات الإلٰهية.
- القول المبين في بيان آداب الطالبين.
- القول المبين في الردّ على الشيخ محيي الدين.
- الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر؛ وهو الكتاب الذي بين أيدينا.
- كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان.
- كشف الغمة عن جميع الأمة، في الحديث.
- لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله سبحانه وتعالى على الإطلاق.
- لواقح الأنوار في طبقات السادة الأخيار.
- لواقح الأنوار القدسية المنتخب من الفتوحات المكية.
- المآثر والمفاخر في علماء القرن العاشر.
- مختصر الألفية لابن مالك في النحو.
- مختصر المدونة في الفروع المالكية.
- مشارق الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية.
- مقتحم الأكباد في مواد الاجتهاد.

- المقدمة النحوية في علم العربية.
- منع الموانع.
- المنهج المبين في أخلاق العارفين.
- منهج الصدق والتحقيق في تفليس غالب المدعين للطريق.
- المنهج المبين في بيان أدلة الأئمة المجتهدين.
- الميزان الكبرى الشعرانية المدخلة لجميع أقوال الأئمة المجتهدين ومقلديهم في الشريعة المحمدية.
- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر.
- النور الفارق بين المريد الصادق وغير الصادق.
- هادي الحائرين إلى رسوم أخلاق العارفين.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[مقدّمة المؤلف]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والتسليم على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبهم أجمعين.

وبعد فهذا كتاب نفيس انتخبته من كتابي المسمى بـ«لواقح الأنوار القدسية» الذي كنت اختصرته من «الفتوحات المكية» خاصٌ فَهْمُهُ بالعلماء الأكابر وليس لغيرهم منه إلا الظاهر، قد اشتمل على علوم وأسرار ومعارف لا يكاد يخطر علمها على قلب الناظر فيه قبل رؤيتها فيه، وقد سميته بـ«الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر» ومرادي بالكبريت الأحمر إكسير الذهب ومرادي بالشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه. أعني أن مرتبة علوم هذا الكتاب بالنسبة لغيره من كلام الصوفية كمرتبة إكسير الذهب بالنسبة لمطلق الذهب كما سنشير إلى ذلك بما نقلناه عن الشيخ رحمه الله في أبواب فتوحاته، و«الكبريت الأحمر» يتحدث به ولا يرى لعزته.

واعلم يا أخي أنني قد طالعت من كتب القوم ما لا أحصيه وما وجدت كتاباً أجمع لكلام أهل الطريق من كتاب «الفتوحات المكية» لا سيما ما تكلم فيه من أسرار الشريعة وبيان منازع المجتهدين التي استنبطوا منها أقوالهم، فإن نظر فيه مجتهدٌ في الشريعة ازداد علماً إلى علمه واطلع على أسرارٍ في وجوه الاستنباط وعلى تعليلاتٍ صحيحة لم تكن عنده، وإن نظر فيه مفسرٌ للقرآن فكذلك أو شارحٌ للأحاديث النبوية فكذلك أو متكلمٌ فكذلك أو محدث فكذلك أو لغويٌ فكذلك أو مقرئ فكذلك أو معبرٌ للمنامات فكذلك أو عالمٌ بالطبيعة وصنعة الطب فكذلك أو عالم بالهندسة فكذلك أو نَحْوِيٌّ فكذلك أو منطقيٌ فكذلك أو صوفيٌ فكذلك أو عالمٌ بعلم حضرات الأسماء الإلٰهية فكذلك أو عالم بعلم الحرف فكذلك.

فهو كتاب يفيد أصحاب هذه العلوم وغيرها علوماً لم تخطر لهم قطّ

على بال. وقد أشرنا لنحو ثلاثة آلاف علم منها في كتابنا المسمى بـ«تنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علم علوم الأولياء» فإن علوم الشيخ كلها مبنية على الكشف والتعريف ومطهرة من الشك والتحريف كما أشار رضي الله تعالى عنه إلى ذلك في الباب السابع والستين وثلثمائة من «الفتوحات» بقوله: «وليس عندنا بحمد الله تعالى تقليد إلا للشارع ﷺ» وبقوله في الكلام على الأذان: «واعلم أني لم أقرر بحمد الله تعالى في كتابي هذا قط أمراً غير مشروع وما خرجت عن الكتاب والسنة في شيء منه». وبقوله في الباب الخامس والستين وثلثمائة: «واعلم أن جميع ما أتكلم به في مجالسي وتصانيفي إنما هو من حضرة القرآن وخزائنه فإني أعطيت مفاتيح الفهم فيه والإمداد منه، كل ذلك حتى لا أخرج عن مجالسة الحق تعالى ومناجاته بكلامه وبقوله في باب الأسرار والنفث في الروع من وحي القدوس لكن ما هو مثل وحي الكلام ولا وحي الإشارة والعبارة، فَفَرِّقْ يا أخي بين وحي الكلام ووحي الإلهام تكن من أهل ذي الجلال والإكرام». وبقوله في الباب السادس والستين وثلثمائة: «واعلم أن جميع ما أكتبه في تأليفي ليس هو عن روية وفكر، وإنما هو عن نفث في رُوعي على يد ملك الإلهام» وبقوله في الباب الثالث والسبعين وثلثمائة: «جميع ما كتبته وأكتبه في هذا الكتاب إنما هو من إملاءٍ إلٰهي وإلقاء رباني أو نفث روحاني في روح كياني كل ذلك بحكم الإرث للأنبياء والتبعية لهم لا بحكم الاستقلال». وبقوله في الباب التاسع والثمانين من «الفتوحات» والباب الثامن والأربعين وثلثمائة منها: «واعلم أن ترتيب أبواب «الفتوحات» لم يكن عن اختيار ولا عن نظر فكري وإنما الحق تعالى يملي لنا على لسان ملك الإلهام جميع ما نسطره وقد نذكر كلاماً بين كلامين لا تعلق له بما قبله ولا بما بعده وذلك شبيه بقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨] بين آيات طلاق ونكاح وعدة وفاة تتقدمها وتتأخرها». وبقوله في الباب الثاني من «الفتوحات»: «اعلم أن العارفين إنما كانوا لا يتقيدون بالكلام على ما بوبوا عليه فقط لأن قلوبهم عاكفة على باب الحضرة الإلٰهية مراقبة لما يبرز منها، فمهما برز لها أمرٌ بادرت لامتثاله وألفته على حسب ما حُدَّ لها فقد تلقى

الشيء إلى ما ليس من جنسه امتثالاً لأمر ربها». وبقوله في الباب السابع والأربعين: «اعلم أن علومنا وعلوم أصحابنا ليست من طريق الفكر، إنما هي من الفيض الإلٰهي» انتهى والله أعلم.

وأنا أسأل الله العظيم كل ناظر في هذا الكتاب أن يصلح ما يراه فيه من الزيغ والتحريف عملاً بقوله ﷺ: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».

إذا علمت ذلك فأقول وبالله التوفيق:

قال الشيخ رحمه الله في الباب الثاني من «الفتوحات» في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩] إن الشعر محل الإجمال، واللغز، والرمز، والتورية أي ما رمزنا لمحمد ﷺ ولا لغزنا ولا خاطبناه بشيء ونحن نريد شيئاً آخر ولا أجملنا له الخطاب بحيث لم يفهمه. وأطال في ذلك؛ وقال فيه: أقل درجات أهل الأدب مع القوم التسليم لهم فيما يقولون وأعلاها القطع بصدقهم وما عدا هذين المقامين فحرمان. وقال فيه: الخلاف لا يصح عندنا ولا في طريقنا لأنّ الكل ينظرون كل شيء بعينه، ومن هنا قالوا الكامل يكنى بأبي العيون.

وقال في قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] أي الأبصار المحجوبة وهو اللطيف الخبير أي لطيف بعباده حيث تجلى لهم على قدر طاقتهم ومضعفهم عن حمل تجلية الأقدس على ما تعطيه الألوهية.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤] اعلم أن رسول الله ﷺ أعطي القرآن مجملاً قبل جبريل من غير تفصيل الآيات والسور فقيل له ولا تعجل بالقرآن الذي عندك قبل جبريل فتلقيه على الأمة مجملاً فلا يفهمه أحد عنك لعدم تفصيله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] أي بتفصيل ما أجمل من المعاني في التوحيد والأحكام لا زدني أحكاماً كما توهمه بعضهم فقد كان ﷺ يقول: «اتركوني ما تركتكم» فاعلم ذلك.

وقال أيضاً في الباب الثاني منها: اعلم يا أخي أنه لو كانت علوم

الوهب نتيجة عن فكر أو نظر لانحصرت في أقرب مدة ولكنها موارد تتولى من الحق على خاطر العبد والحق تعالى وهابٌ على الدوام فياض على الاستمرار والمحل قابل على الدوام فإما يقبل الجهل وإما يقبل العلم بحسب جلاء مرآة قلبه وصدتها وإذا صفا القلب حصل من العلم في اللحظة الواحدة ما لا يقدر على كتابته في أزمنة متطاولة الاتساع ذلك الفلك المعقول وضيق هذا الفلك المحسوس فكيف ينقضي ما لا يتصور له نهاية ولذلك قال الله لمحمدٍ ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] وأطال في ذلك.

وقال في الباب الخامس: اعلم أن آدم عليه السلام حامل للأسماء ومحمد ﷺ حامل لمعاني تلك الأسماء التي حملها آدم وهي المراد بحديث «أوتيت جوامع الكلم».

وقال: من أثنى على نفسه فهو أمكن وأتم ممن أثنى عليه إلا أن يكون المثني هو الله عز وجل كيحيى وعيسى في قول الله في حق يحيى عليه السلام: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ﴾ [مريم: ١٥] وقول عيسى عليه السلام: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ﴾ [مريم: ٣٣] فعلم أن من حصل الذات فالأسماء تحت حكمه وليس كل من حصل الأسماء يكون المسمى محصلاً عنده ولذلك فضلت الصحابة علينا لأنهم حصلوا الذات وحصلنا نحن الاسم ولما راعينا الاسم مراعاتهم الذات ضوعف لنا الأجر. وأيضاً فلحضرة الغيبة التي لم تكن لهم فكان لنا تضعيف على تضعيف فنحن الإخوان وهم الأصحاب وهو ﷺ إلينا بالأشواق وللعامل منا أيضاً أجر خمسين ممن يعمل بعمالهم لكن من أمثالهم لا من أعيانهم فافهم.

وقال في الباب السادس: أكثر العقلاء بل كلهم يقولون عن الجماد أنه لا يعقل فوقفوا عند بصرهم والأمر عندنا ليس كذلك فإذا جاءهم عن نبي أو ولي أن حجراً كلمه مثلاً يقولون خلق الله فيه الحياة في ذلك الوقت؛ والأمر عندنا ليس كذلك بل سر الحياة سار في جميع العالم قد ورد أن كل شيء يسمع صوت المؤذن من رطبٍ ويابسٍ يشهد له ولا يشهد إلا من علم ذلك عن كشف لا عن استنباط عن نظر. وأطال في ذلك.

وقال في الباب السابع: اعلم أن الإنسان آخر جنس موجود من العالم الكبير وآخر صنف من المولدات، قال: وأكمل الله تعالى خلق المولدات من الجمادات والنباتات والحيوانات بعد انتهاء خلق العالم الطبيعي بإحدى وسبعين ألف سنة ثم خلق الله تعالى الدنيا بعد أن انتهى من مدة خلق العالم الطبيعي بأربع وخمسين ألف سنة ثم خلق الآخرة أعني الجنة والنار بعد الدنيا بتسعة آلاف سنة ولهذا سميت آخرة لتأخر خلقها عن خلق الدنيا هذه المدة وسميت الدنيا الأولى لأنها خلقت قبلها، ولم يجعل الله تعالى للجنة والنار أمداً ينتهي إليه بقاؤهما فلهما الدوام. قال: وخلق الله تعالى طينة آدم بعد أن مضى من عمر الدنيا سبع عشرة ألف سنة ومن عمر الآخرة التي لا نهاية لها في الدوام ثمانية آلاف سنة وأطال في ذلك.

وقال في الباب التاسع: كان الجان في الأرض قبل آدم بستين ألف سنة. وقال: أول من سمي من الجن شيطاناً وأول من عصى هو الحارث فأبلسه الله وأبعده وليس هو بأب للجن كما توهم إنما هو واحد منهم وهو أول الأشقياء من الجن كما أن قابيل أول الأشقياء من البشر.

وقال في الباب الحادي عشر: بلغنا أنه وجد مكتوباً بالقلم الأول على الأهرام وأنها بنيت والنسر الطائر في الأسد وهو الآن في الجدي ـ يعني على أيام الشيخ محيي الدين ـ فاحسب ما بينهما تعرف تاريخ عمارتها انتهى. ومعلوم أن النسر الطائر لا ينتقل من برج إلى غيره إلا بعد مضي ثلاثين ألف سنة، قال الشيخ عبد الكريم الجيلي: وهو اليوم في الدلو فقد قطع نحو عشرة أبراج ولا يتأتى ذلك إلا بعد ثلثمائة ألف سنة انتهى.

قلت: وسيأتي في الباب التسعين وثلاثمائة قول الشيخ: ولقد ذكر لنا في «التاريخ المتقدم» أن تاريخ أهرام مصر بنيت والنسر في الأسد وهو اليوم عندنا في الجدي فاعمل حساب ذلك تقرب من علم تاريخ الأهرام فلم يُدْرَ بانيها ولم يدر أمرها على أن بانيها من الناس بالقطع. فإذا كان هذا عمر الأهرام فكيف أنت يا أخي بعمر الدنيا والله أعلم.

وقال في الباب الثالث عشر: لم يتقدم خلق العرش من الملائكة أحد

سوى الملائكة المهيمين في جلال الله تعالى وبعدهم القلم الأعلى فالملائكة المهيمون أول مظهر ظهر في العماء والقلم أو ملائكة التدوين والتسطير وأطال في ذكر المخلوقات الأول على الترتيب.

وقال في الباب الرابع عشر: جملة الأقطاب المكملين في الأمم السابقة من عهد آدم عليه السلام إلى زمان محمد ﷺ خمسة وعشرون قطباً أشهدنيهم الحق تعالى في مشهد أقدس في حضرة برزخيته وأنا بمدينة قرطبة وهم: المفرق ومداوي الكلوم والبكاء والمرتفع والشفاء والماحق والعاقب والمنجور وعنصر الحياة والشريد والراجع والصائغ والطيار والسالم والخليفة والمقسوم والحي والرامي والواسع والبحر والملصق والهادي والمصلح والباقي انتهى.

قال: وأما القطب الواحد فهو روح محمد ﷺ الممد لجميع الأنبياء والرسل والأقطاب من حين النشء الإنساني إلى يوم القيامة والله أعلم.

وقال: فإن الوحي المتضمن للتشريع قد أغلق بعد محمد ﷺ ولهذا كان عيسى عليه السلام إذا نزل يحكم بشريعة محمد ﷺ دون وحي جديد فعلم أنه ما بقي للأولياء إلا وحي الإلهام على لسان ملك مغيب لا يشاهد فيعلمهم بصحة حديث، قيل: بتضعيفه أو عكسه من طريق الإلهام من غير شهود للملك إذا لا يجمع بين شهود الملك وسماع خطابه إلا الأنبياء. وأما الولي فإن سمع صوتاً لا يرى صاحبه وإن رأى الملك لا يسمع له كلاماً إذ لا تشريع في وحي الأولياء فافهم. وقد بسط الشيخ الكلام على ذلك في الباب الثاني والعشرين والله أعلم.

وقال في الباب الخامس عشر: الأبدال السبعة للأقاليم السبعة إنما هم مستمدون من روحانية الأنبياء الكائنين في السمٰوات وهم إبراهيم الخليل يليه موسى يليه هارون يتلوه إدريس يتلوه يوسف يتلوه عيسى يتلوه آدم عليهم الصلاة والسلام. قال: وأما يحيى فله تردُّد بين عيسى وهارون فمدد كل بدل يتنزل من حقيقة نبي من هؤلاء الأنبياء وكذلك تنزل العلوم عليهم في أيام الأسبوع لكل يوم علم يتنزل من رقائق نبي من هؤلاء.

وقال في الباب السادس عشر: ما دخل التلبيس على السوفسطائية إلا

من تشكيك إبليس لهم في الحواس وإدخال الغلط عليهم فيها وهي التي يستند إليها أهل النظر في صحة أداتهم، فلما أظهر لهم إبليس الغلط في ذلك قالوا ما ثَمَّ علم أصلاً يوثق به. فإن قيل لهم فهذا علم بأنه ما ثَمَّ علم فما مستندكم وأنتم غير قائلين به؟ قالوا: وكذلك نقول إن قولنا هذا ليس بعلم هو من جملة الأغاليط. قال الشيخ رحمه الله تعالى: وهذا من جملة ما أدخل عليهم إبليس من الشبه وأما نحن فقد حفظنا الله من ذلك فلم نجعل للحس غلطا جملة واحدة وإنما الحاكم على الحس هو الذي يغلط كصاحب المرة الصفراء يجد طعم العسل مرًّا وليس هو بمر في نفسه بدليل ذوق غيره للعسل ووجدانه الحلاوة ولو أن صاحب المرة أصاب لعرف العلة فلم يحكم على السكر بالمرارة وعرف أن الحس الذي هو الشاهد مصيب على كل حال وأن القاضي على الحس يخطىء ويصيب. وذكر الشيخ ذلك أيضاً في الباب الرابع والثلاثين فراجعه.

وقال في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ [الأعراف: ١٧] إنما لم يذكر العلو والسفل لأن هذه الجهات الأربع المذكورة هي التي يأتي الشيطان منها إلى الإنسان فإن جاءك من بين يديك فاطرده بالكشف والبرهان غير ذلك لا يكون وإن جاءك من خلفك فاطرده بالصدق وترك الشهوات وإن جاءك من يمينك الذي هو الجهة الموصوفة بالقوة ليضعف يقينك وإيمانك بإلقاء الشبه في أدلتك فكن موسوي المقام وتذكَّرْ قصته مع السحرة حتى آمنوا وإن جاءك من جهة الشمال فاطرده بدلائل التوحيد وعلم النظر فإن الخلف للمعطلة أو المشركين كما أن اليمين للضعف والأمام للتشكيك في الحواس، ومن هنا دخل اللبس على السوفسطائية كما مر وسيأتي بسطه قريباً.

وقال في الباب السابع عشر: ليس في نظر الله تعالى للوجود زمان لا ماض ولا مستقبل بل الأمور كلها معلومة عنده في مراتبها بتعداد صورها فيها ومراتبها لا توصف بالتناهي ولا بالحصر هكذا إدراك الحق للعالم ولجميع الممكنات في حال عدمها ووجودها، فتنوعت الأحوال في خيالها لا في علمها، فاستفادت من كشفها لذلك علماً لم يكن عندها لا حالة لم يكن

عليها، فما أوجد الله الأعيان إلا لها لا له لأنها على حالتها بأماكنها وأزمانها في العلم الإلٰهي. وأما الأعيان فيكشف لها عن أحوالها شيئاً فشيئاً على التوالي والتتابع إلىٰ ما لا يتناهى. قال: فتحقق بهذه المسألة فإن قليلاً من عثر عليها لخفائها فإنها متعلقة بسر القدر.

وقال في الباب الثامن عشر: لا يجني ثمرة التهجد وعلومه الفياضة على أصحابه كل ليلة إلا من كانت فرائضه كاملة فإن كانت فرائضه ناقصة كملت من نوافله؛ فإن استغرقت الفرائض النوافل لم يبق للمتهجد نافلة وليس هو بمتهجد فاعلم ذلك.

وقال في الباب العشرين: حظ أهل النار من النعيم عدم توقع العذاب وحظهم من العذاب في حال عدمه توقعه فلا أمان لهم بطريق الإخبار من الله تعالى بقوله: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٧٥] وأطال في ذلك.

وقال في الباب الثاني والعشرين في قوله ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢] اعلم أن قوله: أحصيناه يدل على أنه تعالى ما أودع فيه إلاّ علوماً متناهية مع كونها خارجة عن الحصر لنا. قال: وقد سألت بعض العلماء بالله تعالى هل يصح لأحد حصر أمهات هذه العلوم؟ فقال: نعم هي مائة ألف نوع وتسعة وعشرون ألف نوع وستمائة نوع كل نوع منها يحتوي على علوم لا يعلمها إلا الله تعالى.

وقال في الباب الرابع والعشرين: أول من اصطلح على تسمية سؤال العبد ربه دعاء لا أمراً محمد بن علي الترمذي الحكيم رضي الله تعالى عنه وكان من الأوتاد ما سمعنا بهذا الاصطلاح عن أحد سواه، وهو أدب عظيم وإن كان هو في الحقيقة أمراً لأن الحد شمله فليتأمل.

وقال في الباب الخامس والعشرين: كنت لا أقول بلباس الخرقة التي يقول بها الصوفية حتى لبستها من يد الخضر عليه السلام تجاه باب الكعبة. قلت: ذكر الحافظ ابن حجر أن حديث لبس الخرقة متصل ورواته ثقات كما أوضحت ذلك في «مختصر الفتوحات» والله أعلم.

وقال في الباب السابع والعشرين: إنما أمر ﷺ بلباس النعلين في الصلاة حين نزل قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾

[الأعراف: ٣١] وكان في ذلك تنبيهٌ لهم على أن المصلي من شأنه أن يكون ماشياً في صلاته بمناجاته ربه في الآيات التي يقرؤها فإن لكل آية منزلاً ينزله القارىء، والقاعد لا يلبس النعلين. قال: وإنما أمر موسى عليه السلام بخلع النعلين لأن الله تعالى كلمه بلا واسطة بخلاف المصلي منا فإنه في حجاب عن دخول الحضرة التي دخل إليها موسى عليه السلام فلو صلح له دخولها لأمر كذلك بخلع النعلين فإن حكم من دخل حضرة الملك وانتهى سيره خلع نعليه أدباً فبانت رتبة المصلي بالنعلين وأطال في ذلك.

وقال في الباب الحادي والثلاثين في قوله تعالى حكاية عن الخضر عليه السلام ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ [الكهف: ٨١] بنون الجمع: إنما قال أردنا لأن تحت هذا اللفظ أمر إن أمر إلى الخير وأمر إلى غيره في نظر موسى عليه السلام وفي مستقر العادة فما كان من خير في هذا الفعل فهو لله تعالى من حيث ضمير النون وما كان من نكر في ظاهر الأمر في نظر موسى ذلك الوقت كان للخضر من حيث ضمير النون فعلم أن نون الجمع لها هنا وجهان لما فيها من الجمع: وجه إلى الخبرية به أضاف الأمر إلى الله ووجه إلى العيب به أضاف العيب إلى نفسه. قال: ولو أن الخطيب الذي قال: ومن يعصهما فقد غوى يعني الله ورسوله كان يعرف هذين الوجهين اللذين قررناهما كما كان الخضر يعرفهما ولم يقل له النبي ﷺ: «بئس الخطيب أنت» فخجل ومن يعص الله ورسوله على أن رسول الله ﷺ جمع نفسه مع ربه في ضمير واحد فقال في خطبة رويناها عنه: «ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فلا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً» وما ينطق عن الهوى فافهم.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الروم: ٢٣] إنما لم يقل تعالى: «وبالنهار» ليحقق لنا أنه يريد أننا في منام في حال يقظتنا المعتادة أي أنتم في منام ما دمتم في هذه الدار يقظة ومناماً بالنسبة لما أمامكم فهذا سبب عدم ذكر الباء في قوله: ﴿وَٱلنَّهَارِ﴾ واكتفى بالليل.

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [آل عمران: ١٣] هو من العبور لا من الاعتبار فمعنى الآية: لا تقفوا على ظاهر

الصور بل اعبروا من ظاهر تلك الصورة إلى باطنها المراد منها كما أن الذي يراه الإنسان في حال نومه ما هو مراد لنفسه وإنما هو مراد لغيره فيعبر من تلك الصورة المرئية في حال النوم إلى معناها المراد بها في عالم اليقظة إذا استيقظ من نومه، وكذلك حال الإنسان في الدنيا ما هو مطلوب للدنيا فكل ما يراه من حال وقول وعمل إنما هو مطلوب للآخرة فهناك يعبر ويظهر له في الدنيا حالة اليقظة. وأطال في ذلك.

وقال في الباب الثالث والثلاثين: اعلم أن النية جميع أفعال المكلفين كالمطر لما تنبته الأرض فإن النية من حيث ذاتها واحدة وتختلف بالمتعلق وهو المنوي فتكون النتيجة بحسب المتعلق به لا بحسبها فإن حفظ النية إنما هو القصد للفعل أو تركه كون الفعل حسناً أو قبيحاً أو خيراً أو شراً ما آثر النية ومن فهو أمر عارض عرض ميزه الشارع وعينه للمكلف، فليس للنية أثر ألبتة من هذا الوجه خاصة كالماء فإن منزلته أنه ينزل ويسبح في الأرض، وكون الأرض الميتة تحيا به أو يهدم بيت العجوز الفقيرة بنزوله ليس ذلك له فيخرج الزهرة الطيبة الريح والمنتنة والثمرة الطيبة والخبيثة، من حيث مزاج البقعة أو طيبها، أو خبث البزرة أو طيبها قال تعالى: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤] فإن نوى المكلف خيراً أثمر خيراً وإن نوى شراً أثمر شراً انتهى. وسيأتي في الباب الثامن والستين ما له تعلق بالنية والله أعلم.

وقال فيه: العارف يأكل في هذه الدار الحلوى والعسل، والكامل المحقق يأكل فيها الحنظل لا يلتذ فيها بنعمة لاشتغاله بما كلفه الله تعالى به من الشكر عليها وغير ذلك من تحمل هموم الناس.

وقال في قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] ونحو قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] وقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل: ٩] الحق تعالى ينزه عن أن يدخل تحت حد الواجب الشرعي وإنما المراد أن العلم الإلٰهي إذا تعلق أزلاً بما فيه سعادتنا كان ذلك الوجوب على النسبة من هذا الوجه بمعنى أنه لا بد من وجود تلك الطريق الموصلة إلى ذلك الأمر الذي تعلق به العلم مع كونه

تعالى مختاراً في ذلك. وقال فيه: سبب اضطجاع الأنبياء على ظهورهم عند نزول الوحي عليهم أن الوارد الإلهي الذي هو صفة القيومية إذا جاءهم اشتغل الروح الإنساني عن تدبيره فلم يبق للجسم من يحفظ عليه قيامه ولا قعوده فرجع إلى أصله وهو لصوقه بالأرض؛ وأطال في ذلك. وقال فيه: إنما كان الحيوان الذي يمشي على بطنه أضعف من غيره لقربه من أصله الذي عنه تكون وكل حيوان بعد عن أصله نقص من معرفته بأصله بقدر ما ارتفع عنه، ألا ترى المريض لما رد إلى عجزه وضعف كيف تراه ضعيفاً مسكيناً لأن أصله حكم عليه لما قرب منه ثم إذا شفي واستوى قائماً وبعد عن أصله تفرعن وتجبر وادعى القوة؛ فالرجل من كان مع الله في حال صحته كحاله في مرضه ومسكنته وعجزه والله أعلم.

وقال في الباب الرابع والثلاثين: اعلم أن لله عباداً خرق لهم العادة في إدراكهم العلوم من غير طريق الحواس من سمع وبصر وغيرهما وذلك كالضرب والحركة أو السكون كما قال ﷺ: «إن الله ضرب بيده بين كتفي فوجدت برد أنامله بين ثديي فعلمت علم الأولين والآخرين» فهذا علم حاصل لا عن قوة من القوى الحسية أو المعنوية وهذا يبعد أن يقع مثله الأولياء بطريق الإرث. وقال: إنما أنزل القرآن كله في ليلة القدر إشارة إلى أن به تعرف مقادير الأشياء وأوزانها. قال: وكان نزوله في الثلث الآخر منها.

وقال في الباب السادس والثلاثين في قوله ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء»: اعلم أن المخاطب بهذا علماء الأمة لقوله «ورثة الأنبياء» وما قال ورثة نبي خاص فكل من عمل الآن بشريعة محمد ﷺ فقد عمل بجميع شرائع الأنبياء فله مثل ثواب من عمل بشرائع الكل لكن فيما قررته شريعتنا من شرائعهم لا فيما نسخته منها والله أعلم.

وقال في الباب الأربعين: إنما لم تقف السحرة على قولهم ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢١] دون قولهم ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٢] لأنهم لو وقفوا على العالمين لقال فرعون: أنا رب العالمين إياي عنوا فزادوا ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٢] أي الذي يدعو إليه موسى وهارون فارتفع الإشكال. قال: وكان في خوف موسى من عصاه حين

ظهرت في صورة حية إعلام للسحرة أن ذلك منه عليه السلام ليس بسحر لأن أحداً لا يخاف من فعله هو لعلمه بأنه لا حقيقة له من خارج. قال: وكان صورة لقف عصا موسى أنها تلقت صور الحيات من حبال السحرة وعصيهم حتى بدت للناس حبالاً وعصيا كما هي في نفس الأمر كما يبطل الخصم بالحق حجة خصمه فيظهر بطلاة ولو كان تلقفها انعدام الحبال والعصي كما توهمه بعضهم لدخل على السحرة الشبهة في عصا موسى والتبس عليهم الأمر، فكانوا لم يؤمنوا والله تعالى يقول ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟﴾ [طه: ٦٩] وهم ما صنعوا الحبال والعصي بسحرهم وإنما صنعوا في أعين الناظرين صور الحيّات وهي التي تلقفته عصا موسى عليه السلام ولو كان الأمر على ما توهمه بعضهم لقال تعالى: تلقف عصيهم وحبالهم. قال: فكانت الآية عند السحرة خوف موسى وأخذ صور الحيّات من الحبال والعصي، وحاصل ما توهمه بعضهم أن الذي جاء به موسى حينئذٍ من قبيل ما جاءت به السحرة إلا أنه أقوى منهم سحراً. وأطال في ذلك، ثم قال: والسِّحْرُ مأخوذ من السَّحَرِ وهو ما بين الفجر الأول والفجر الثاني وحقيقته اختلاط الضوء والظلمة فما هو بليل لما خالطه من ضوء الصبح ولا هو بنهار لعدم طلوع الشمس للأبصار فكذلك ما فعله السحرة ما هو باطل محقق فيكون له عدماً فإن العين أدركت أمراً ما لا تشك فيه وما هو حق محض فيكون له وجود في عينه فإنه ليس هو في نفسه كما تشهد العين ويظنه الرائي انتهى. وأشار إلى ذلك أيضاً في الباب السادس عشر من الأصل (قلت): وهو كلام نفيس ما سمعنا بمثله قط.

وقال في الباب الحادي والأربعين: يقول الله عز وجل في بعض الهواتف الربانية: «يا عبدي الليل لي لا للقرآن يتلى إن لك في النهار سبحاً طويلاً فاجعل الليل كله لي وما طلبتك إذا تلوت القرآن بالليل لتقف مع معانيه فإن معانيه تفرقك عن المشاهدة فآية تذهب بك إلى جنتي وما أعددت فيها لأوليائي، فأين أنا إذا كنت في جنتك مع الحور متكئاً على فرش بطائنها من إستبرق؟ وآية تذهب بك إلى جهنم فتعاين ما فيها من أنواع العذاب فأين أنا إذا كنت مشغولاً بما فيها؟ وآية تذهب بك إلى قصة آدم، أو نوح، أو هود أو صالح أو موسى أو عيسى عليهم الصلاة السلام وهكذا، وما أمرتك بالتدبر إلا لتجتمع بقلبك عليّ؛ وأما استنباط

الأحكام فلها وقت آخر وثم مقام رفيع وأرفع». وأطال في ذلك.

وقال في الباب الثالث والأربعين في حديث «استفت قلبك وإن أفتاك المفتون»: في هذا الحديث ستر لمقام المتورعين فإنهم إذا بحثوا عنه عرفوا به كما اشتهرت أخت بشر الحافي لما سألت الإمام أحمد عن الغزل على ضوء مشاعل الولاة إذا مرت في الليل وقال لها الإمام أحمد: من بيتكم يخرج الورع الصادق لا تغزلي فيها ولو علمت معنى حديث استفت قلبك ما سألت عن ذلك حين رابها فكانت تدع لَكِّ الغزل من غير سؤال وتستر مقامها ولا يثنى عليها بذلك فإنه ﷺ إنما أعطانا ذلك الميزان في قلوبنا ليكون مقامنا مستوراً عن الناس خالصاً مخلصاً لا يعلمه إلاّ الله، اللّهم إلا أن يكون أحدنا مقتدى به فله أن يظهر ورعه ليتبع.

وقال في الباب الخامس والأربعين: الكامل من الرجال من جمع بين الدعوة إلى الله وبين ستر المقام فيدعو إلى الله بقراءته كتب الحديث والرقائق وحكايات المشايخ حتى لا يعرفهم العامة إلا بأنهم نقلة لا يتكلمون من أحوالهم. قلت: وكان على هذا القدم سيدي الشيخ إبراهيم الجعبري وسيدي أحمد الزاهد وسيدي حسين الجاكي رضي الله تعالى عنهم. وقال فيه: كما تعبد الله تعالى محمداً ﷺ بشريعة إبراهيم عليه السلام قبل نبوته عناية من الله تعالى له حتى فجأه الوحي وجاءته الرسالة فكذلك الولي الكامل يجب عليه معانقة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح الله تعالى له في قلبه عين الفهم عنه فيلهم معاني القرآن ويكون من المحدَّثين ـ بفتح الدال ـ ثم يرده الله تعالى بعد ذلك إلى إرشاد الخلق كما كان رسول الله ﷺ حين أرسل والله أعلم.

وقال في الباب السابع والأربعين: ينبغي للمحقق أن لا يذكر الله تعالى إلا بالأذكار الواردة في القرآن حتى يكون في ذكره تالياً فيجمع بين الذكر والتلاوة معاً في لفظ واحد فيحصل على أجر التالين والذاكرين، فلو أتى بالذكر من غير قصد التلاوة كان له أجر الذكر دون التلاوة فنقص من الفضيلة بقدر ما نقص من القصد. وأطال في ذلك، ثم قال في حديث: «للصائم فرحتان: فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه»: اعلم أنه لما كان الصوم سبباً للقاء الرب كان أتم من الصلاة من هذا الوجه لكونه أنتج لقاء الله الذي هو

مشاهدته والصلاة مناجاة لا مشاهدة، فالحجاب يصحب الصلاة ولا يصحب الصوم ألا تراه قال: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين»؟ والصوم لا ينقسم فافهم.

وقال فيه: للملائكة الترقي في العلم لا في العمل فلا يترقون بالأعمال كما لا يترقى في العلم، والعمل ولو أن الملائكة ما كانت ترقى في العلم ما قبلت الزيادة من آدم حين علمها الأسماء كلها فإنه زادهم علماً بالأسماء لم يكن عندهم فتأمل ذلك.

وقال في الباب الثامن والأربعين في قوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [محمد: ٣٣] أي أطيعوا الله فيما أمركم به على لسان رسوله ﷺ مما قال فيه ﷺ: «إن الله يأمركم» ثم قال: «وأطيعوا الرسول» ففصل أمر طاعة الله من طاعة رسوله ولو كان المراد بطاعة رسول الله ما بلغ إلينا من أمر الله لم يكن ثم فائدة زائدة وإنما المراد بطاعتنا له ﷺ أن نطيعه فيما أمر به ونهى عنه مما لم يقل هو من عند الله فيكون كالقرآن، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧] لأنا جعلنا له أن يأمر وينهى زائداً على تبليغ أمرنا ونهينا إلى عبادنا. وأطال في تفسير الآية،ثم قال: ومعنى طاعة أولي الأمر أي فيما إذا أمرونا بما هو مباح فإذا أمرونا بمباح أو نهونا عنه فأطعناهم أجرنا في ذلك أجر من أطاع الله فيما أوجبه علينا وليس لأولي الأمر أن يشرعوا شريعة مثل رسول الله ﷺ ولذلك لم يقل في أولي الأمر: أطيعوا، مثل ما قال في رسول الله ﷺ، فليتأمل. وقال فيه: إنما أمر الله الخلق بالسجود وجعله مقام قربه بقوله: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩] وبحديث: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» إعلاماً لنا بأن الحق تعالى في نسبة الفوقية إليه من قوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨] وبقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] كنسبة التحتية إليه سواء فإن الساجد يطلب السفل بوجهه كما أن القائم يطلب العلو إذا رفع وجهه في حال الدعاء ويديه، وقد جعل الله السجود حال قرب من الله إليه فلم يقيده سبحانه الفوق عن التحت ولا التحت عن الفوق لأنه خالق الفوق والتحت كما لم يقيده الاستواء على العرش عن النزول إلى سماء الدنيا فهو معنا أينما

كنا في حال كونه في العماء في حال كونه مستوياً على عرشه في حال كونه في السماء في حال كونه في الأرض في حال كونه أقرب إلى أحدنا من حبل الوريد. انتهى والله أعلم.

وقال في الباب التاسع والأربعين: اعلم أن السبب الموجب لتكبر الثقلين دون غيرهما من سائر المخلوقات أن المتوجه على إيجادهم أسماء اللطف والحنان والرأفة والرحمة والتنزل الإلٰهي، فعندما خرجوا لم يروا عظمة ولا عزًّا ولا كبرياء إلا في نفوسهم فلذلك تكبروا، وأما غيرهم من الخلق فكان المتوجه على إيجادهم من الأسماء الإلٰهية أسماء الجبروت والكبرياء والعظمة والقهر، فلذلك خرجوا أذلاء تحت القهر الإلٰهي فلم يمكن لهم أن يعرفوا للكبرياء طعماً. وأطال في ذلك. وقال فيه: إنما جاءت بسم الله الرحمٰن الرحيم أول كل سورة لأن السور تحتوي على أمور مخوفة تتطلب أسماء العظمة والاقتدار فلذلك قدم أسماء الرحمة تأنيساً وبشرى للمؤمنين ولهذا قالوا في سورة التوبة إنها والأنفال سورة واحدة ومن قال: إن كل واحدة سورة مستقلة تحتاج إلى بسملة قال: إن بسملة سورة النمل مكانها حتى لا ينقص القرآن عن مائة وأربع عشرة بسملة ولذلك جاءت بسملة النمل محذوفة الألف كما جاءت في أوائل السورة ليعلم أن المقصود بها أوائل السور بدليل أنهم لم يعملوا بذلك في: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١] و﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١].

قلت: وقد ذكر الشيخ أيضاً في الباب الحادي والثلثمائة ما نصه الأوجه عندي أن سورة الأنفال وبراءة سورة واحدة ولذلك تركت البسملة بينهما وإن كان لتركها وجه هو عدم المناسبة بين الرحمة والتبري؛ ولكن ما لهذا الوجه تلك القوة بل هو وجه ضعيف، وذلك أن البسملة موجودة في كل سورة أولها: ﴿ويل﴾ وأين الرحمة من الويل؟ انتهى.

وذكر أيضاً في الباب السابع والعشرين وثلثمائة ما نصّه: أخبرني الوارد والشاهد يشهد له بصدقه مني بعد أن جعلني في ذلك على بينة من ربي أن اختصاص البسملة في أول كل صورة إنما هو تتويج الرحمة الإلٰهية في منشور تلك السورة وأن الرحمة تنال كل مذكور فيها من المسلمين فإنها علامة الله

على كل سورة أنها منه كعلامة السلطان على مناشيره والحكم للتتويج فإن به يقع القبول، وبه يعلم أنه من عند الله؛ هذا أخبار الوارد لنا ونحن نشهد ونسمع ونعقل ولله الحمد لكن في حجاب عن شهود المحل الذي نزلت منه الشرائع ليفرق بين مقام الولاية ومقام الرسالة فافهم.

وذكر أيضاً في الباب الثامن والثلاثين وثلثمائة ما نصه: اعلم أن الله تعالى جعل البسملة أول كل سورة من القرآن حاكمة على كل وعيد فيها لأحد من المسلمين فمال كل موحد إلى الرحمة لأجل بسم الله الرحمٰن الرحيم فهي بشرى عظيمة لزوال كل صفة توجب الشقاء على أحد من عصاة الموحدين، وأما سورة التوبة عند من لم يجعلها من سورة الأنفال فيجعل لها اسم التوبة وهي الرجعة الإلٰهية على العباد بالرحمة والعطف، فقام اسم التوبة مقام البسملة فإن الرجعة على عباده تعالى لا تكون إلا بالرحمة والله أعلم.

وقال في الباب الخمسين: سبب الحيرة في الله تعالى طلبنا معرفة ذاته تعالى بأحد الطريقين: إما بطريق الأدلة العقلية وإما بطريق تسمى المشاهدة؛ فالدليل العقلي يمنع من المشاهدة والدليل السمعي قد أومأ إليها وما صرح وقد منع الدليل العقلي من إدراك حقيقة ذاته تعالى من طريق الصفة الثبوتية النفسية التي هو في نفسه عليها فلم يدرك العقل بنظره إلا صفات السلوب لا غير وقد سموا ذلك معرفة، وكلما زادت الحيرة زاد العلم بالله تعالى ولذلك كانت حيرة أهل الكشف أعظم. وقال: لولا منازعة الإنكار من العلماء وأولي الأمر على أهل الله عز وجل لأتوا بنظير ما جاءت به الأنبياء من صفات الله تعالى من تعجب وفرح وضحك ونزول ومعية؛ ولكن نِعْمَ ما فعل العلماء في إنكارهم ونعم ما فعل أهل الله في عدم التلفظ بما أطلعهم الله عليه من معرفته. وأطال في ذلك.

وقال في الباب الحادي والخمسين: من رجال الله من أعطاه الله تعالى علامة يعرف بها الحرام والحلال في المآكل والملابس والمشارب وغير ذلك، فاستراح من التعب والتفتيش وسوء الظن بعباد الله تعالى المكتسبين لذلك المال، ثم إن هذا الأمر لا يكون لهم إلا بعد التضييق الشديد في التورع وهناك جازاهم الله تعالى ونفس عنهم بإعطائهم تلك العلامة في

المطعوم مثلاً فيستعملونه ويظن من لا علم له بذلك أنهم أكلوا حراماً وليس كذلك.

وقال في الباب الثاني والخمسين: اعلم أن نسبة الإنسان إلى أمه أولى من نسبته إلى أبيه؛ وذلك لأنه من جهة أبيه ابن فراش ومن جهة أمه ابنها حقيقة.

وقال في الباب الثالث والخمسين: يجب على كل من لم يكن له شيخ أن يعمل هذه التسعة أمور حتى يجد له شيخاً، وهي: الجوع والسهر والصمت والعزلة والصدق والصبر والتوكل والعزيمة واليقين. وأطال في بيان كل واحد منها.

وقال في الباب السابع والخمسين: قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [الشمس: ٨] إنما قدم الفجور على التقوى في الذكر لينبه تعالى على أن الفجور هو الغالب على الإنسان ويرجع العبد إلى ربه في كونه هو المقدر عليه ذلك فيتوب تعالى عليه قال: والإلهام بالفجور من باب: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠] فالنفس محل قابل لما تلهمه من الفجور والتقوى فتميز الفجور لتجتنبه والتقوى فتسلك طريقها فليست النفس أمارة بالسوء من حيث ذاتها لأن مرتبتها المباح الشرعي لا تتعداه. وأما قول الله: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ [يوسف: ٥٣] فليس هو حكم الله تعالى وإنما حكى تعالى ما قالته امرأة العزيز في مجلس العزيز وهل أصابت في هذه الإجابة أم لم تصب. هذا حكم آخر مسكوت عنه فبطل التمسك بظاهر هذه الآية والدليل إذا دخله الاحتمال سقط الاحتجاج به والله أعلم.

وقال في الباب التاسع والخمسين في حديث الدجال: «يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم»: قد توهم بعضهم أن هذا الطول إنما هو من شدة الأهوال في ذلك الزمان وليس كذلك فإن تمام الحديث قد رفع الإشكال بقول عائشة رضي الله تعالى عنها فكيف نفعل في الصلاة في ذلك اليوم قال: اقدروا لها فلولا أن الأمر في حركات الأفلاك باق على ما

هو عليه لم يختل ما صح أن يقدر لذلك بالساعات التي يعلم بها الأوقات في أيام الغيم إذ لا ظهور في ذلك اليوم للشمس فإنه في أول خروج الدجال تكثر الغيوم وتتوالى بحيث إنه يستوي في رأى العين وجود الليل والنهار. قال: وهو من الأشكال الغريبة التي تحدث في آخر الزمان فيحول ذلك الغيم المتراكم بيننا وبين السماء، والحركات كما هي فتظهر الحركات التي عملها أهل علم الهيئة ومجاري النجوم فيقدرون بها الليل والنهار وساعات الصلاة بلا شك. قال: ولو كان ذلك اليوم الذي هو كسنة يوماً واحداً لم يلزمنا أن نقدر للصلاة بل كنا ننتظر زوال الشمس فما لم تزل الشمس لا نصلي الظهر المشروع لو أقامت بلا زوال مقدار عشرين سنة وأكثر لم يكلفنا الله غير ذلك. قال: وقد اختلفت الناس في معقول لفظة الزمان ومدلولها فأكثر الحكماء على أنه مدة متوهمة تقطعها حركات الأفلاك والمتكلمون على أنه مقارنة حادث يسأل عنه بـ«متى» والعرب يريدون به الليل والنهار. قال: وهو مطلوبنا في هذا الباب والله أعلم.

وقال في الباب الثامن والستين: إنما شرط بعضهم القصد الذي هو النية في التراب دون الماء لأن الماء سر الحياة فهو يعطي الحياة بذاته سواء قصد أو لم يقصد، بخلاف التراب لأنه كثيف لا يجري على العضو ولا يسري في وجه القصد فافتقر للقصد الخاص بخلاف الماء فإنه تعالى قال: ﴿فَٱغْسِلُوا۟﴾ [المائدة: ٦] ولم يقل: تيمموا ماء طيباً مثل ما قال في التراب صعيداً طيباً. قال: فإن قالوا: إنما الأعمال بالنيات وهو القصد والوضوء عمل، قلنا: سلمنا ما تقولون ونحن نقول به ولكن النية هنا متعلقها العمل لا الماء والماء ما هو العمل والقصد هنالك للصعيد فيفتقر الوضوء لهذا الحديث للنية من حيث ما هو عمل بماء فالماء تابع للعمل والعمل هو المقصود بالنية، وهنالك القصد للصعيد الطيب والعمل به تبع فيحتاج إلى نية أخرى عن الشروع في الفعل كما يفتقر العمل بالماء في الوضوء والغسل وجميع الأعمال المشروعة إلى الإخلاص المأمور به وهو النية. وأطال في ذلك، وقد تقدم ما له تعلق بالنية أيضاً في الباب الثالث والثلاثين فراجعه فيه. وقال فيه: أجمع أهل العلم في كل ملة ونحلة على أن الزهد في الدنيا وترك جميع

حطامها والخروج عما بيده منها أولى عند كل عاقل، وأما المال الذي فيه شبهة تقدح فيه فليس له إمساكه وهذا هو الورع ما هو الزهد. وأطال في ذلك. وقال فيه: إنما كان الاستجمار بثلاثة أحجار فما فوقها من الأوتار لأن الجمرة هي الجماعة والوتر هو الله فلا يزال الوتر الذي هو الحق مشهوداً للخلق ولو في حال الاستجمار. وأطال في ذلك، ثم قال أواخر الباب: الذي أقول به إن الاستجمار بحجر واحد لا يجزىء لأن ذلك نقيض ما سمي به الاستجمار فإن الجمرة هي الجماعة وأقل الجماعة أثنان والثالث يوتر به.

وقال في الكلام على الرمي من كتاب الحج: اعلم أنه لا معنى لمن يرى الاستجمار بالحجر الواحد إذا كان له ثلاثة أحرف، فإن العرب لا تقول في الحجر الواحد أنه جمرة اهـ، فتأمله وحرره والله أعلم. وقال فيه: مما يدلك على أن المراد بوجه الشيء حقيقة المسمى وعينه وذاته قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾ [القيامة: ٢٤، ٢٥] فإن الوجوه التي هي في مقدم الإنسان لا توصف بالظن وإنما الظن لحقيقة الإنسان وسيأتي في كلام الشيخ رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] أن المراد وجه الشيء الذي يكنى عنه بعجب الذنب فإنه لا يفنى كما صرحت به الأحاديث وليس المراد به وجهه تعالى كما توهم فإن ذلك لا يحتاج إلى التنبيه عليه والله تعالى أعلم.

قلت: وسيأتي في الباب الحادي والثمانين وثلثمائة إن شاء الله تعالى في قوله ﷺ: «إن عينيَّ تنامان ولا ينام قلبي» أي لأنه ﷺ لما انقلب إلى عالم الخيال ورأى صورته هناك وهو قد نام على طهارة ولم ير أن تلك الصورة أحدثت ما يوجب الوضوء فعلم أن جسده المحسوس ما طرأ عليه ما ينقض وضوءه الذي نام عليه، ولهذا يقول: إن النوم سبب أحدث ما هو حدث. قال: ومن حصل له هذا المقام لم ينقض وضوءه بالنوم كالشيخ أبي الربيع المالقي شيخ أبي عبد الله القرشي بمصر لكن كان له هذا المقام يوم الاثنين خاصة اهـ والله أعلم. وقال فيه: إنما أمر العبد بالاستنشاق بالماء في الأنف لأن الأنف في عرف العرب محل العزة والكبرياء ولهذا تقول العرب في دعائها أرغم الله أنفه فقد فعل كذا وكذا على رغم أنفه، والرغام هو

التراب؛ أي أنزلك الله من كبريائك وعزك إلى مقام الذل والصغر، فكنى عن ذلك بالتراب فإن الأرض قد سماها الله ذلولاً على المبالغة وأذل الأذلاء من وطئه الذليل. ثم إن الكبرياء لا يندفع من الباطن إلا باستعمال أحكام العبيد ومن هنا شرع الاستنثار في الاستنشاق فقيل له: اجعل الماء في أنفك ثم انتثروا الماء هنا هو عملك بعبوديتك فإذا استعملته في محل كبريائك خرج الكبرياء من محله وهو الاستنثار.

وقال: إنما أمر العبد أن يستر عورته في الخلوة وإن كان الحق تعالى لا يحجبه شيء لأن حكمه تعالى في أفعال عبيده من حيث ما هم مكلفون هكذا تبع الشرع فيه العرف.

وقال: الطهارة الباطنة للأذنين تكون باستماع القول الأحسن فإنه ثم حسن فأحسن فأعلاه حسناً ذكر الله في القرآن فيجمع بين الحسنين فليس أعلى من سماع ذكر الله بالقرآن مثل كل آية لا يكون مدلوها إلا ذكر الله فإنه ما كل آي القرآن يتضمن ذكر الله فإنه فيه حكاية لأحكام المشروعة وقصص الفراعنة وحكايات أقوالهم وكفرهم وإن كان في ذلك الأجر العظيم من حيث ما هو قرآن بالإصغاء إلى القارىء إذا قرأه من نفسه أو غيره فعلم أن ذكر الله إذا سمع في القرآن أتم من سماع قول الكافرين في الله ما لا ينبغي.

وقال فيه: أصل مسح الرأس طلب الوصلة لله ولا تكون الوصلة إلا مع شهود الذل والانكسار ولهذا لم يشرع مسح الرأس في التيمم لأن وضع التراب على الرأس من علامة الفراق وهو المصيبة العظمى إذ كان الفاقد حبيبه بالموت يضع التراب على رأسه، وسيأتي زيادة على ذلك. وأطال في ذلك.

وقال فيه: اعلم أن الاستدلال على الاكتفاء بالمسح على العمامة دون الرأس بحديث مسلم في المسح على العمامة معلول أعله ابن عبد البر وغيره فإن المسح فيه قد وقع على الناصية والعمامة معاً فقد. . . .[1] الماء الشعر وحصل حكم الأصل في مذهب من يقول بمسح البعض. وقال فيه: مسح الرجلين بالكتاب وغسلهما بالسنة المبينة للكتاب. قال: والآية تحتمل العدول

(١) موضع النقط بياض في الأصل.

عن الظاهر إلا على مذهب من يرى أو ينقل عن العرب أن المسح لغة في الغسل فيكون من الألفاظ المترادفة. قال: ومذهبنا أن الفتح في لام «أرجلكم» لا يخرجها عن الممسوح فإن هذه الواو قد تكون واو المعية تنصب تقول: قام زيد وعمراً. وأطال في ذلك.

(قلت): قوله: ومذهبنا أي من حيث النحو لا من حيث الأحكام والله أعلم.

وقال فيه: ليس في مقدور البشر مراقبة الله تعالى في السر والعلن مع الأنفاس فإن ذلك من خصائص الملأ الأعلى، وأما رسول الله ﷺ فكان له هذه الرتبة لكونه مشرعاً في جميع أحواله فلا يوجد إلا في واجب أو مندوب أو مباح فهو ذاكر الله بالمباح فافهم وإليه الإشارة بقول عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه.

وقال فيه: إذا وقع في القلب خاطر غريب يقدح في الشرع وجب على الإنسان أن يجرد النظر في ذلك بالعقل دون الاستدلال بالشرع، كالبرهمي الذي ينكر الشريعة فإنه لا يقبل الدليل الشرعي على إبطال هذا القول الذي انتحله فإن الشرع هو محل النزاع بيننا وبينه وهو لا يثبته فليس له دواء إلا النظر العقلي فنداويه بقولنا: انظر بعقلك في المسألة.

وقال فيه: الذي أقول به وجوب الوضوء من أكل لحوم الإبل لكن تعبداً وهو عبادة مستقلة مع كونه لم ينقض طهارة الآكل له فتصح صلاته بالوضوء المتقدم على الأكل وهو عالم أنه لم يتوضأ من لحوم الإبل. وقال: هذا القول ما أعلم أن أحداً قاله قبلي. قال: وإن نوى في هذا الوضوء رفع المانع فهو أحوط. قال: ودليل من قال: إن أكل لحوم الإبل ينقض الطهارة ما ورد أنها شياطين والشياطين بعداء عن الله تعالى والصلاة حال قربة ومناجاة فنقضوا الطهارة به.

وقال فيه: الذي أقول به منع التطهير بالنبيذ لعدم صحة الخبر المروي فيه ولو أن الحديث صح لم يكن نصاً في الوضوء به فإنه ﷺ قال: «ثمرة طيبة وماء طهور» أي قبل الامتزاج والتغير عن وصف الماء وذلك لأن الله

تعالى ما شرع لنا الطهارة عند فقد الماء إلا بالتيمم بالتراب خاصة.

وقال فيه: الأوجه عندي أن الخف إذا تخرق يمسح عليه ما دام ينطبق عليه اسم الخف وإن تفاحش خرقه. قال: ولا نص في هذه المسألة صريحاً في كتاب ولا في سنة، وإذا تخرق الخف على قولنا هذا فظهر من الرجل شيء مسح على ما ظهر منه ومن الخف ما دام يسمى خفاً.

وقال فيه: يستحب لقارىء القرآن في المصحف أن يجهر بقراءته ويضع يده على الآية يتتبعها، فيأخذ اللسان حظه من الرفع ويأخذ البصر حظه من النظر واليد حظها من المس. قال: وهكذا كان يتلو ثلاثة من أشياخنا منهم عبد الله بن المجاهد.

وقال في المضمضة والاستنشاق في الغسل: الذي أقول به إن الغسل لما كان يتضمن الوضوء كان حكمهما الوجوب من حيث إنه متوضىء في اغتساله لا من حيث إنه مغتسل فإنه ما بلغنا أنه ﷺ تمضمض واستنشق في غسله إلا في وضوئه فيه وما رأيت أحداً نبه على مثل هذا في اختلافهم في وجوبهما أو استحبابهما فالحكم فيهما عندي راجع إلى حكم الوضوء والوضوء عندنا مؤكد في الاغتسال من الجنابة. وأطال في ذلك، وقال فيه: الكذب لغير علة شرعية حيض النفاس ولعلة شرعية دم استحاضة لا يمنع من الصلاة بخلاف الأول فإنه خارج في حال الصحة فلذلك شدد فيه؛ قال: والعناية بدم النفاس أوجه من العناية بدم الحيض من غير نفاس وذلك أن الله ما أمسكه بقدرته في الرحم ثم أرسله إلا ليزلق طريق الولد رفقاً بأمه فكان خروج هذا الدم معيناً على خروج الذاكر لله عز وجل من جهة وصف خاص؛ قال: واعلم أن ما تعود أحد الكذب على الناس إلا واستدرجه ذلك حتى يكذب على الله ورسوله. واعلم أن الكذب لغرض صحيح شرعي لا يقدح في العدالة بل هو نص فيها وأغلب الكمل من الرجال؛ قال: وأما امتناع حبيب العجمي من الكذب لما طلب الحجاج الحسن البصري ليقتله فكان خوفاً من إطلاق اسم الكذب عليه فحبيب كان رجلاً ساذجاً ولكل مقام رجال؛ وقال: والذي أقول فيه إنه لا يجوز لأحد أن يصدق فيما يضر الناس إلا أن يكون له حال يحمي من غلبه ذلك الظالم وعلى ذلك يحمل حال

حبيب العجمي والله أعلم.

وقال فيه: ينبغي لكل عالم أن لا يلقي علمه إلا في محل قابل لذلك العلم عطشان إليه فإن لم يجد من هو بهذه المثابة فليتربص حتى يجد لعلمه حاملاً على هذا الوجه ويحتاج إلى صبر شديد. وقال فيه: ينبغي أن يقيد قول من قال: لا تجب النية في التيمم بمن نشأ في الإسلام، أما الكافر إذا أسلم فإنه لا بد له من نية قطعاً لأنه لم يكن عنده شيء من القربة إلى الله قبل إسلامه بل كان يرى أن ذلك كفر والدخول فيه يبعد عن الله عز وجل. وقال فيه: الذي أقول به إن الطهارة بالتيمم ليست بدلاً من الوضوء والغسل وإنما هي طهارة مشروعة مخصوصة بشروط اعتبرها الشرع ولم يرد لنا شرع أن التيمم بدلاً فلا فرق بين التيمم وبين كل طهارة مشروعة. قال: وإنما قلنا: مشروعة لأنها ليست بطهارة لغوية فما هي بدل وإنما هي عبادةٌ مشروعةٌ مخصوصةٌ مبينةٌ لحالٍ مخصوصة شرعها الذي شرع استعمال الماء لهذه العبادة المخصوصة وهو الله ورسوله فهي ناشئة عن استخراج الحكم في تلك المسألة من نص ورد في الكتاب أو السنة يدخل الحكم في هذه المسألة في مجمل ذلك الكلام وهو الفقه في الدين. قال: ولا يحتاج فيها إلى قياس، وأطال في ذلك فليتأمل ويحرر. وقال فيه: والذي أقول به: إنه لا يشترط الطلب للماء في صحة التيمم بل إذا فقده تيمم، وقال جماعة: لا بد من الطلب وينبني ذلك على أن المقلد هل يلزمه البحث عن دليل من قلده في الأصول أو الفروع فمن قال: لا يشترط طلب الماء قال: لا يلزم المقلد البحث، ومن قال يشترط طلب الماء قال: يلزم المقلد أن يسأل المسؤول عن دليل ما أفتاه به من كتاب أو سنة. وأطال في ذلك، وقال: الذي أقول به: إن حديث الضربة الواحدة في التيمم أثبت من حديث الضربتين.

قلت: ذكر الشيخ في الباب السابع والثلاثين وثلثمائة ما نصه: اعلم أن من شرف الإنسان أن الله تعالى جعل له التطهير بالتراب وقد خلقه الله من تراب فأمره بالتطهر بذاته تشريفاً له ولذلك أبقى النص على التطهير بالتراب دون غيره مما له اسم الأرض فإن كل شيءٍ فارق الأرض لا يتطهر به إلا إن كان تراباً بخلاف التراب يتطهر به لو فارق الأرض فإن الله أبقى اسم الأرض

عليه مع المفارقة بخلاف الزرنيخ والرخام والمعدن ونحو ذلك، وأيضاً فإن الله ما قال: إنه خلق الإنسان من حجر ولا زرنيخ وإنما قال: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩] والله أعلم.

وقال في الباب التاسع والستين: اعلم أن الصلاة مشتقة من «المُصَلِّي» وهو الذي يلي السابق في الحلبة والسابق هنا التوحيد، و«المُصَلِّى» الصلاة ويشهد لهذا الترتيب حديث: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»، ولما علم الصحابة ما يدخل الواو من الاحتمال وأن الشارع راعى الترتيب أنكروا على من روى والحج وصوم رمضان وقالوا له: قل صوم رمضان والحج إشارة إلى أن الشارع أراد الترتيب في القواعد والصلاة ثانية في القواعد. قال: وإنما جعل الزكاة تلي الصلاة لأن الزكاة تطهر قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩] أي طهرها بالطاعات يعني النفس. قال: ولما كانت الصلاة المشروعة من شرطها الطهارة جعلت الزكاة إلى جانبها لكونها طهارة للأموال التي يكون بها جل قوتهم وملبسهم وجعل الصوم يلي الزكاة دون الحج لكون زكاة الفطر مشروعة عند قضاء الصوم فلما كان الصوم أقرب نسبة إلى الزكاة جعل إلى جانبها فلم يبق للحج مرتبة إلا المرتبة الخامسة فكان فيها.

(قلت): وسيأتي في الكلام على صلاة الجنازة عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] فراجعه.

وقال: من شأن العارف أن يعبد ربه من حيث أولية ربه في خلقه المخلوقات لا من حيث أوليته هو عن أوليات كثيرة قبله وأعني بذلك الأسباب، فهذه هي الصلاة لأول الوقت؛ فإذا عبده العارف في تلك الأولية المنزهة عن أن يتقدمها أولية شيء انسحبت عبادة هذا العارف من هناك على كل عبادة مخلوق خلقه الله من أول المخلوقات بين لي حين وجوده، ومن جمع هذا وبين الصلاة لأول وقتها المعروف فقد حاز الفضيلتين.

وقال فيه: إنما أخبرنا رسول الله ﷺ بأن المغرب وتر صلاة النهار قبل

أن يزيدنا الله وتر صلاة الليل فإنه قال: «إن الله قد زادكم صلاة إلى صلاتكم» وذكر صلاة الوتر فشبهها بالفرائض وأمر بها ولهذا جعلها أبو حنيفة واجبة دون الفرض وفوق السنة وأثم من تركها؛ ونِعْمَ ما نظر وتفقه رضي الله عنه لأنه ﷺ لم يلحقها بصلاة النافلة بل قال: «زادكم صلاة إلى صلاتكم» يعني الفرائض فشرع تعالى لنا وترين ولينفرد تعالى بالوترية الواحدة قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩] فافهم.

وقال فيه: رأيت قولاً غريباً لا أدري من قاله ولا أين رأيته أن وقت صلاة العشاء ما لم تتم ولو سهرت إلى وقت الفجر.

وقال فيه: ما عرفت مستند من كره قول المؤذن «حي على خير العمل» فإنه روي أن رسول الله ﷺ أمر بها يوم حفر الخندق والصلاة خير موضوع كما ورد فما أخطأ من جعلها في الأذان بل اقتدى إن صح هذا الخبر. وأطال في ذلك.

وقال فيه: مذهبنا أن للواعظ أخذ الأجرة على وعظه الناس وهو من أجل ما يأكله وإن كان ترك ذلك أفضل؛ وإيضاح ذلك أن مقام الدعوة إلى الله يقتضي الأجرة فإنه ما من نبي دعا الله إلا قال: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [هود: ٢٩] فأثبت الأجر على الدعاء ولكن اختار أن يأخذه من الله لا من المخلوقين وأطال في ذلك. وسيأتي أيضاً في الباب السابع عشر وأربعمائة فراجعه.

وقال فيه: مذهبي أن الأذان قبل الفجر ليس بأذان حقيقة وإنما هو ذكر الله عز وجل بصورة الأذان تحريضاً للناس على الانتباه لذكر الله تعالى فإذا طلع الفجر فهناك الأذان المشروع إعلاماً بدخول وقت الصلاة، قال: ولهذا ابتدع السلف الصالح للمؤذنين الدعاء والتذكير بآيات القرآن والمواعظ وإنشاد الشعر الحاث على قيام الليل وعلى الزهد في الدنيا ليعلموا الناس أن الأذان الأول ما كان إلا لغرض الإيقاظ للقائمين لا لدخول الوقت.

وقال فيه: معنى قول المؤذن «قد قامت الصلاة» إنما قال: «قامت» بلفظ الماضي مع أن الصلاة بشرى من الله لعباده لمن جاء إلى المسجد ينتظر

الصلاة أو كان في الطريق آتياً إليها أو كان في حال الوضوء بسببها أو كان في حال القصد إلى الوضوء قبل الشروع فيه ليصلي بذلك الوضوء فيموت في بعض هذه المواطن قبل وقوع الصلاة منه فبشره الله بأن الصلاة قد قامت له في هذه المواطن كلها فله أجر من صلاها إن كانت ما وقعت منه فلذلك جاء بلفظ الماضي ليحقق الحصول، فإذا حصلت بالفعل أيضاً فله أجر الحصول كذلك، وقد ورد أن أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة.

(قلت): وقد ذكر الشيخ أيضاً في أواخر كتاب الحج في الكلام على نحر البدن قائمة: إنما قال ﷺ: «قد قامت» بلفظ الماضي قبل قيام العبد لها تنبيهاً على قيام صلاة الله على العبد ليقوم العبد إلى الصلاة فيقوم بقيامه نشأتها كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٣] قال: فالقيام معتبر في سائر العبادات كالوقوف بعرفة ورمي الجمار وغير ذلك والله أعلم.

وقال فيه: لولا أن الإجماع سبقني لم أقل أن التوجه إلى الكعبة شرط في صحة الصلاة لأن قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] نزلت بعد قوله: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٤] فهي آية محكمة غير منسوخة ولكن انعقد الإجماع على هذا، وجاء قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] محكماً في الحائر الذي جهل القبلة فيصلي حيث يغلب على ظناً باجتهاده بلا خلاف انتهى. فليتأمل ويحرر والله أعلم.

وقال فيه ما معناه: اعلم أن قبلتك في الصلاة إنما هو ما استقبلت من الكعبة ولا يضرك استدبارها في غير جهة وجهك إذا صليت داخلها فإن الشارع لم يتعرض للاستدبار إنما تعرض للاستقبال فقط فإنا إنما نحن مع الحق على حكم ما نطق فلا يقتضي الأمر بالشيء النهي عن ضده في كل المواضع فإذا لم تعمل بما أمرك به فقد عصيت أمره، ولو كان الآمر بالشيء منهياً عن ضده لكان على الإنسان خطيئتان أو خطايا كثيرة بقدر ما لذلك المأمور من الأضداد وهذا لا قائل به فلا يؤاخذ الإنسان إلا بترك ما أمره به الحق لا غير فهو وزر واحد وسيئة واحدة فلا يجزى إلا مثلها انتهى. وهو كلام نفيس في نفسه وإن رجح جماعة من أهل الأصول خلافه فليتأمل ويحرر والله أعلم.

وقال فيه: إنما أمرت المرأة بتغطية رأسها في الصلاة لأن الرأس من الرياسة والنفس تحب الظهور في العالم برياستها والمرأة مظهر النفس في الاعتبار فأمرت النفس أن تغطي وجه رياستها في الصلاة بين يدي ربها إظهاراً لذلّها وانكسارها؛ على أن مذهبي أن عورة المرأة هي السوأتان فقط قال الله تعالى: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٢] فسوى بين آدم وحواء في الستر للسوأتين، فليس المراد بالستر في الصلاة من حيث كونها كلها عورة وإنما ذلك حكم شرعي ورد بالتستر، ثم لا يلزم أن يستر الشيء لكونه عورة اهـ، فليتأمل ويحرر.

(وقال): معنى قول المصلي: الله أكبر بلسان الظاهر: الله أكبر أن يقيد ربي حال من الأحوال بل هو تعالى في كل الأحوال أكبر؛ قال: وإنما سميت إحراماً أي تكبيرة منع إشارة إلى أنه تعالى لا يشاركه في مثل هذه الكبرياء كون من الأكوان؛ وأطال في ذلك.

وقال في قوله ﷺ: «اللّهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب»: وقد ثبت أنه كان يقول ذلك بين تكبيرة الإحرام وقراءة الفاتحة إنما لم يقل فيه كما باعدت بين السواد والبياض لأن اللونية تجمع بينهما فذلك ذكر المشرق والمغرب اللذين هما ضدان لا يجتمعان أبداً.

قال: والسبب في ذلك أن الحق إذا دعا العبد إلى مناجاته فقد خصه بمحل القربة منه، وإذا أشهده خطاياه في مواطن القرب وهي في محل العبد من تلك المكانة كان العبد في محل البعد على طلب الحق منه من القرب فلذلك أمر أن يدعو الله قبل الشروع في المناجاة أن يحول بينه وبين مشاهدة خطاياه أن تعرض له في قلبه في هذا الموطن بتخيل أو تذكر فانظر ما أحكم هذا التعليم وما أخفاه وأدته حيث تأدب مع الله أن يبعده من خطاياه ولم يطلب إسقاطها عنه لئلا يكون في ذلك الموطن ساعياً في حظ نفسه. وأطال في ذلك بكلام نفيس.

وقال فيه: إنما كان لا يجب أن يوافق المأموم إمامه في النية لأن النية أمر غيبي والائتمام لا يكون إلا فيما يشاهد من الأفعال ولذلك فصل الشارع

ما أجمله في الائتمام فذكر الأفعال بقوله فإذا كبر فكبروا الخ. وما ذكر النية فلا ترتبط نية المأموم بنية الإمام إلا في الصلاة من حيث حركاتها الظاهرة فقط ولكل واحد ما نوى، وقال: الذي أقول به إن قوله: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِىَ﴾ [الأنعام: ٧٩] الخ لا ينبغي أن يكون إلا في صلاة التهجد لأنه لم يبلغنا عنه ﷺ أنه قال ذلك في الفرائض، والوقوف عند ما أورد أولى حتى يأتي ما يخالفه انتهى، فليتأمل ويحرر، فإن بعض العلماء ذكر أنه ورد في الفرائض أيضاً.

وقال: من شأن الأديب العالم أن لا يناجي ربه إلا بكلامه الجامع ولذلك قال: «لا صلاة إلا بأم القرآن» والأم هي الجامعة فكان هذا الحديث مفسراً لقوله تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾ [المزمل: ٢٠] وإذا ورد أمر مجمل من الشارع ثم ذكر الشارع وجهاً خاصاً مما يكون تفسيراً لذلك المجمل كان الأولى عند الأدباء من العلماء الوقوف عنده.

(قلت): قد ذكر الشيخ في الباب الثالث والأربعين وثلثمائة ما نصه: اعلم أنه لما كانت الصلاة محلاً يجمع فيه بين الله والعبد بقراءة الفاتحة تعين القول بفرضيتها على المصلي في الصلاة. . . .[1] فما صلى الصلاة التي قسمها الله بينه وبين عبده فإنه ما قال: قسمت الفاتحة وإنما قال: «قسمت الصلاة» بالألف واللام اللتين للعهد والتعريف، فلما فصل الصلاة المعهودة بالتقسيم المذكور في الحديث جعل محل القسمة قراءة الفاتحة. قال: وهذا أقوى دليل يوجد في فرض قراءة الحمد في الصلاة اهـ.

وذكر الشيخ في الباب الخامس والتسعين ومائتين ما نصه: اعلم أن القاف الغير المعقودة حرف بين حرفين بين الكاف والقاف المعقودة ما هي كاف خالصة ولا قاف خالصة. قال: ولهذا ينكرها أهل اللسان فأما شيوخنا في القراءة فإنهم لا يعقدون القاف ويزعمون أنهم هكذا أخذوها عن شيوخهم وشيوخهم عن شيوخهم في الأداء إلى أن وصلوا إلى العرب الذين هم أصحاب رسول الله ﷺ إلى النبي ﷺ كل ذلك أداء وأما العرب الذين لقيناهم ممن بقي على لسانه ما تغير كبني فهم فإني رأيتهم يعقدون القاف، وهكذا

(١) موضع النقط بياض في الأصل.

جميع العرب، فما أدري من أين دخل على أصحابنا ببلاد المغرب ترك عقدها في القرآن ا هـ، والله أعلم.

قال: وإنما شرعت المناجاة للحق بكلامه حال القيام غيره من أحوال الصلاة للاشتراك في القيومية؛ قال: وهذا كان من أدب الملوك إذا كلمهم أحد من رعيتهم أن يقوم بين أيديهم ويكلمهم ولا يكلمهم جالساً فتبع الشرع في ذلك العرف. وأطال في ذلك.

قال: وإنما أمرنا الحق أن نقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] بنون الجمع إشارة إلى أن الحق يريد منا أن نعبده بجميع أعضائنا الظاهرة والباطنة ونستعين به بكليتنا كذلك ومتى لم يكن المصلي بهذه المثابة من جمع عالمه كله على عبادة ربه كان كاذباً في قوله: نعبد ونستعين فإذا رآه الحق ملتفتاً إلى شيء قال له: كذبت. قال: كذلك قول الحق إذا حمده عبده: حمدني عبدي، لا يكون له ذلك الحمد إلا إن حضر بكليته فإن غاب فما حمد الحق إلا لسانه فقط فلا يقول له الحق: حمدني عبدي وإنما يقول: حمدني لسان عبدي؛ وذلك لأن الله لما فرض على العبد أن يناجيه بكليته فلا تقوم جارحة من جوارحه إلا عن نفسها فقط.

قلت: وسيأتي في الباب التاسع والسبعين وثلثمائة إن شاء الله تعالى أن الشارع ﷺ إنما جاء ببعض الأذكار مثلثاً أي بأن يقول ذلك ثلاث مرات ليحصل بذلك الثواب المحسوس، والثواب المتخيل والثواب المعنوي، فينعم حساً وخيالاً وعقلاً كما يذكر حساً وخيالاً وعقلاً وأطال في ذلك والله أعلم.

وذكر الشيخ في الباب الثامن والثمانين أن من أدب العارف إذا قرأ في صلاة مطلقة أن لا يقصد قراءة سورة معينة أو آية معينة وذلك لأنه لا يدري أين يسلك به ربه من طريق مناجاته فالعارف بحسب ما يناجيه به من كلامه وبحسب ما يلقي إليه الحق في خاطره والله أعلم.

وقال في حديث: «فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه»: المراد موافقتهم في الطهارة، والتقديس، والتلفظ وغير ذلك.

وذكر في الباب الثالث والسبعين في الجواب الموفي مائة من أسئلة

الحكيم الترمذي ما نصه: اعلم أن معنى آمين: أجب يا رب دعاءنا يقال: أَمَّ فلان جانب فلان إذا قصده وقال تعالى: ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢] أي قاصدين. قال: وإنما خففت الميم من آمين تنبيهاً على السرعة المطلوبة في الإجابة إذ الخفة تقتضي الإسراع في الأشياء. قال: وإنما قال: غفر له ولم يقل: أجيب دعاؤه لأنه لو أجيب لما غفر له لأن المهدي إلى الصراط المستقيم ما له ما يغفر.

(قلت): قد ذكرنا نحو ذلك في أجوبة شيخنا والله أعلم.

قال: وأما قوله: «فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة» ليس المراد بها الموافقة الزمنية ويحتمل أن يكون المراد بها ذلك فيحويهم زمان واحد عند قولهم آمين ثم إن الملائكة لا يخلو قولها: آمين أن يقولوها متجسدين أو غير متجسدين فإن قالوها متجسدين فربما يكون المراد الموافقة الزمانية خاصة لأن التجسد يحكم عليه بالإتيان بلفظ: آمين أي بترتيب هذه الحروف وأما إن قالوها غير متجسدين فلم يبق معنى للموافقة إلا أن يقولها العبد بالحال الذي يكون عليها الملك. وأطال في ذلك بكلام دقيق فراجعه إن شئت والله أعلم.

وقال فيه في الكلام على التشهد: اعلم أن الألف واللام في لفظة: «السلام عليك أيها النبي» للجنس لا للعهد فهو مثل التحيات لله في الشمول والعموم أي: السلام عليك بكل سلام. قال: وإنما كان السلام عليه هنا بلفظ النبي دون الرسول لأن النبوة في حق ذات النبي أعم وأشرف، فإنه يدخل فيها ما اختص به في نفسه وما أمر بتبليغه لأمته الذي هو منه رسول نعم. قال: وإنّما أتى المصلي به ﷺ من غير حرف النداء المؤذن بالعبد لأنه في حال قربة منه باحضاره في ذهنه ولهذا جاء بخرف الخطاب في قوله: عليك.

قلت: وذكر الشيخ في الباب الثالث والسبعين: أن السلام إنما شرع من المؤمنين لأن مقام الأنبياء يعطي الاعتراض عليهم لأمرهم الناس بما يخالف أهواءهم فكأن المؤمن يقول: يا رسول الله أنت في أمان من اعتراضي

عليك في نفسي، وقال كذلك: السلام على عباد الله الصالحين فإنهم كذلك يأمرون الناس بما يخالف أهواءهم بحكم الإرث للأنبياء. قال: وأما تسليمنا على أنفسنا فإن فينا ما يقتضي الاعتراض واللوم هنا علينا، فنلزم نفوسنا التسليم فيه لنا، ولا نعترض كما يقول الإنسان: قلت لنفسي: كذا فقالت: لا أنتهي.

قال: وإنما أمر المصلي أن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين بالألف واللام أيضاً لتشمل جميع السلام بأجناسه على نفسه.

قال: وإنما جاء بنون الجمع ليؤذن بأن كل جزء من هذا المسلم يسلم عل بقية أجزائه وعوالمه حين رأى بيت قلبه خالياً من كل ما سوى الله فسلم على نفسه كما أمر أن يسلم إذا دخل بيتاً ما فيه أحد نيابة عن الحق الذي يشهده في قلبه كما قال: إن الله قال على لسان عبده سمع الله لمن حمده، قال: وإنما قال «وعلى عباد الله الصالحين» بالواو دون ذكر لفظ السلام تنبيهاً على أن المراد بالصالحين المستعملين في أمور مطلق الإسلام من المسلمين لا الصالحين في العرف. قال: وإنما لم يعطف المصلي السلام الذي سلم به على نفسه بالواو على السلام الذي سلم به على نبيه لأنه لو عطفه عليه لسلم على نفسه من جهة النبوة وهو باب قد سده الله كما سد باب الرسالة عن كل مخلوق بمحمد ﷺ إلى يوم القيامة وتعين بهذا أنه لا مناسبة بيننا وبين رسول الله ﷺ فإنه في المرتبة التي لا تنبغي لنا فابتدأنا بالسلام علينا في طورنا من غير عطف، انتهى.

قلت: وفي هذا القول من الشيخ رحمه الله رد على من افترى عليه أنه يقول: لقد حجر ابن آمنة واسعاً بقوله: «لا نبي بعدي».

وقد ذكر في شرحه لترجمان الأشواق أيضاً ما نصه: اعلم أن المقام المحمدي ممنوع من دخوله لنا وغاية معرفتنا به النظر إليه كما ننظر الكواكب في السماء وكما ينظر أهل الجنة السفلى إلى من هو في عليين. قال: وقد فتح الشيخ أبي يزيد البسطامي من مقام النبي قدر خرم إبرة تجلياً لا دخولاً فاحترق. فكذب والله من افترى على الشيخ وخاب مسعاه والله أعلم.

قال: وإنما لم يكن التشهد الأول وجلوسه واجباً لأن هذا الجلوس عارض عرض لأجل القيام بعده إلى الركعة الثالثة والعرض لا ينزل منزلة الفرض ولهذا يسجد من سها عنه بخلاف الجلوس الأخير. قال: فهو من التجليات والبرزخيات فإنه سبحانه دعا عبده أن يسلم عليه بما شرع فيه من التحيات فلمن رأى أن ذلك المقام يدعوه إلى التحية جلس.

قال: والحكمة في ذلك أن الصلاة تقتضي الشفعية لقوله تعالى: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي» وأطال في ذلك.

قال رضي الله عنه: واعلم أننا لم نقف على رواية عن النبي ﷺ في تشهده الذي كان يقوله في الصلاة هل كان يقول مثلنا: السلام عليك أيها النبي أو كان يقول: السلام علي أو كان لا يقول شيئاً من ذلك، ويكتفي بقوله: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. قال: فإن كان يقول مثل ما أمرنا أن نقول من ذلك فله وجهان: أحدهما: أن يكون المسلم عليه هو الحق وهو مترجم عنه كما جاء في سمع الله لمن حمده. والوجه الثاني: أنه كان يقام في صلاته في مقام الملائكة مثلاً، ثم يخاطب نفسه من حيث المقام الذي أقيم فيه أيضاً من كونه نبياً فيقول: «السلام عليك أيها النبي» فعل الأجنبي فكأنه جرد من نفسه شخصاً آخر. قال: وإنما قال: «وأشهد أن محمداً رسول الله» ولم يقل: نبي الله؛ لأن الرسالة هنا أعم لتضمنها النبوة فكان يحتاج إلى ذكر الرسالة بعد النبوة ليظهر اختصاصه على من ليس له مقام الرسالة من عباد الله النبيين.

قال: وأما قوله في تشهد ابن عباس: «سلام عليك أيها النبي» بالتنكير فوجهه أنه راعى خصوص حال كل مصل فجاء بسلام منكر ليأخذ كل مصل منه على حسب حاله من مقام السلام على النبي ﷺ ومن مقام السلام على نفسه وعلى الصالحين من عباد الله ولذلك اختص بترك تكرار لفظ الشهادة في الرسالة واكتفى بالواو لما فيها من قوة الاشتراك وأسقط في هذه الرواية ذكر لفظ العبودية لتضمن الرسالة لها انتهى. فتأمل يا أخي هذا المحل المتعلق التشهد فإنك لا تكاد تجده في كتاب والله يتولى هداك.

وقال: إنما أمرنا بالاستعاذة من فتنة المسيح الدجال لما يظهره للخلق في دعواه الألوهية وما يخيله من الأمور الخارقة للعادة من إحياء الموتى، وغير ذلك مما ثبتت به الروايات وجعل ذلك آيات له على صدق دعواه. قال: وهذه مسألة في غاية الإشكال لأنها تقدح فيما قرره أهل الكلام في العلم بالنبوات فيبطل بهذه الفتنة كل دليل قرره وأي فتنة أعظم من فتنة تقدح في الدليل الذي أوجب السعادة للعباد؟ فالله يجعلنا من أهل الكشف والوجود، انتهى فليتأمل ويحرر.

وقال: إنما كان المصلي يسلم تسليمتين لانتقاله من حال إلى حال فيسلم بالأولى على من انتقل عنه وبالثانية على من قدم عليه. قال: وكل مصلّ لم يغب في صلاته عن غير الله عز وجل فما برح من الأكوان فعلى من يسلم وهو ما برح مع الكون فهلا استحى هذا المسلم من الله حيث يرى الناس بسلامه عليهم أنه كان غائباً عند الله! فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

وقال: الحكمة في رفع الأيدي في الصلاة الإعلام بكل شيء حصل في اليدين قد سقط عند رفعهما، وكأنّ الحق تعالى يقول معلماً للعبد: إذا وقفت بين يدي فقف فقيراً محتاجاً لا تملك شيئاً وكل شيء ملكته يداك فارم به وقف صفر اليدين واجعل ذلك خلف ظهرك فإني قد قبلتك. قال: ولهذا يستقبل بكفيه قبلته.

قلت: ذكر الشيخ في الباب التاسع والستين وثلثمائة ما نصه: اعلم أن من آداب الوقوف بين يدي الله تعالى في الصلاة الذل والمسكنة، والتكلف شغل العبد حال الذليل في مناجاة سيده وقد وردت السنة بذلك وهو عندي أحسن من إسبال اليدين.

قال: وإيضاح ما قلناه أنّ الله تعالى قسم الصلاة بينه وبين عبده نصفين فجزء منها يخلص لله من أولها إلى قوله: ﴿مَـٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] فهذا بمنزلة اليد اليمنى من العبد إشارة للقوة الإلهية قال تعالى: ﴿لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥] والجزء الآخر يخلص للعبد من قوله: ﴿ٱهۡدِنَا﴾ إلى آخر

السورة فهذا بمنزلة اليد اليسرى الذي هو الجانب الأضعف الأصغر. قال: ولما كان جزء منها بين الله وبين عبده وهو قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ جمع العبد بين يديه في الصلاة مجامع المناجاة فكملت صفة العبد بجمعه بين يديه ولو أسبل يديه لم تكمل صفته فانظر إلى هذه الحكمة ما أجلاها لذي عينين انتهى.

ثم لا يخفى أنه إذا كان جعل اليدين على الصدر يشغل العبد عن مناجاة ربه، فإرسالهما أولى فالتحقيق أن جعل اليدين على الصدر للكمل الذين لا يشغلهم ذلك عن الله وأن إرسالهما أولى لغير الكمل إذ مراعاة وضعهما على الصدر يشغل عن كمال التوجيه فليتأمل والله أعلم.

وقال معنى قول العبد في حال اعتداله عن الركوع: «ولا ينفع ذا الجد منك الجد» أي لا ينفع من كان له حظ في الدنيا من جاه ورياسة ومال استناده إلى ذلك دون الله فإذا انكشف الغطاء يوم القيامة لم ينفعه ماله ولا جاهه عند الله تعالى، والله أعلم.

وقال: إنما جوز الإمام أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه ترك الطمأنينة في الاعتدال وبين السجدتين خوفاً من ترك المسارعة إلى الخيرات المأمور بالمسارعة إليها فخاف إن اطمأن أن يفوته ذلك مع أنه رضي الله تعالى عنه قائل باستحباب الطمأنينة، ووجه هذا القول أن الطمأنينة لا تنافي المسارعة إلى الخيرات، والله أعلم.

وقال: إنما وقع الاتفاق على وجوب السجود على الجبهة، واختلفوا في وجوبه على الأنف لأن الأنف ليس بعظم خالص بل هو إلى العضلية أقرب منه إلى العظمية فتميز عن الجبهة فكانت الجبهة هي المقصود الأعظم. وفي الحديث: «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم» وبدأ بالجبهة فافهم.

وقال: إنما أمر العبد أن يقول: «سبحان ربي الأعلى وسبحان ربي العظيم» بإضافة الرب إلى ياء النسبة لأن الرب يتفاضل العلم به من كل عبد، وكل عبد يعتقد في ربه خلاف ما يعتقده غيره مما يقوم في الخيال فلذلك كان كل عبد لا يسبح إلا ربه الذي اعتقده رباً وكم شخص لا يعتقد في الرب

ما يعتقده غيره بل ربما كفر غيره في اعتقاده في ربه فلو أمر العبد أن يسبح الرب مطلقاً باعتقاد كل معتقد لسبح هذا الشخص من لا يعتقده رباً فلذلك قال: سبحان ربي الذي أعتقده وأعرفه أنا دون غيري والله أعلم.

وقال: طالب العلم لغير الله أفضل من الجاهل لأنه إذا حصل العلم كما ذكر فقد يرزق التوفيق فيعلم كيف يعبد ربه. قال: ومن هنا جازت إمامة ولد الزنا لأنه كالعلم الصحيح عن قصد فاسد غير مرضي عند الله تعالى فهو نتيجة صادقة عن مقدمة فاسدة. قال: وكما جازت إمامة ولد الزنا كذلك جاز الاقتداء بفتوى العالم الذي ابتغى بعلمه الرياء والسمعة، فأصل طلبه غير مشروع وحصول عينه في وجود هذا الشخص فضيلة.

وقال: لا تصح إمامة الجاهل الذي لا يعلم ما يجب مما لا يجب والمقتدي به ضال. قال: وليس ذلك بمنزلة صلاة المفترض خلف المتنفل فإن الإمام إذا تنفل وخالف المأموم في نيته فما خالفه فيما هو فرض في الصلاة لأن الإمام الذي هو المتنفل ما فعل إلا ما هو فرض عليه أن يفعله من أركان الصلاة من ركوع وسجود وغير ذلك فما اقتدى الذي نوى الفرض خلف المتنفل إلا فيما هو فرض على المتنفل.

قلت: وسيأتي في الباب السادس والسبعين وثلثمائة الكلام على تكملة الفرائض بالنوافل يوم القيامة أن الفرائض لا تكمل إلا بما هو ركن في النافلة لا بما هو سنة والله أعلم.

وقال: إنما شرعت الصفوف في الصلاة ليتذكر الإنسان بها وقوفه بين يدي الله تعالى يوم القيامة في ذلك الموطن المهول، والشفعاء من الأنبياء والملائكة والمؤمنين بمنزلة الأئمة في الصلاة يتقدمون الصفوف فمن أكثر من هذا التذكر خف هوله وفزعه يوم القيامة بإدمان ذلك التذكر.

(قلت): قد ذكر الشيخ في الباب السابع والأربعين وثلثمائة ما نصه: إنما لم يقف رسول الله ﷺ يمين جبريل كما هو شأن المنفرد لأنه ﷺ لما صلى خلفه صباح فرضية الصلاة رأى الملائكة يصلون خلف جبريل فلذلك وقف في صفهم خلفه ولو أنه لم ير الملائكة خلفه لوقف عن يمين جبريل،

وكذلك لو أن الرجل الذي صلى خلف النبي ﷺ وأمره بالوقوف عن يمينه كأن يشاهد من يصلي من الملائكة خلف رسول الله ﷺ ما أمره بالوقوف عن يمينه فراعى ﷺ حكم ذلك المأموم وليس حكم من لم يشاهد الأمور ببصره حكم من لم يشاهدها انتهى فتأمله.

وذكر الشيخ أيضاً في الباب الأحد والثلاثين وأربعمائة في قوله ﷺ: «لا يَؤُمَّنَّ الرجل الرجل في سلطانه، ولا يقعد على تكرمته إلا بإذنه»: أي ولو كان الإمام الأعظم في حق آحاد رعيته فإنه تحت حكم رب البيت حيثما أقعده قعد ما دام في سلطانه والخليفة وإن كان أكبر منه وأعظم لكن حكم المنزل حكم عليه فرده مرءوساً. قال: وكذلك حكم الخليفة إذا دخل بلاد أحد من نوابه أو خليفة آخر هو تحت حكم ذلك الخليفة أو النائب. قال: وكذلك الحكم إذا دخلنا على الله الذي هو في بيته الذي هو المسجد كان له الحكم فينا بسبب إضافة البيت إليه ولذلك أمرنا أن نحييه بركعتين وأن لا نعمل فيه إلا ما أذن لنا في عمله.

وقال: إنما كان الإمام لا يحمل عن المأموم شيئاً من الأركان بخلاف السنن لأن الأركان من فروض الأعيان فلا يجزي فيها نفس عن نفس شيئاً بخلاف ما ليس بفرض. قال: وما عدا الفرض وإن كان حقاً من حيث ما هو مشروع فهو على قسمين جعل له بدل وهو سجود السهو وذلك في الأبعاض وقسم هو حق من حيث ترغيب العبد فيه فإن شاء عمل به وإن شاء تركه وليس له بدل كرفع الأيدي في كل خفض ورفع ونحو ذلك فمن سجد في ترك الأبعاض كان له أجر من أنكى عدوه كما أشار إليه خبر: «كانتا ترغيماً للشيطان»، والشيطان من الكافرين وقال تعالى: ﴿وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ﴾ [التوبة: ١٢٠] وقد بسط الشيخ الكلام على تكميل الفرائض من النوافل في الباب السادس والسبعين وثلثمائة، فراجعه فيما سيأتي.

وذكر الشيخ في الكلام على صلاة الجنازة أن من انتقص من صلاته شيئاً فإن الله لا يقبله ناقصاً ولكن يضم بعض الصلوات إلى بعض فإن كانت له مائة صلاة مثلاً وفيها نقص كملت بعضها من بعض، ثم أدخلت حضرة

الحق كاملة فتصير المائة صلاة مثلاً ثمانين صلاة أو خمسين أو عشرين أو عشرة أو غير ذلك. هكذا حكم صلاة الثقلين، وأما صلاة الملائكة والحيوان والجماد والنبات فكلها كاملة لا يدخلها نقص. انتهى والله أعلم.

وسيأتي شرح حديث لا يقبل من صلاة المرء إلا ما عقل منها في الباب السادس والسبعين وثلثمائة فراجعه، وكذلك سيأتي في الباب الأخير من الكتاب ما نصه: اعلم أنه لا يسمى نفلاً إلا ما له أصل في الفرائض وأما ما لا أصل له في الفرائض فهو إنشاء عبادة مستقلة يسميها بعضهم بدعة وسماها الشارع سنة حسنة ولمن سنها أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً. قال: ولما لم يكن من قوة النفل أن يسد مسد الفرض جعل الشارع في نفس النفل فروضاً ليجبر النفل بالفرائض كصلاة النافلة بحكم الأصل، ثم إنها تشتمل على فرائض من ذكر وركوع وسجود مع كونها في الأصل نافلة وهذه الأقوال والأفعال فرائض فيها فيه فعلم أنه لا يصح نفل إلا بعد كمال فرض وأن في النفل عينه فروض ونوافل فيما من الفروض تكمل الفرائض والله أعلم.

وقال: مذهب الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه عدم الفتح على الإمام إذا أرتج عليه ومذهب ابن عمر الفتح، ووجه مذهب علي أن الإمام في مقام النيابة عن الحق تعالى في تلاوة كلامه على العباد، ولا ينبغي لمخلوق أن يكون له على الحق ولاية فافهم.

وقال في حديث: «إذا قال العبد: الله أكبر ـ يعني في صلاته ـ يقول الله تعالى: أنا أكبر، فإذا قال العبد: لا إله إلا أنت فيقول الله: لا إله إلا أنا الخ»: فإذا كان الحق تعالى لا يقول شيئاً من ذلك إلا حتى يقول العبد فالعبد أولى بالاتباع لإمامه انتهى، وهذا استنباط حسن.

(وقال) في فصول الجمعة: الذي أذهب إليه أن صلاة الجمعة قبل الزوال لأنه وقت لم يشرع فيه فرض. قلت: وفي تعليله نظر فليتأمل والله أعلم.

وقال: الذي أذهب إليه أن المسجد إذا كان له ثلاثة مؤذنين أن يؤذن

واحد بعد واحد ولا يؤذن ثلاثة معاً ولا اثنان معاً لأنه خلاف السنة.

(قال): وإذا أذن الثلاثة واحداً بعد واحد يقول الأول حي على الصلاة ويقول الثاني: حي على الصلاة في الجماعة ويقول الثالث: حي على الصلاة في الجماعة في هذا اليوم فيعلم كل مؤذن بحال لم يعلم بها الآخر انتهى، فليتأمل ويحرر.

وقال: الذي أقول به جواز إقامة جمعتين في مصر واحد لأنه لم يأت في المنع من ذلك نص في كتاب ولا سنة، قال: وكذلك أقول إن خطبة الجمعة ليست بفرض إنما هي سنة فإن رسول الله ﷺ ما نص على وجوبها ولا ينبغي لنا أن نشرع وجوبها ولم تزل الأئمة يصلونها بخطبة كما في صلاة العيدين مع إجماعنا أن خطبتهما سنة.

قال: ووجه من قال بالوجوب أنه تأول قوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] يعني سماع المواعظ في الخطبة وهو وجه ظاهر أيضاً. وأطال في ذلك ثم قال: ولما لم يرد لنا نص في إيجاب الخطبة ولا تعيين ما يقال فيها صح عندنا أن لا نجزم بوجوب بل الواجب أن نفعل مثل ما رأينا رسول الله ﷺ يفعل على طريق التأسي لا على طريق الوجوب قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] فنحن مأمورون باتباعه فيما سن وفرض فنجازى من الله فيما فرض جزاء فرضين: فرض الاتباع وفرض الفعل الذي وقع فيه الاتباع، ونجازى فيما سن ولم يفرضه جزاء فرض وسنة فرض الاتباع وسنة الفعل الذي لم يوجبه فإن احتوى ذلك الفعل على فرائض جوزينا جزاء الفرائض بما فيه من الفرائض، ومثال ذلك نافلة لصلاة ونافلة الحج فإنها عبادة تحتوي على أركان وسنن وأما صدقة التطوع فما فيها شيء من الفرائض.

وقال: إنما شرع قراءة سورة الجمعة في صلاة الجمعة لما فيها من المناسبة والاقتداء برسول الله ﷺ، وأما قراءة سبح اسم ربك الأعلى فلما فيها من تنزيه الحق عما يظهر في هذه العبادة من الأفعال وقد سمى نفسه

تعالى أنه يصلي فتسبيحه عن هذا التخيل الذي تتخيل النفس من قوله يصلي فناسب سبح اسم ربك الأعلى وهذا المعنى نظير الوتر فإنها شرعت في صلاة الوتر لينزه عما يتخيل من صورة الوترية المفهومة من المخلوقات. وأما قراءة إذا جاءك المنافقون وسورة الغاشية فلمناسبته لما تضمنته الخطبة من الوعد والوعيد فتكون القراءة في الصلاة تناسب ما ذكره الإمام في الخطبة وقد قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال: شرط من يناجي ربه أن يشاهد بقلبه ومتى تحدث في صلاته مع غير الله فما هو المصلي الذي يناجي ربه ويشاهده بل لا يتجرأ مخلوق قط أن يحدث من هذه حالته.

وقال: يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع وقد غلط من فاضل بينه وبين يوم عرفة وعاشوراء لأن ذلك يرجع إلى مجموع أيام السنة لا إلى أيام الأسبوع ولهذا قد يكون يوم الجمعة يوم عرفة ويوم عاشوراء يوم الجمعة ويوم الجمعة لا يتبدل لا يكون أبداً يوم السبت ولا غيره من الأيام؛ وذلك لأن فضل يوم الجمعة ذاتي لعينه وفضل يوم عرفة وعاشوراء وغيره لأمور عرضت إذا وجدت في أي يوم كان من أيام الأسبوع، كان الفضل لذلك اليوم لهذه الأحوال العوارض ولهذا قال بعضهم: الغسل لأجل اليوم لا لأجل الصلاة.

وقال: إنما قرن البيضة مع الحيوان في حديث التبكير إلى الجمعة لأن منها وفيها تتكون الدجاجة وما في معناه من الحيوان الذي يبيض قال: وإنما ذكر من الحيوان ما يؤكل بلا خلاف من البدنة، والبقرة، والكبش، والدجاجة لأن بذلك تعظم قوة الحياة في الشخص المتغذي فكأن المتقرب بذلك الحيوان تقرب بحياته والتقرب إلى الله تعالى بالنفس أسنى القربات فهذا نكتة كونه لم يذكر في التقرب إلا الحيوان الذي يؤكل دون غيره.

وقال: الذي أقول به إن الساعات التي وردت في فضل الرواح محسوبة من وقت النداء الأول إلى أن يبتدىء الإمام بالخطبة ومن بكر قبل ذلك فله من الأجر بحسب بكوره مما يزيد على البدنة مما لم يوقته الشارع.

قال: والسعي إلى الجمعة سعيان: سعي مندوب إليه وذلك من أول النهار إلى وقت النداء وسعي واجب وهو من وقت النداء إلى أن يدرك الإمام راكعاً من الركعة الثانية.

وقال في فصول صلاة السفر: الذي أقول به إن القصر جائز في كل سفر قريباً كان أو بعيد مباحاً كان أو معصية. وأطال في استدلاله على ذلك.

وقال: قد أجمع العلماء كلهم على جواز الجمع بين الظهر والعصر في أول وقت الظهر بعرفة، وعلى الجمع بين المغرب والعشاء بتأخير المغرب إلى وقت العشاء بمزدلفة. واختلفوا فيما عدا هذين المكانين، والذي أذهب إليه أنه لا يجوز الجمع في غير عرفة ومزدلفة لأن أوقات الصلاة قد ثبتت بلا خلاف ولا يجوز إخراج صلاة عن وقتها إلا بنص غير محتمل إذ لا ينبغي أن يخرج عن أصل ثابت بأمر محتمل هذا لا يقول به من شم رائحة العلم وكل حديث ورد في ذلك فمحتمل أن يتكلم فيه مع احتماله أو هو صحيح لكنه ليس بنص.

قال: وأما الجمع بين الصلاتين في الحضر لغير عذر فهو موافق لقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] ولحديث: «دين الله يسر» ولقول ابن عباس في جمع النبي ﷺ بين الصلاتين في الحضر من غير عذر «إنه أراد أن لا يحرج أمته». قال: وبذلك قال جماعة من أهل الظاهر: وهو مذهب مرجوح وخالفهم الجمهور.

قلت: رأيت في كتاب «رحمة الأمة في اختلاف الأئمة» عن محمد بن سيرين وعن ابن المنذر أنه يجوز لمن وراءه حاجة أن يقدم الصلاة عن وقتها ما لم يتخذ ذلك عادة، وقد وقع لي أنني حكيت هذا المذهب لبعض الإخوان فظن شخص من الحسدة أنني أفتيته به فأشاع عني ذلك في مكة ومصر، هذا مع سماعه مني حكاية قول ابن عباس آخر الأمر من جمع بين صلاتين في الحضر من غير عذر فقد أتى باباً من الكبائر فالله يغفر له ما افتراه بمنه وكرمه والله أعلم.

وقال: الذي أقول به جواز الجمع في الحضر للمريض، ثم قال:

والكسل مرض النفس ومع ذلك فلا يجوز الجمع به وأما من كان مرضه استيلاء الأحوال عليه بحيث يخاف أن يغلب عليه الحال كما يخاف المريض أن يغمى عليه فيجوز له الجمع لأن الحال مرض، والمقام صحة. انتهى فليتأمل ويحرر على ظاهر الشريعة.

وقال في صلاة الخسوف: الذي أذهب إليه أن الإمام مخير في الصور التي ثبتت عن النبي ﷺ فبأي صلاة صلى أجزأته وصحت صلاة الجماعة إلا الرواية التي فيها الانتظار بالسلام فإنه عندي فيها نظر لكون الإمام يصير فيها تابعاً وقد نصبه الله متبوعاً. قال: وسبب توقفي من غير جزم من طريق المعنى أن النبي ﷺ أمر الإمام أن يصلي بصلاة المريض وذوي الحاجة. قال: وقد جاءت الرواية أن الناس كانوا يأتمون بأبي بكر وأبو بكر يأتم برسول الله ﷺ فيحتمل أنه كان يخفف من أجل مرض رسول الله ﷺ فالإمام في مثل هذه الحالة يكون مؤتماً بوجه إماماً بوجه فلهذا لم يترجح عندي نظر في رواية الانتظار، انتهى. فليتأمل ويحرر.

وقال: إذا كثرت وسوسة العبد في الصلاة من الشيطان فحكم صلاته حكم صلاة شدة الخوف فيصلي على المحاربة ولو قطع الصلاة كلها في المحاربة، ويؤدي الأركان الظاهرة كما شرعت بالقدر الذي له من الحضور أنه في الصلاة في باطنه كما يؤدي المجاهد الصلاة حال المسايفة بباطنه كما شرعت بالقدر الذي له من الصلاة في ظاهره بالإيماء بعينيه والتكبير بلسانه في جهاد عدوه الظاهر. قال: وإن وسوس له الشيطان مع ذلك فلا يضره وسوسته كما أنه إذا شرع في الجهاد على الإخلاص ثم عرض له في أثنائه أن يقاتل رياء وسمعة فلا يبالي بذلك لأن الأصل صحيح في أول نشأة القتال فلا ينبغي أن يبطل عمله ويقع في مخالفة قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣] ويوافق غرض الشيطان.

وقال في صلاة المريض: الذي أذهب إليه في دفع المال أن يدفعه من موضع جبهته فقط حال سجوده في الأرض فإذا حال بينه وبين موضع سجوده، فلذلك المأمور أن يدفعه ويقاتله وما زاد على ذلك فلا يلزم المصلي دفعه ولا قتاله والإثم يتعلق بالمار في القدر الذي يسمى بين يديه عند العرب

إذْ لم نجد عن الشارع في ذلك شيئاً. قال: والصلاة صحيحة على كل حال.

وقال: اختلفوا في النفخ في الصلاة: هل هو كلام أو لا؟ ومبناه على أن نفخ عيسى في الطائر بإذن الله هل يقطع حضوره مع ربه؟ الأصح لا يقطع. قال: فمن اعتبر النفخ بدلاً من «كن» جعله كلاماً ومن اعتبره لا بمعنى «كن» بل جعله سبباً لم يجعله كلاماً وما يجعل قوله ﴿بِإِذْنِي﴾ معمولاً لقوله ﴿فَتَكُونُ طَيْرًا﴾ لا لقوله ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ [المائدة: ١١٠] اهـ، فليتأمل ويحرر.

وقال: الذي أقول به إن المصلي يرد السلام على من سلم عليه فإنه ذكر الله وهو من الأذكار المشروعة في التشهد في الصلاة فله أصل يرجع إليه والدعاء في الصلاة جائز وفيه ذكر الناس مثل قوله: اللَّهم اغفر لي ولوالدي، وفي القرآن ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦] فجاء بالفاء فلا ينبغي التأخير ولم يخص صلاة ولا غيرها وكل ذكر الله مشروع بدعاء أو غيره انتهى فليتأمل ويحرر.

وقال: الذي أقول به إن صلاة الناسي والنائم إذا تذكرها وصلاها أداء لا قضاء لأن النائم والناسي غير مخاطب بتلك الصلاة في حال نسيانه ونومه، وليس ذلك وقتها في حقهما حتى يكون قضاء في غير وقتها وأطال في تفاصيل ذلك فراجعه.

قلت: ذكر الشيخ في الباب الثاني والثلاثين وخمسمائة أن كل صلاة لا يحصل فيها حضور قلب فهي ميتة لا روح فيها وإذا لم يكن فيها روح فلا نأخذ بيد صاحبها يوم القيامة، قال: وهذه هي صلاة المنافق المصور الذي يقال له يوم القيامة: أَحْيِ ما خلقت! فلا يقدر، وإيضاح ذلك أن الحق تعالى ما شرع العبادات لمجرد إقامة نشأة صورتها الظاهرة فقط وإنما شرعها لما تدل عليه وتعطيه من المعرفة بالحق تعالى والله تعالى أعلم.

وقال: الذي أقول به: إن تارك الصلاة عامداً لا قضاء عليه لأنه ممن أضله الله على علم وبذلك قالت طائفة مع الإجماع على أنه آثم فينبغي له أن يسلم إسلاماً جديداً ا هـ، فليتأمل ويحرر.

وقال: لا أصل لمشروعية ترتيب الصلوات المنسيات يرجع إليه فإن أوقات الصلاة المنسيات مختلفة ولا يكون الترتيب في القضاء إلا في الوقت الواحد الذي يكون بعينه وقتاً للصلاتين معاً وهذا لا يتصور إلا في مذهب من يقول بالجمع بين الصلاتين فيكون لذلك أصل يرجع إليه في نظره ا هـ. فليتأمل ويحرر.

وقال في سجود السهو: الذي أذهب إليه في موضع السجود للسهو أن المواضع التي سجد فيها رسول الله ﷺ قبل السلام يسجد فيها قبل السلام والمواضع التي سجد فيها بعد السلام يسجد فيها بعد السلام. قال: وأما غير ذلك مما سها فيه المصلي فهو مخير إن شاء سجد لذلك قبل السلام وإن شاء بعد السلام.

قال: والمواضع التي سها فيها رسول الله ﷺ تشريعاً لأمته خمس شك فسجد قام من اثنتين ولم يجلس فسجد سلم من اثنتين ولم يجلس فسجد سلم من اثنتين فسجد سلم من ثلاث فسجد صلى خمساً ساهياً فسجد.

قال: واختلف الناس في سجوده هل سجد للزيادة والنقصان أو لسهوه؟ فمن قائل لسهوه ومن قائل للزيادة والنقصان، والذي أقول به إنه سجد لهما سجدة لسهوه والثانية للزيادة والنقصان.

وقال: إنما شرع للمصلي أن يقول في سجوده: «سبحان ربي الأعلى» ثلاثاً لتكون واحدة لحسه وواحدة لخياله وواحدة لعقله فهو ينزه الحق في محل القرب أن يكون مدركاً بحس أو خيال أو عقل فيرغم بذلك الشيطان.

وقال: إنما شرع جبر السهو بالسجود دون غيره من أفعال الصلاة وأقوالها لأن السهو أغلبه من الشيطان فلا يصح الجبر إلا بصفة لا يتمكن للشيطان أن يدنو من العبد حال تلبسه بها، وهو السجود، إذ الساجد في حال سجوده محفوظ من الشيطان لقربه من شهود ربه، فلو أن الشيطان كان يقترب من العبد في سجوده للسهو لسها في سجوده سهوه وكان يتسلسل

الأمر.

قال: ولهذا لم يرد لنا شرع فيمن سها في سجود سهوه، ثم إنه لو وقع فلا يتعين أن يكون من الشيطان وإذا لم يكن من الشيطان فلا يكون ترغيماً له بخلاف ما إذا كان السهو من فعل الشيطان أو الغيبة فإن السجود يكون ترغيماً على ترغيم الترغيم الأول من كونه سجوداً والترغيم الثاني من حيث كون وسواسه لم يؤثر فيه نقصاً حيث جبر بالسجود فعلم أن السهو لا يلزم أن يكون ولا بد من الشيطان، وإنما شبيه مغيب المصلي عن عبادته فنفس غيبته عنها يكون عنها السهو فإن من أسباب السهو من غير الشيطان غلبة مشاهدة عجائب أحكام الله عز وجل حين تلاوة كلامه من غلبة توحيد أو خوف مزعج أو غير ذلك.

وقال: الذي أقول به إن الإمام لا يحمل سهو المأموم وبه قال مكحول خلافاً للجمهور وذلك لأننا ما رأينا الشارع فرق بين الإمام والمأموم في الأمر بسجود السهو، وإنما ذكر المصلي خاصة ولم يخص حالاً دون حال وقال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥] ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة: ٤٨] و﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨] قال: فمن بحث عن هذا المعنى علم أن الإمام لا يحمل سهو المأموم وأن مكحولاً كحل عينه في هذه المسألة بكحل الإصابة فانجلت عين بصيرته.

وقال: الذي أقول به: إن الإنسان إذا رفع عنه التكليف لغلبة حال أو جنون أو صبا لم يزل عنه خطاب الشرع وخالفني في ذلك الجمهور. قال: وإيضاح ما قلته أنه ما ثم حال ولا صفة في مكلف تخرج عن حكم الشرع فإن الشارع قد أباح للمجنون والصبي ونحوهما التصرف فيما يخطر له ولا حرج عليه فكيف يقال: زال عنه حكم الشرع وهو حكم له بالإباحة كما حكم على المكلف بالإجماع بالإباحة فيما أبيح له والحكم للشرع لا للعقل فما خرج أحد عن حكم الشرع ومعلوم أن أحوال الشرع مبنية على الأحوال لا على الأعيان كما أفتى الإمام مالك بتحريم أكل خنزير البحر تبعاً للاسم وأطال في ذلك.

وقال في حديث: «هل عليّ غيرها؟ قال: لا إلا أن تطوع»: أي فهو عليك فيجب عليك الوفاء بإتمامه كما يجب في فروض الأعيان ودخل في هذا الباب النذر قال تعالى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣]. قال: فينبغي إذا قرأ سورة بعد الفاتحة أن لا يتروى فيما يقرأ بل كل شيء جرى على لسانه قرأ به من سورة أو بعض سورة، فإن الخاطر الأول له مرتبة على الثاني.

(قلت): وذكر الشيخ في الباب الثامن والثمانين وثلثمائة أيضاً ما نصه: أن من أدب العارف إذا قرأ في صلاته المطلقة أن لا يقصد قراءة سورة معينة أو آية معينة لأنه لا يدري أين يسلك به ربه من طريق مناجاته فهو بحسب ما يناجيه من كلامه وبحسب ما يلقي تعالى إليه في خاطره، وأطال في ذلك والله أعلم.

وقال: الذي أذهب إليه في القراءة في ركعتي سنة الفجر أن يسمع نفسه بحيث لا يسمع من يليه وذلك لأن وقتها وقت برزخي فأشبهت النائم في كونه يرى في نفسه أموراً والذي إلى جانبه لا يعرف ما هو فيه فمعاملة ذلك الوقت بمثل هذه القراءة أولى وليفرق أيضاً بينها وبين صلاة الصبح، ومن الحكمة تمييز المراتب وارتفاع اللبس في الأشياء.

وقال في قيام رمضان: الذي أختاره أن يصلي ثلاث عشرة ركعة لما ثبت أنه ﷺ لم يزد في رمضان ولا في غيره على ثلاث عشرة ركعة وكان يطولهن ويحسنهن فيجمع فاعل ذلك بين قيام رمضان وبين الاقتداء برسول الله ﷺ. ثم قال: إن الذين يزيدون على ما قلناه يؤدونه أشأم أداء لا يتمون ركوعه ولا سجوده وفي مثل صلاة هؤلاء قال رسول الله ﷺ للمسيء صلاته «ارجع فصل فإنك لم تصل» فمن عزم على قيام رمضان المسنون المرغب فيه فليقم كما شرع الشارع الصلاة من إتمام ركوعها، وسجودها، والطمأنينة في محالها الأربع، والوقار، والتدبر، والتسبيح؛ وإلا فتركه أولى وأطال في ذلك.

وقال: الذي يتأكد المواظبة عليه من السنن المنطوق بها في السنة ركعتا

الفجر وأربع ركعات من أول النهار وأربع ركعات قبل الظهر وأربع ركعات بعد الظهر، وأربع ركعات قبل العصر، وركعتان قبل المغرب، وست ركعات بعد المغرب وثلاث عشرة ركعة بالليل يوتر بالأخيرة منهن وأربع ركعات بعد صلاة الجمعة فما زاد على ذلك فهو حسن ولكن اتباع السنة في كل الأمور أحسن.

(قلت): ذكر الشيخ في الباب الحادي والعشرين وأربعمائة: ليس للملائكة نافلة إنما هم دائماً في فرائض بعدد أنفاسهم فلا نفل عندهم بخلاف البشر.

وقال في صلاة التحية: الذي أقول إن التحية لا تستحب للداخل للمسجد إلا إن أراد القعود في المسجد فإن وقف أو عبر ولم يرد القعود فإن شاء ركع وإن شاء لم يركع وإن قعدوا لم يركع كره ومن كان حاله دوام الحضور مع الله ينوي بالركعتين الشكر لله حيث جعله من المتقين الذين يدخلون بيته لحديث المسجد بيت كل تقي، فافهم وحرره وإن كان فيه شيء.

وقال في صلاة العيدين: إنما سمي العيدان بذلك لأنه شرع فيهما اللهو واللعب المباح، وحرم فيهما الصيام على المكلف فعادله الأجر في فعل ذلك كما يحصل له ذلك في فعل السنن المشروعة في الصلاة وغيرها. قال: وقال بعضهم إنما سمي العيدان بذلك لعودهما في كل سنة ولو صح ذلك لكانت الصلوات الخمس يسمى يومها عيداً لعودها فيه كل يوم. فإن تعلل قائل ذلك بالزينة في العيدين، قلنا: والزينة مشروعة في كل صلاة وأيضاً فلما عاد الفطر فيه عبادة مفروضة بعد أن كان مباحاً سمي عيداً. وقال: إنما لم يشرع في العيدين الأذان والإقامة، لتوفر دواعي الناس على الخروج في هذين اليومين إلى مصلى العيد مع ما شرع الذكر المستحب للخارجين والأذان والإقامة إنما شرعا للاعلام ليتنبه الغافلون والتهيؤ هنا حاصل.

وقال في صلاة الجنازة: إنما شرعت الصلاة على الميت شفاعة فيه ولهذا شرع تلقين المحتضر ليكون الشافع على علم بتوحيد من يشفع فيه.

(قلت): وسيأتي إن شاء الله تعالى في الباب السادس والسبعين ومائة الكلام على أحوال المحتضرين وأن منهم من ينطق باسم موسى أو عيسى فيظن أنه تهود أو تنصّر والحال أنه ما نطق باسم ذلك النبي إلا فرحاً بقدومه عليه لكونه وارثاً له فراجعه والله أعلم.

وقال: إنما لم نؤمر بغسل الشهيد في معركة الكفار لأنه حي يرزق بنص القرآن ونحن إنما أمرنا بغسل الميت والشهيد حي لا يقال فيه إنه ميت وإنما قال تعالى في الشهداء: ﴿عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] تنبيهاً على أن الشهيد حاضر عند الله والميت إنما يغسل ويطهر ليحضر عند ربه طاهراً ويلقاه في البرزخ على طهارة، والشهيد حاضر عند ربه بمجرد الشهادة فلا يحتاج إلى غسل فافهم. وسيأتي في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة مزيد على ذلك.

وقال: لا يكون الرجل كاملاً في العلم حتى يجمع بين علم الظاهر والباطن، قال تعالى في معرض الذم لقوم ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

(وقال) رضي الله عنه: إنما شرعت الفاتحة في صلاة الجنازة لأن الميت في حال جمعته بلقاء ربه فناسب قراءة الفاتحة لأنها قرآن أي جمع، وأيضاً فلما فيها من الثناء على الله وذكر الثناء بين يدي الشفاعة أمكن لقبول الشفاعة ولذلك ورد أنه ﷺ لما يريد الشفاعة يوم القيامة يتقدم بين يدي الله ويثني على الله تعالى بمحامد يعلمه الله تعالى إياها لا يعلمها الآن ثم يشفع والله أعلم.

وقال: ما شرع الحق سبحانه وتعالى لنا الصلاة على الميت إلا وهو يريد أن يقبل شفاعتنا فيه فإن أذن من الله لنا في الشفاعة فيه وهو تعالى لا يأذن لنا في السؤال وفي علمه أنه لا يقبل سؤالنا قال تعالى: ﴿لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ﴾ [طه: ١٠٩] وقد أذن لنا أن نشفع في هذا الميت بالصلاة عليه فكل مؤمن يتحقق الإجابة بلا شك.

قال: وأما السلام بعد التكبيرة الرابعة فهو سلام انصراف عن الميت أي

لقيت من ربك السلامة فعلم أنه متى ذكر هذا المسلم الميت بسوء فقد كذب يقينه في قوله: السلام عليكم فإنه لم يسلم منه لذكره بسوء بعد موته فافهم وحرره إن كان فيه شيء والله يتولى هداك.

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٦] في هذه الآية تشريف عظيم للملائكة لجمعهم مع الله في ضمير واحد في قوله: ﴿يُصَلُّونَ﴾ وإنما نصب الملائكة بالعطف ليتحقق أن الضمير جامع للمذكور قبله فليتأمل.

وقال: ينبغي للمصلي على الميت إذا شفع فيه بالدعاء عند الله أن لا يخص ذنباً بعينه بل يعم كل ذنب ويعترف عن الميت بجميع السيئات لتعم الميت الرحمة وإن لم يعمم المصلي فالميت تحت المشيئة فإن شاء الحق عمه بالتجاوز والمغفرة، وإن شاء عامل الميت بحسب ما وقعت فيه الشفاعة من الشافع. قال: ولهذا ينبغي للمصلي على الميت أن يسأل الله تعالى له التخليص من العذاب لا في دخول الجنة فقط لأنه مأثم دار ثالثة إنما هي جنة أو نار وإذا سأل في دخول الجنة قبل سؤاله ولكن ربما يرى في الطريق ما يهوله فلهذا كان اشتغال المصلي في شفاعته بأن ينجي الله في ذلك الميت من كل ما يحول بينه وبين استصحاب العافية له أولى للميت وأنفع وفي الحديث: «وعافه واعف عنه» قال: وعلم مما قدمناه أن الشفاعة مقبولة في كل مسلم وأن كل من ظن بمسلم عدم قبول الشفاعة فيه فما عنده من ذلك خير لا والله بل ذلك الميت سعيد ولو كانت ذنوبه عدد الحصى والرمل، أما المختصة بالله تعالى فمغفورة وأما مظالم العباد فإن الله يصلح بين عباده يوم القيامة فعلى كل حال لا بد من الخير ولو بعد حين قبل دخول الجنة فاعلم ذلك.

وقال: رفع الأيدي في التكبيرات مؤذن بالافتقار في كل حال كأن الشافع يقول ما بأيدينا شيء من أحوالنا ولأمر كله لك يا ربنا.

قال: وإنما استقر الأمر في الجنازة على أربع تكبيرات اعتباراً بأن أكثر عدد ركعات الفرائض أربع ومعلوم أنه لا ركوع في صلاة الجنازة بل هن كلها

قيام وكل قيام للقراءة فيها له تكبيرة وأطال في ذلك.

وقال: الذي أقول به: إنه لا ترجيح في مكان وقوف الإمام على الجنازة من رأسه أو وسطه أو رجليه ذكراً كان أو أنثى؛ وذلك لأن مقصود المصلى إنما هو سؤال الله تعالى والحديث معه في الشفاعة في حق هذا الميت وإحضار الميت بين يديه فلا يبالي أين يقوم منه إلا أن يرد عن الشارع فيه شيء فيتبع. قال: وأيضاً فإن التردد في الوقوف يقسم الخاطر عن المقصود ويفرقه عنه لا سيما إن كانت الجنازة أنثى فإنه يتوهم أنه إذا وقف وسطها يسترها بذلك الوقوف عمن خلفه ولا يخطر له ذلك حتى يستحضر في نفسه عورتها فلم يسترها عن نفسه وذلك يقدح في حضور المصلي مع الحق فإنه إنما يستقبل الحق من المصلي قلبه والقلب قد تفرق بيقين باستحضار ما لا ينبغي استحضاره من عورة المرأة؛ وأطال في ذلك.

وقال: الذي أقول جواز الصلاة على القبر من غير مدة معينة لأن شرط الصلاة إنما هو مواراته عن الأبصار بكفن أو بتراب. وأطال في ذلك ثم قال: فإن كان المراد بتلك الصلاة الروح المدبر لهذا الجسم فالروح قد عرج به إلى بارئه وقد فارق الجسد فلا مانع من الصلاة عليه، وإن كان المراد بتلك الصلاة الجسد دون الروح فسواء كان فوق الأرض أو تحت الأرض فإن الشارع ما فرق فكل واحد قد رجع إلى أصله فالتحق الروح منه بالأرواح والتحق العنصري بالعنصر فليتأمل ويحرر.

وقال في حديث «صلوا على من قال: لاإله إلاّ الله»: فربط الشارع صحة الصلاة على الميت بالقول لكلمة التوحيد فمن لا يتصور منه القول أو لم يسمع منه قولها كالصبي الرضيع صلينا عليه فإن الرضيع يلحق بأبيه في الحكم ومن لم يسمع منه يلحق بالدار والدار دار الإسلام وأطال في ذلك.

وقال: الذي أقول به وجوب الصلاة على من قتل نفسه خلافاً لبعضهم في استناده إلى خبر أن الذي قتل نفسه خالد مخلد في النار يعني خلود تأبيد ونحن نقول لم يرد لنا نص في النهي عن الصلاة على من قتل نفسه فيحمل الخبر على من قتل نفسه ولم يصل عليه ولا سيما والأخبار الصحاح

والأصول تقضي بخروج قاتل نفسه والخبر الوارد في خلوده في النار خرج مخرج الزجر أو يحمل على قاتل نفسه من الكفار فإنه لم يقل في الحديث من المؤمنين فتطرق الاحتمال وإذا تطرق الاحتمال رجعنا إلى الأصول فرأينا أن الإيمان قوى السلطان لا يتمكن معه الخلود في النار على التأبيد إلى غير نهاية والأدلة الشرعية تؤخذ من جهات متعددة ويضم بعضها إلى بعض ليقوي بعضها بعضاً. وأما حديث: «بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة»، أي قبل رؤيتي لا سيما من قتل نفسه شوقاً إلى ربه فإن القاتل نفسه لولا ظن الراحة عند ربه ما قتل نفسه ولا بادر إلى ذلك والله يقول: «أنا عند ظن عبدي بي» قال: وهذا هو الأليق أن يحمل عليه لفظ هذا الخبر الإلٰهي إذ لا نص صريحاً يخالف هذاالتأويل وإن ظهر فيه بعد فلبعد الناظر في نظره من الأصول المقررة التي تناقض هذا التأويل فإن في الصحيح «أخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان» فلم يبق إلا ما ذكرناه اهـ فليتأمل ويحرر.

وقال: وجه من منع الصلاة على شهيد المعركة كونه جاء بنص القرآن كحياة زيد وعمرو ومن كان بهذه المثابة فلا يصلى عليه ووجه من قال: يصلى عليه مع اعتقاده إيماناً أنه حي كونه انقطع عمله فهو وإن كان حياً قد انقطع عن العمل فيدعى له فيزاد في درجاته ويصير ذلك كأنه من عمله.

وقال: الذي أقول به في الأطفال المسبيين من أهل الحرب إذا ماتوا، ولم يحصل منهم تمييز ولا عقل بأنه عليهم فإنهم على فطرة الإسلام كما في حديث: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه» قال: وما قلنا أولى ممن قال: لا يصلى عليهم لأن الطفل مأخوذ من الطفل وهو ما ينزل من السماء غدوة وعشية، وهو أضعف من الرش والوبل والسكب فلما كان بهذا الضعف كان مرحوماً والصلاة رحمه فالطفل يصلى عليه إذا مات بكل وجه اهـ فليتأمل ويحرر.

وقال: الوالي أولى من الولي في الصلاة على الجنازة لأن النبي ﷺ صلى على الجنائز ولم ينقل عنه قط أنه اعتبر الولي ولا سأل عنه، وقدم

الحسين بن علي سعيد بن العاص وهو والي المدينة في الصلاة على الحسن بن علي. قال: وإلحاقه في هذه المسألة بصلاة الجماعة وصلاة الجمعة أولى من إلحاقه بالولي في مواراته ودفنه وذلك أن الوالي له إطلاق الحكم في العموم والخصوص فهو أقوى ممن له الحكم في بعض الأمور فهو أولى بالشفاعة عند الله في الميت فإنه نائب الشارع ونظر الشارع إلى من استخلفه أعظم من نظره إلى غيره وكلامه أقبل عنده لكونه فوض إليه الحكم فيه ولاه.

وقال في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٤٣] إنما فصل تعالى بين صلاته علينا وبين صلاة الملائكة دون صلاته تعالى على محمد ﷺ في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦] بياناً لتخصيصه ﷺ على غيره من الخلق مع أنه ﷺ دخل معنا أيضاً في صلاة الحق في قوله: «عليكم» فحصل له ﷺ الصلاة عليه جمعاً وإفراداً.

وقال: من غيرة الله تعالى أنه ما من مخلوق إلا ولمخلوق آخر عليه يد بوجه ما، فإن أراد مخلوق الفخر على مخلوق بما أسداه إليه من الخير نكس رأسه ما كان من مخلوق آخر إليه لتكون المنة لله وحده ولذلك قال ﷺ للأنصار لما ذكر لهم أن الله تعالى هداهم به ﷺ: «لو شئتم لقلتم وجدناك طريداً فآويناك وضعيفاً فنصرناك» الحديث. فذكر ما كان منهم في حقه ﷺ وكان الله قادراً على نصره من غير سبب ولكن فعل ما تقتضيه الحكمة من ربط الأسباب بعضها ببعض. قال: وهذا من أسرار المعرفة فاجعل بالك له.

وقال في قوله تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [النور: ٣٦] الآية: معنى رفعها تمييزها عن البيوت المنسوبة إلى الخلق ويذكر فيها اسمه أي بالأذان، والإقامة، والتلاوة والذكر والموعظة ﴿يُسَبِّحُ﴾ أي يصلي ﴿لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ﴾ إنما لم يذكر النساء لأن الرجل يتضمن المرأة فإن حواء جزء من آدم فاكتفى بذكر الرجال عن النساء تشريفاً للرجال ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ﴾ أي لا تشغلهم ﴿تِجَٰرَةٌ﴾ أي بيع وشراء ﴿وَلَا بَيْعٌ﴾ [النور: ٣٧] أي وحدة وأطال في تفاصيل ذلك.

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] إنما كانت كذلك لأن المصلي بمجرد الإحرام بها يحرم عليه التصرف في غير الصلاة ما دام في الصلاة فنهاه ذلك الإحرام عن الفحشاء والمنكر فانتهى فصح له أجر من عمل بأمر الله وطاعته وأجر من انتهى عن محارم الله في نفس الصلاة وإن لم ينو هو ذلك فانظر ما شرف الصلاة كيف أعطت هذه المسألة العجيبة وقليل من أصحابنا من تفطن لها.

وقال: من تعدى إلى غيره وهو محتاج إليها فهو عاص وصدقته لهواه لا لله لأن الشارع قال له: «ابدأ بنفسك» وإذا خرج الإنسان بصدقته فأول ما يلقاه نفسه قبل كل نفس وهو إنما خرج بها للمحتاجين وقد شرع الحق لنا أيضاً أن نبدأ في الهدية بالأقرب فالأقرب من الجيران فإن رجحنا الأبعد فقد اتبعنا الهوى وما وقفنا عند حدود ربنا.

وقال في قوله ﷺ في حق قوم: «ينصب لهم يوم القيامة منابر في الموقف ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء»: المراد بالشهداء هنا الرسل إذ هم شهداء على أممهم وإنما كانوا يغبطون هؤلاء القوم لما هم فيه من الراحة، وعدم الحزن والخوف في ذلك الموطن لأنهم لم يكن لهم أمم ولا أتباع كالأنبياء والرسل والأئمة المجتهدين، فهم آمنون على أنفسهم والأنبياء والأئمة خائفون على أممهم وأتباعهم، فلذلك ارتفع الخوف والحزن عن هؤلاء القوم في ذلك اليوم في حق غيرهم والأنبياء تخاف على أممها دون أنفسها. وقال: وهذه مسألة عظيمة الخطب جليلة القدر لم نر أحداً ممن تقدمنا تعرض لها ولا قال فيها مثل ما قلنا إلا إن كان وما وصل إلينا.

وقال في الباب السبعين في أسرار الزكاة في قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [المزمل: ٢٠]: القرض الحسن هنا هو صدقة التطوع فورد الأمر بالقرض لله كما ورد بإعطاء الزكاة وأطال في الاستدلال على ذلك ثم قال: والزكاة المفروضة والصدقة لفظان بمعنى واحد قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]. وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠] فسماها صدقة لكن الواجب منها يسمى زكاة وصدقة وغير الواجب منها يسمى صدقة التطوع ولا يسمى

زكاة شرعاً أي لم يطلق عليه الشرع هذه اللفظة مع وجود المعنى فيها من النمو والبركة والتطهير. قال: وإنما سماها الله صدقة تنبيهاً على أنها أمر شديد على النفس تقول العرب: رمح صدق أي صلب شديد قوي إذ النفس تجد لإخراج هذا المال شدة وحرجاً كما قال ثعلبة بن حاطب. وأطال في ذلك.

ثم قال: ولو أن ثعلبة قال حين قال: ﴿لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [التوبة: ٧٥] إن شاء الله تعالى لفعل ولم يبخل.

قال: وإنما لم يأخذها منه النبي ﷺ لإخبار الله تعالى أن ثعلبة يلقاه منافقاً والصدقة تزكي وتطهر مّن أخرجها والمنافق لا يطهر ولا يزكى فلهذا لم يتمكن لرسول الله ﷺ أخذها منه وكذلك لم يأخذها منه أبو بكر ولا عمر رضي الله عنهما فلما ولي عثمان رضي الله عنه أخذها منه متأولاً، وقال: إنها حق الأصناف الذين أوجب الله تعالى لهم هذا القدر في عين هذا المال.

(قال الشيخ): وهذا الفعل من جملة ما انتقد على عثمان رضي الله عنه ولا ينبغي الانتقاد عليه لأنه مجتهد فعل ما أداه إليه اجتهاد، وقد قرر الشارع حكم المجتهد ولم ينه رسول الله ﷺ أحداً من أمرائه أن يأخذ من هذا الشخص صدقته ولا يلزم غير النبي ﷺ أن يطهر ويزكي مؤدي الزكاة فهو يأخذها للأمر العام بإعطائها وإن كان ذلك لا يطهر المتصدق والله أعلم.

وقال في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٥] إنما خصّ الكي بهذه الثلاثة أعضاء والله أعلم، لأن السائل إذا رآه صاحب المال مقبلاً إليه انقبضت أسارير جبهته لعلمه أنه جاء يسأله من ماله فتكوى جبهته ثم إن المسؤول يتغافل على السائل، ويعطيه جانبه كأنه ما عنده له خير فيكوى بها جنبه فإذا عرف من السائل أنه يطلب منه ولا بد أعطاه ظهره وانصرف فهذا حكم مانعي زكاة الذهب والفضة. وأطال في ذلك، ثم قال: ونرجو من فضل الله تعالى أن يضاعف الأجر لمن أخرج صدقته بمشقة على نفسه فيكون له أجر المشقة وأجر الإخراج كما ورد في الذي يتتعتع عليه القرآن أنه يضاعف له الأجر

للمشقة التي تناله في تحصيله ودرسه فله أجر المشقة وأجر التلاوة. وقال: ولا يخفى أن الذي يخرجها بغير مشقة أكثر مضاعفة بما لا يقاس ولا يحد.

وقال في قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «والله لو منعوني عقالاً» الحديث: اعلم أن العقل مأخوذ من عقال الدابة وإن كان على حقيقة عقال الدابة مأخوذ من العقل، لأن العقل متقدم على عقال الدابة فإنه لولا ما عقل أن هذا الحبل إذا شدت به الدابة قيدها عن السراح ما سماه عقالاً.

وقال: الذي أقول به إن الزكاة لا تجب على الكافر ومع ذلك إن جاء بها إلينا قبلناها منه وجعلناها في بيت مال المسلمين ومن ردها عليه فقد عصى أمر رسول الله ﷺ.

وقال: الذي أقول به إنه لا يجب على المالك إخراج الزكاة عن ماله الذي هو في ذمة الغير وهو الدين حتى يقبض، يمر عليه وهو في يد القابض وقال: زكاة العلم تعليمه فمن جاءه طالب صادق متعطش فسأله عن مسألة هو بها جاهل وجب عليه تعليمه كوجوب الزكاة بكمال الحول والنصاب فإن لم يعلمه ما سأله فيه من العلم فلا بد أن الله تعالى يسلب العالم تلك المسألة ولو بعد حين حتى يبقى جاهلاً بها فيطلبها في نفسه فلا يجدها عقوبة له.

وقال: المستحب أن يقدم في العطاء من الأصناف الثمانية من قدمه الله في الذكر قياساً على البداءة في الطواف بالصفا وكذلك كل شيء قدمه الله في الذكر نحو ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [يونس: ٢٢] ومن ألزم ذلك رأى خيراً في جميع أحواله.

وقال في قوله ﷺ: «المعتدي في الصدقة كمانعها»: أي لأن تكليف النفس مالاً ينفرها عن فعله مرة أخرى فكان مانعاً لها من الخير في أعين ما أراده من الخير.

وقال في قول أحد الملكين: «اللّٰهم أعط منفقاً خلفاً» وقول الآخر: «اللّٰهم أعط ممسكاً تلفاً»: اعلم أن الملائكة لسان خير صرف فما معنى قول الملائكة: اللّٰهم أعط ممسكاً تلفاً أي مثل ما أعطيت فلاناً المنفق حتى أتلف ماله الذي كان عنده فتخلفه عليه كما أخلفته على المنفق كأنه يقول: اللّٰهم

ارزق الممسك الإنفاق حتى ينفق وإن كنت يا ربنا لم تقسم له أن ينفقه باختياره فأتلف ماله حتى تأجره فيه أجر المصاب فيصيب فهو دعاء له بالخير لا كما يظنه من لا معرفة له بمراتب الملائكة فإن الملك لا يدعو قط على أحد بشر ولا سيما في حق المؤمن.

قال: ولا شك أن دعاء المؤمن مجاب لوجهين: الأول: لطهارته، والثاني: أنه دعاء في حق الغير بلسان لم يعص الله به وهو لسان الملك وأطال في ذلك.

وقال في حديث الترمذي إن رسول الله ﷺ قال: «إن الصدقة تطفىء غضب الرب وترفع ميتة السوء»: اعلم أن غضب الله يحمل على الوجه الذي يليق به فإن الغضب الذي خاطبنا به معلوم عندنا بلا شك ولكنا جهلنا النسبة خاصة لجهلنا بالمنسوب إليه لا بالمنسوب الذي هو الغضب. قال: ولا يقال يحمل على معنى لا نفهمه لأنه يؤدي إلى أن الحق تعالى خاطبنا بما لا نفهم فلا يكون له أثر فينا ولا موعظة والمقصود الإفهام بما نعلم لنتعظ به. قال: وأما ميتة السوء فهو أن يموت الإنسان على حالة تؤديه إلى الشقاء إذ الحق تعالى لا يغضب إلا على شقي.

وقال في قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران: ٩٢]: يدخل في ذلك إنفاق العبد قواه في سبيل الله، فإن نفسه أحب الأمور إليه فمن أنفقها في سبيل الله فله الجنة.

وقال: طلب العبد الأجر من الله لا يخرجه عن عبوديته فإن العبد في صورة أجير ما هو أجير إذ الأجير حقيقة من استؤجر وهو أجنبي والسيد لا يستأجر عبده وإنما العمل يقتضي الأجرة ولكن أخذها لا يتصور من العمل وإنما يأخذها العامل الذي هو العبد وهو قابض الأجرة من سيده فأشبه الأجير في قبضه الأجرة وفارقه بالاستئجار فليتأمل.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠]: يدخل فيه السائل في العلم إذا كان أهلاً لما سأله فيتصدق العالم عليه بالعلم ويحتسب تلك الصدقة عند الله لا يرى له بها فضلاً على من علمه ولا يطلب

منه خدمة ولا أدباً في نظيرها فإن فعل ذلك لم يحتسب ذلك عند الله، قال الشيخ: ولقد لقينا أشياخنا كلهم على ذلك وهي طريقتنا إن شاء الله تعالى.

وقال في مسألة الغني الشاكر والفقير الصابر: وهي مسألة طويلة وغاية ما قال الناس فيها: إن الغني أفضل لتصدقه، والذي عندي في ذلك أنه إنما كان أفضل لأجل سبقه إلى مقام الفقر ومسارعته إليه بالصدقة فله زيادة أجر، ومثل ذلك مثل رجلين عند كل واحد منهما عشرة دنانير فتصدق أحدهما من العشرة بدينار واحد وتصدق الآخر بتسعة دنانير من العشرة فغالب الناس يقول صاحب التسعة أفضل فافهم روح المسألة فإنا فرضنا مال الرجلين على التساوي وإنما وجه التفضيل أن الذي تصدق بالأكثر كان دخوله إلى مقام الفقر أكثر من صاحبه ففضل بسبقه إلى جانب الفقر لا غير؛ قال: وهذا لا ينكره من له ذوق في المقامات، والأحوال، والكشوفات وبهذا فضلوا على غيرهم؛ ولو أنه تصدق بالكل وبقي على أصله لا شيء له كان أعلى فنقصه من الدرجة على قدر ما أمسكه والسلام.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [المزمل: ٢٠] القرض الحسن أن لا يطلب مضاعفة الأجر وإنما يقرض لأجل أمر الله تعالى له بالإحسان.

وقال في حديث الذي تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه: في هذا الحديث أنّ جوارح الإنسان تعلم بالأشياء ولهذا وصفها الله تعالى بأنها تشهد يوم القيامة بقوله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾ [النور: ٢٤] فافهم. ثم اعلم أن إخفاءها يكون على وجوه: منها أن لا يعلم بك من تصدقت عليه بأن أعطيتها لشخص فأعطاها لذلك الفقير من غير أن يعلمه؛ ومنها أن تعطي صدقتك لعامل لسلطان فيعطيها للأصناف الثمانية فلا يعلم الفقير من رب ذلك المال الذي أخذه على التعيين فلم يكن لهذا المتصدق على الفقير منه ولا عزة نفس. قال: وليس في الإخفاء أخفى من هذا.

وقال في حديث مسلم: «أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح

شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا» الحديث: اعلم أنه ينبغي لمن وصل إلى هذا الحد وأراد أن يعطي أحداً شيئاً فليحضر في نفسه أنه مؤد أمانة لصاحبها فيحشر مع الأمناء المؤدين أمانتهم لا مع المتصدقين لفوات محل الأفضل والله أعلم.

وقال في حديث: «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»: المراد بالأفضل الذي أعطيه هذا هو العلم بالله فإنه أفضل ما أعطي السائلين بيقين وأما غيره فهو على الظن. وقال: إنما ذكر الحق تعالى أنه يأخذ الصدقات ليتنبه المتصدق فيعطي للفقير الأشياء النفيسة وذلك أن المنادي ينادي يوم القيامة: أين ما أعطي لله؟ فيؤتى بالكسر اليابسة والفلوس والخلع من الثياب ثم ينادي: أين ما أعطي لغير وجه الله؟ فيؤتى بالأموال الجسام والأطعمة النفيسة فيذوب الناس من الخجل.

وقال: كلما كبر جسم الطفل صغر عمره وكلما صغر جسمه كبر عمره فزيادته نقصه ونقصه زيادته فلا ينفك من إضافة الكبر والصغر إليه فانظر ما أعجب هذا التدبير الإلٰهي.

وقال في الباب الحادي والسبعين في أسرار الصوم: إنما قال تعالى: «الصوم لي» غيرة إلٰهية أن يتلبس العبد بصفته تعالى فإن الصوم صفة صمدانية ولذلك ورد في الصوم أنه لا مثل له أي من العبادات وذلك لأنه وصف سلبي إذ هو ترك المفطرات فلا عين له تتصف بالوجود الذي هو يعقل فهو على الحقيقة لا عبادة ولا عمل وإن أطلق ذلك عليه فهو مجاز وإن وصف العبد به فهو مقيد لا مطلق ذلك عليه كالحق لأن الحق منزه عن الغذاء مطلقاً والعبد إنما هو منزه عنه في وقت مخصوص. وأطال في ذلك.

وقال في حديث: «لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»: لم يبلغنا أن الله تعالى أعطى أحداً من الخلق إدراك شم رائحة الخلوف كالمسك ولا سمعنا بذلك عن أحد ولا ذقناه في نفوسنا بل المنقول عن الكمل من الناس والملائكة التأذي بالروائح الخبيثة.

قال: وما انفرد بإدراكها أطيب من ريح المسك إلا الحق تعالى؛ على

أن أفعل التفضيل في جانب الحق محال لتساوي الروائح كلها عنده إذ اختلاف الروائح تابع للمزاج والحق منزه عن ذلك، قال: ولا أدري هل للحيوان أن يدرك رائحة الخلوف متغيرة أم لا؟ لأني ما أقامني الحق تعالى في صورة حيوان غير إنسان كما أقامني في أوقات في صورة الملائكة فتأمله وحرره والله عليم حكيم.

وقال في حديث: «يدع طعامه وشرابه من أجلي»: إنما قدم الطعام على الشراب في الذكر لأن الطعام هو الأصل في الغذاء وأما الشراب فيمكن تركه لأن العطش من الشهوات الكاذبة فمن عود نفسه الإمساك عن الماء وإن عطشت أقام واللّهِ الشهور والسنين لا يشتهيه من غير تأثير في المزاج ولا في البدن وتقنع الطبيعة بما تستمد من الرطوبات التي في الطعام. وأطال في ذلك الكلام على آداب الخلوة.

وقال في حديث: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنان وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين»: وجه مناسبة الصوم لفتح أبواب الجنان كون الصائم دخل في عمل مستور ليس له عين وجودية كما مر' أول الباب فيظهر للبصر ولا هو بعمل للجوارح على ما مر والجنة مأخوذة من الستر، والخفاء. وأما وجه مناسبة غلق أبواب النار للصائم فإن النار إذا غلقت أبوابها تضاعف حرها وأكل بعضها بعضاً وكذلك الصائم إذا صام غلق أبواب نار طبيعته فوجد للصوم حرارة زائد لعدم استعمال المرطبات ووجد ألم ذلك في باطنه فقويت نار شهوته بغلق باب تناول الأطعمة والأشربة وصفدت الشياطين التي هي صفات البعد عن الله لقربه حينئذ من الصفة الصمدانية وأطال في ذلك.

وقال: الذي أقول به وهو مذهب ابن الشخير أيضاً: إذا غم علينا شهر رمضان أن لا نعمل بأكبر المقدارين وإنما نسأل أهل التسيير عن منزلة القمر فإن كان على درج الرؤية وغم علينا عملنا عليه وإن كان على غير درج الرؤية كملنا العدة ثلاثين.

وقال: وجه من قال بكراهة الصوم مع الجنابة أنّ الصوم يوجب القرب من صفات الله والجنابة بعد عن حضرته فكما لا يجتمع القرب والبعد كذلك

لا يجتمع الصوم والجنابة. ووجه من قال بعدم الكراهة أنه راعى حكم الطبيعة وقال: الصوم نسبة إلٰهية فأثبت كل أمر في موضعه.

وقال في الكلام على كفارة الجماع: قال بعضهم: الذي يترجح في خصال الكفارة ما كان أشق على النفس لأن المقصود بالحدود والعقوبات إنما هو الزجر. قال الشيخ: والذي أقول به: إنه يفعل الأهون من الكفارة لأن الدين يسر ولكن إن فعل الأشق من قبل نفسه كان حسناً لأن كون الحدود وضعت للزجر ما فيه نص من الله ولا رسوله، وإنما اقتضاه النظر الفكري وقد يصيب في ذلك وقد يخطىء وبعض الكبائر لم يشرع فيها حد مطلقاً فلو كانت الحدود زواجر لكانت العقوبة تزيد بحسب كثرة الضرر في العالم.

وقال: الذي أقول به: إنه لا كفارة على المرأة إذا طاوعت زوجها في الجماع في الصوم لأن رسول الله ﷺ لم يتعرض للمرأة في حديث الأعرابي ولا سأل عن ذلك ولا ينبغي للمؤمن أن يشرع شيئاً فيما سكت عنه الشارع.

وقال: الذي أقول به: إن العارف إذا كشف له أنه يمرض غداً فلا يجوز له المبادرة إلى الفطر في ذلك اليوم حتى يتلبس بالسبب لأن الله تعالى ما شرع له الفطر إلا حال المرض. قال: ونظير ذلك من كشف له عما يقع فيه من المعاصي ولا بد لا ينبغي له المبادرة ولو علم أن الله تعالى لا يؤاخذه لأن الله قد راعى حكم الشرع في الظاهر على أن هذا الأمر ليس عندنا بواقع أصلاً وإن كان جائزاً عقلاً، وأطال في ذلك.

وقال: إنما كان ﷺ يقدم الرطب على التمر إذا أفطر في رمضان لأن الرطب أحدث عهد بربه كما قال ذلك حين اغتسل في المطر، وقال: «السحر ما بين الفجر الصادق والكاذب» لأنه له وجه إلى النهار ووجه إلى الليل ولذلك كان السحور مشتقاً من السحر فلا يسمى سحور إلا ما كان في هذا الوقت. (وقال) الذي أقول به: إن المفطر من صوم التطوع إن كان لهوى نفسه فعليه القضاء، وإن كان لشغله بمقام أو حال فلا قضاء عليه.

وقال في حديث مسلم: «صوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله» أي فلا يؤاخذ من صامه بشيء مما جناه في السنة كلها وإنما

قال: «أحتسب على الله» مع أنه على علم من الله أنه يكفر ذلك أدباً مع الله لأن العارف إذا قال أحتسب على الله لا يريد بها حسن الظن بالله فقط وإنما يقولها عن تحقيق كما قال ﷺ: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» فاستثنى في أمر مقطوع به فالاستثناء في نحو ذلك أدب إلٰهي والله أعلم.

وقال في حديث «وأتبعه بست من شوال»: اعلم أن هذه الأيام بدل من الستة أيام التي نهى عن صيامها وهي يوما العيد وثلاثة أيام التشريق، ويوم الشك، قال: وأما حديث «إذا انتصف شعبان فلا تصوموا» فلأن في ليلة النصف من شعبان يكتب الله لملك الموت فيها من يقبض روحه في تلك السنة فيخط على اسم الشقي خطاً أسود وعلى اسم السعيد خطاً أبيض فيعرف ملك الموت بذلك السعيد من الشقي فكان الموت بعد هذه الليلة للمؤمن مشهوداً حتى كأنه محتضر سكران فنهاه الشارع عن الصوم رفقاً به ورحمة. انتهى، فليتأمل ويحرر.

وقال: دليل من أباح الصوم أيام التشريق قوله ﷺ: «لا يصح صوم يومين: يوم عيد الفطر ويوم الأضحى». قال: لأن الخطاب يقتضي أن ما عدا هذين اليومين يصح الصيام فيهما وإلاّ كان تخصيصهما عبثاً.

وقال: من كان في مقام السلوك ودعي إلى طعام أو شراب وهو صائم فلا ينبغي له الفطر لئلا يعود نفسه نقض العهد مع الله بخلاف العارف الكامل له الفطر بلا كراهة لإحكامه رياضة نفسه.

وقال: كان داود يصوم يوماً، ويفطر يوماً وكانت مريم تصوم يومين وتفطر يوماً لأنها رأت أن للرجال عليها درجة فقالت: عسى يكون هذا اليوم الثاني من الصوم في مقابلة تلك الدرجة؛ وكذلك كان فإن النبي ﷺ شهد لها بالكمال كما شهد للرجال وذلك أنها لما رأت أن شهادة المرأتين تعدل شهادة رجل واحد قالت: صوم اليومين بمنزلة اليوم الواحد من الرجل فنالت مقام داود في ذلك وساوته في الفضيلة. وأطال في الكلام على صوم ولدها عيسى عليه السلام الدهر كله.

وقال في حديث: «من فطر صائماً فله مثل أجره» أي أجر فطره لا أجر

صومه لأن الصائم له أجر في فطره كما كان له في صومه إذ الفطر عند الغروب من تمام الصوم، ومن أعان شخصاً على عمل كان مشاركاً له فيما يؤدي إليه ذلك العمل من الخير مشاركة لا توجب نقصاً كما أن كل نبي يعطى أجر الأمة التي بعث إليها سواء آمنوا به أو كفروا. وأطال في ذلك.

وقال في حديث: «كان ﷺ إذا دخل العشر الآخر من رمضان أحيا ليله وأيقظ أهله» المراد إحياؤه بالصلاة فيه هذا هو المعروف من قيام الليل في العرف الشرعي.

وقال: الذي أقول به: إن ليلة القدر تدور في السنة كلها، قال: لأني رأيتها في شعبان وفي شهر ربيع وفي شهر رمضان، ولكن أكثر ما رأيتها في رمضان وفي العشر الآخر منه ورأيتها مرة في العشر الأوسط منه غير ليلة وتر وفي الوتر منها، فأنا على يقين من أنها تدور في السنة في وتر وشفع من الشهر الذي ترى فيه ولم ينقل إلينا أن أحداً رأى ليلة القدر في العشر الأول من رمضان أبداً وذلك لأنها ليلة تجل إلٰهي ولم يرد لنا حديث في أن الحق تعالى يتجلى لنا في الثلث الأول من الليل أبداً.

(قلت): ورد أن الله تعالى يتجلى ليلة الجمعة من غروب الشمس إلى صلاة الفجر فربما كشف الله عن قلب بعض الناس فيرى ذلك التجلي فيعتقد أنها ليلة القدر ولعلها شبهة من يقول: إذا وافق الوتر من رمضان ليلة الجمعة كانت قدراً والله أعلم.

وقال: الذي أقول به جواز الاعتكاف في غير المسجد إلا أنه خلاف الأفضل، وإذا اعتكف في غير المسجد جاز له مباشرة النساء بخلاف المسجد لا يجوز له ذلك لأن الشهود للحق الذي هو شرط في الاعتكاف يبطل بالرجوع إلى حظوظ النفس فلا يجتمع شهود الحق والنفس ومن هنا حرم الأكل في الصلاة فافهم.

وقال في الباب الثاني والسبعين في أسرار الحج: أركان البيت على عدد الخواطر الأربعة إلٰهي، وملكي، ونفسي، وشيطاني فالإلٰهي ركن الحجر والملكي الركن اليماني والنفسي المكعب الذي في الحجر والشيطاني الركن

العراقي ولذلك شرع أن يقال عنده أعوذ بالله من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق، وبالذكر المشروع في كل ركن يعرف العارفون مراتب الأركان.

وقال: الذي أقول به: إن الطفل إذا حج ثم مات ولم يبلغ كتب الله له تلك الحجة عن فريضته كما قال ﷺ في الصبي الذي رفعته أمه وقالت: يا رسول الله ألهذا حج، قال: «نعم ولك أجر» فإنه نسب الحج لمن لا قصد له فيه عند من لا كشف عنده من العلماء؛ وعندنا أن الشارع لولا علم قصده بوجه ما صح أن ينسب الحج إليه وكان ذلك كذباً.

قال الشيخ: وقد اتفق لي مع بنت كانت لي عمرها دون سنة قلت لها: يا بنية! فأصغت إليَّ: ما تقولين في رجل جامع امرأته فلم ينزل ماذا يجب عليه؟ فقالت: يجب عليه الغسل فغشي على جدتها من نطقها هذا شهدته بنفسي وأطال في ذلك. وسيأتي بسط القصة في الباب الثمانين وأربعمائة إن شاء الله تعالى وعدد من تكلم في المهد، فراجعه.

وقال: الذي أقول به في وجوب الحج على العبد إن استطاع إليه سبيلاً لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧] نعم ولم يقل الأحرار منهم. قال: وإن منعه السيد أثم؛ انتهى فليتأمل، ويحرر هو وما قبله.

وقال: إنما حرم المخيط على الرجل في الإحرام دون المرأة لأن الرجل وإن كان خلق من مركب فهو إلى البسائط أقرب وأما المرأة فقد خلقت من مركب محقق فإنها خلقت من الرجل فبعدت من البسائط، والمخيط تركيب، فقيل للمرأة: أبقي على أصلك لا تلحقين الرجل وقيل للرجل: ارتفع عن تركيبك فهذا سبب أمره بالتجرد عن المخيط ليقرب من بسيطه الذي لا مخيط فيه وإن كان مركباً من حيث إنه منسوخ ولكنه أقرب إلى الهباء من القميص والسراويل وكل مخيط وإنما جاز الإزار والرداء للمحرم لأنهما غير مخيطين فلم يكونا مركبين ولهذا وصف الحق تعالى نفسه بهما دون القميص والسراويل فقال: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري».

وقال: وإنما كان لبس النعل في الإحرام هو الأصل فلا يلبس الخف

إلا إذا عدم النعل لأن النعل ما جاء اتخاذه إلا للزينة والوقاية من الأذى الأرضي فإذا عدم عدل إلى الخف فإذا زال اسم الخف بالقطع لم يلحق بدرجة النعل لستره ظاهر الرجل فهو لا خف ولا نعل فحكمه مسكوت عنه كمن يمشي حافياً لأنه لا خلاف في صحة إحرامه وهو مسكوت عنه وكل ما سكت عنه الشرع فهو عافية وقد جاء الأمر بقطع الخف فالتحق بالمنطوق وتعين الأخذ به فإنه ما قطعهما المحرم إلا ليلحقهما بدرجة النعل فلما لم يلحقا به لسترهما ظاهر الرجل فارقا النعل ولما لم يستر الساق فارقا الخف فالمقطوع لا هو خف ولا هو نعل كما قررناه انتهى، فليتأمل ويحرر.

وقال: الذي أقول به في لبس المحرم المعصفر إنه إن لبسه عند الإحرام قبل عقده فله أن يبقى عليه ما لم يرد نص باجتنابه وإن لبسه ابتداء في زمان بقاء الإحرام فعليه الفدية وإن لبسه عند الإحلال جاز، هذا هو الأظهر عندي إلا أن يرد نص جلي في النهي عن المعصفر ابتداء وانتهاء، وما بينهما فنقف عنده، على أني أقول: إن تطيبه ﷺ عند الإحرام وعند الحل ليس هو متعيناً لأجل إحرامه وحله فإنه من قول عائشة لا من قول رسول الله ﷺ، كما يأتي فهو أمر فهمته على حسب ما اقتضاه نظرها أو عن نص صريح منه لها في ذلك فتطرق الاحتمال. ثم قال: والذي أقول به استحباب بقاء الطيب الذي دخل به في الإحرام وعدم طلب إزالته ولو وجدت رائحته لأنه ﷺ لم يغسله، وقول عائشة: «طيبت رسول الله ﷺ لحله وإحرامه» إنما أرادت به قبل وجود الإحرام منه وقبل التحلل فإنها لم تقل طيبته لآخر إحرامه حين قرب انقضاؤه وتعقبه الاحلال وإنما راعت الإحلال في آخر أفعال الحج وهو طواف الإفاضة انتهى. وهو كلام يحتاج إلى تحرير.

وقال: إذا جامع المحرم قبل الوقوف بعرفة وبعد الإحرام، فالحكم فيه عند العلماء قاطبة الفساد كحكمه بعد الوقوف، قال: ولا أعرف لهم دليلاً على ذلك، ونحن وإن قلنا بقولهم واتبعناهم في ذلك فإن النظر يقتضي أن الوطء إذا وقع قبل الوقوف أنه يرفض ما مضى ويجدد الإحرام ويهدي فإن كان بعد فوات الوقوف فلا لأنه لم يبق للوقوف زمان وهناك بقي زمان

للإحرام؛ لكن ما قال بهذا أحد فتبعنا أصحاب الإجماع في إطلاقهم الفساد.

قلت: الذي يظهر لي أن النكتة في ذلك التغليظ عليه لعظم حرمة الحج والله تعالى أعلم.

وقال: الذي أقول به وجوب رفع الصوت بالتلبية مرة واحدة وما زاد على الواحدة فهو مستحب. وقال: الذي أقول به عدم وجوب الخروج للحل على من كان في الحرم لحج أو عمرة بل يصح إحرامه بهما من الحرم، وأما استدلالهم بقصد خروج السيدة عائشة إلى التنعيم فإنما هو لأجل كونها كانت آفاقية وحاضت فخرجت لتقضي صورة ما فاتها، وأطال في ذلك فليتأمل ويحرر.

وقال: قد تميزت الكعبة على العرش والبيت المعمور بالحجر الأسود يمين الله في الأرض. وأطال في ذلك وقال: بيت الله لا يقبل التحجير فما بقي من الكعبة في الحجر هو بيت الله تعالى الأصح وما حجر عليه فهو بيته الصحيح فمن دخل القطعة التي في الحجر دخل البيت ومن صلى فيه صلّى في البيت ولا حكم لبني شيبة ولا غيرهم عليه فاستغنى العارفون عن منتهم.

وقال: يوم عرفة محسوب من الزوال إلى طلوع الفجر من ليلة العيد فنقص عن سائر الأيام الزمانية. قال: وقد أجمع الشرع والعرف على تأخير ليلة عرفة عن يومها لقول الشارع: «من أدرك ليلة جمع قبل الفجر فقد أدرك الحج والحج عرفة» فهذا سبب تأخير هذه الليلة عن يومها وإلا فالأصل تقديم الليلة على نهارها، قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧]. فجعل الليل أصلاً وسلخ منه النهار كما تسلخ الشاة من جلدها فكان الظهور لليل والنهار مبطون فيه.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ [البقرة: ١٢٥]: أي موضع دعاء إذا صليتم فيه أن تدعوا لأنفسكم في تحصيل نظير تلك المقامات التي كانت لإبراهيم عليه السلام، وهو أن يقول أحدنا: اللهم اجعلني أواهاً حليماً أمة قانتاً شاكراً لأنعم الله منقاد لأمر الله صالحاً موفياً بالعهد، ونحو ذلك مما قص الله علينا في القرآن.

وقال: إنما أمرنا بالتضلع من ماء زمزم لأن فيه سراً خفياً وهو أنه يذلل النفس بعد تكبرها وتحققها بمقام العبودية المحضة كما جرب.

قلت: وقد شربته أنا مرة لدبلة طلعت في جانبي قدر البطيخة فتقطعت وخرجت من دبري كالزفت الأسود الذائب فالحمد لله رب العالمين. فصح عندي ذوقاً حديث: «ماء زمزم لما شرب له» وإن ضعفه بعضهم والله أعلم.

قلت: قال الشيخ في الباب الرابع والخمسين وأربعمائة: ينبغي لكل مؤمن أن يصل نسبه بأجداده وآبائه المسلمين من آدم إلى أبينا الأقرب لأن صلة الأرحام تزيد في العمر. قلت: ولقد اعتمرت مرة عن أبينا آدم وأمرت أصحابي بذلك فوجدنا تلك الليلة أبواب السماء قد فتحت ونزلت علينا ملائكة لا تحصى وتلقونا بالترحيب والتسهيل، إلى أن ذهلنا مما رأينا؛ وأطال في ذلك ثم قال: فرحم أبينا آدم مقطوعة عند غالب الناس من أهل الله فكيف بالعامة في ذلك؟ فالحمد لله الذي مَنَّ عليّ بصلة رحمي وصلتها من أصحابي بسببي وكان ذلك عن توفيق إلٰهي فإني لم أر لأحد في ذلك قدماً أمشي على أثره فيها وما قال الله في غير موضع من القرآن: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ إلا ليذكرنا بأبينا لنصله ومع ذلك فلم يتنبه أحد لهذه الآية وهذه الذكرى من الله شبيهة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم: ٢٨]. وأين زمان هارون منها انتهى. وأطال في ذكر أسرار الحج بنحو ثلاثين ورقة وفي هذا القدر كفاية والله أعلم.

وقال في الباب الثالث والسبعين وذكر فيه شرح أسئلة الحكيم الترمذي رضي الله عنه: اعلم أنه ما ثم دليل يرد طريق القوم ولا قادح يقدح فيه شرعاً ولا عقلاً وإنما يردها من ردها بالجهل بها فإن طريق القوم لا تنال بالنظر التفكري ولا بضرورات العقول وإنما هي نور في القلب يحدث فيه بواسطة اتباع الكتاب والسنة فيدرك الأمور يقيناً لا ظناً وتخميناً.

وقال: إنما نكر تعالى «عِلْماً» في قوله في حق الخضر: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف: ٦٥] ليشمل الأربعة علوم التي خص بها أصحاب منازل

القرية الذين [كان] الخضر رأسهم: وهي علم الكتابة الإلٰهية وعلم الجمع والتفرقة وعلم النور والعلم اللدني. قال: ومنزل أهل القرية مقام بين الصديقية ونبوة التشريع فافهم.

وقال: لولا القول اللين ما انكسرت غلظة فرعون ولا كان أصحاب رسول الله ﷺ اجتمعوا عليه كل ذلك الاجتماع، قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طـه: ٤٤]. وقال: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] فتأمل واعتبر.

وقال: اجتمعت بعيسى عليه السلام في وقائع كثيرة وتبت على يديه ودعا لي بالثبات على الدين في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ودعاني بالحبيب وأمرني بالزهد والتجريد.

قلت: وهو أمر غريب ولكن الشيخ له أغرب من هذا، وهو أخذه الطريق عن الملائكة المسمين بأسماء الحروف أوائل السور كما سيأتي. ونقل ابن سيد الناس في سيرته في قصة إسلام سلمان الفارسي ما يشهد للشيخ في نزول عيسى إلى الأرض بعد رفعه وقبل اليوم الموعود وقال: إذا جاز نزوله بعد رفعه مرة فلا بدع أن ينزل مراراً والله أعلم.

وقال: المراتب التي تعطي السعادة للإنسان أربع: وهي الإيمان، والولاية، والنبوة، والرسالة. ولأهل كل مرتبة ذوق يخصهم لكن قد يكون للنبي ذوق في مرتبة الإيمان والولاية فإن كان رسولاً زاد عليهم بذوق مقام الرسالة لأنه رسول نبي ولي مؤمن، وقد لا يكون له ذوق في ذلك، قال الخضر لموسى عليهما السلام: ﴿مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٨] والخُبْرُ الذوق. قال الشيخ: ثم إن العلم من شرائط الولاية لا من شرائط الإيمان لأن الإيمان مستنده الخبر الذي بلغه عن الصادق فإذا لم يكن هناك خبر كأيام الفترات ووحد الله تعالى منهم أحد فهو سعيد مع كونه لا يسمى مؤمناً فالمؤمن لا يكون إلا موحداً وأما الموحد بنور قذفه الله في قلبه فقد لا يكون مؤمناً فتأمله وحرره.

وقال: إنما سميت العبارة عبارة لأنك تجوز منها إلى المعنى المقصود

منها، وإنما سمي الوحي وحياً لسرعته فإن الوحي عين الفهم عين الإفهام عين المفهوم منه، كما يذوقه أهل الإلهام من الأولياء.

وقال: ليس فوق الإنسان الكامل مرتبة إلاّ مرتبة الملك في المخلوقات وكون الملائكة تَلْمَذَتْ له حين علمهم الأسماء لا يدل على أنه خير من الملك وإنما يدل على أنه أكمل نشأة من الملك لا غير.

قلت: هذا كان مذهب الشيخ أولاً، ثم رجع عنه كما نبه عليه في الباب الثامن والتسعين ومائة والباب الثالث والثمانية وثلاثمائة من «الفتوحات»، وقال: الخلاف في غير محمد ﷺ، أما هو فهو أفضل الخلق على الإطلاق فراجعه. وقد عرف بعضهم الوحي بأنه ما تقع به الإشارة القائمة مقام العبارة في غير عبارة. وقال: من خاض في الدنيا فيما يكرهه الحق تعالى خيض به يوم القيامة فيما يكرهه جزاء وفاقاً. وقال: قد جاء أكثر الشريعة على فهم العامة في صفات التنزيه ولم يجىء على فهم الخاصة إلا بعض تلويحات فهو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] - و - ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠].

وقال: ذهب بعضهم إلى أنه يجوز لنا أن نسأل لأنفسنا مقام الوسيلة التي رجا رسول الله ﷺ، أن تكون له، قال: لأنه ﷺ لم يعين حصولها لنفسه ولا حجرها على واحد بعينه وإنما نحن مؤثرون له بها، فلا نسألها إلا له ﷺ لأنه طلب منا أن نسأل الله له الوسيلة انتهى.

قلت: هذا كلام فيه ما فيه والذي نعتقده أنه لا يجوز لأحد من الأمة سؤال الوسيلة لنفسه أبداً لانعقاد الإجماع على أنها لا تكون إلا له ﷺ، والله أعلم.

وقال: إذا غلق باب التوبة حبس على المؤمن إيمانه بغلق الباب عليه، فلا يرتد مؤمن بعد ذلك أبداً لأنه ليس للإيمان باب يخرج منه كما لا يدخل بعد غلقه إيمان على كافر فعلم أن غلق باب التوبة رحمة بالمؤمن ووبال على الكافر وإنما كان هذا الباب بالمغرب دون المشرق لأن المغرب محل الأسرار والكتم.

وقال: الشطح عبارة عن كلمة عليها رائحة رعونة، ودعوى عريضة، وهي نادرة أن تقع من متقيد بالشريعة لكن من شرط أهل الله إذا ذكروا تذكروا فاستغفروا منها، وسيأتي بسط ذلك في الباب الخامس والتسعين ومائة.

وقال في الباب الرابع والسبعين: العارف من سلك في توبته مسلك أبيه آدم في الندم والاعتراف، وأما العزم على أنه لا يعود فليس ذلك في يده حقيقة وإنما هو إظهار أدب؛ أي: لو كان الأمر في يدي ما عصيتك قط جزماً فافهم ذلك وحرره.

وقال في الباب السابع والسبعين: ينبغي لمن سمع شخصاً يقول: الحمد لله رب العالمين أن يصغي لها كما يصغي لتلاوة القرآن فإنها قرآن فالأدب حمل قائلها على أنه قصد بها التلاوة لا الذكر حتى يثاب السامع لها ثواب من سمع القرآن ولا بد. قال: وهذا مشهد غريب قل أن ترى له ذائقاً وهو قريب سهل لا كلفة فيه وهو من باب حسن الظن بالناس.

وقال في الباب الموفى تسعين: إنما كان البياض أحب إلى الله تعالى وأمرنا بلبسه يوم الجمعة لأن الملونات كلها تستحيل إليه ولا يستحيل هو إليها.

قال: واعلم أن البياض على نوعين أحدهما: ما يكون لوناً في ظاهر العين فقط، كسواد الجبال البيض على البعد فإذا جئتها رأيتها بيضاء وقد كنت تحكم عليها بالسواد غلطاً؛ قال: وبهذه المثابة أيضاً زرقة السماء إنما هو في نظر العين وإن كانت في نفسها على لون مخالف لون الزرقة.

وقال فيه: إنما اختار الحق تعالى من الشهور رمضان لمشاركته لاسم الله فقد ورد: «إن رمضان من أسمائه تعالى». فتعينت له حرمة ما هي لسائر شهور السنة. قال: وإنما جعله الشارع من الشهور القمرية لتعلم بركته جميع شهور السنة فيحصل لكل يوم من أيام السنة حظ منه فإن أفضل الشهور عندنا رمضان، ثم شهر ربيع الأول، ثم رجب، ثم شعبان، ثم ذو الحجة، ثم شوال، ثم القعدة، ثم المحرم. وإلى هنا انتهى علمي في فضيلة الشهور القمرية، وأما بقية الشهور وهي صفر، وربيع الآخر، والجماديان، فهي

متساوية في الفضل فيما يغلب على ظني، فإني ما تحققت فيها تفاضلاً فلم يتمكن لي أن أقول ما ليس لي به علم.

وقال في الباب الثاني والتسعين: ينبغي لكل مؤمن أن يتورع إن لم يكن ورعاً؛ قال: ومما يقع فيه غالب المتورعين أن أحدهم إذا رأى شخصاً على مخالفة الشرع في أفعاله أو أقواله أو عقائده، ثم فارقه لحظة واحدة لا يجوز له الحكم عليه بما وقع منه قبل تلك اللحظة ومتى ظن بذلك الشخص أنه باق على مخالفته خرج عن مقام الورع وصار من أهل الوقوع في الشبهات؛ قال: وقليل من يكون على هذا القدم.

وقال في الباب الثامن والتسعين: من شرط الولي الكامل أن لا ينام له قلب بحكم الإرث لرسول الله ﷺ، وذلك لأن الكامل مطالب بحفظ ذاته الباطنة عن الغفلة كما يحفظ باليقظة ذاته الظاهرة.

قلت: ذكر الشيخ في الباب الحادي والتسعين أنه يجب على الورع أن يجتنبه في خياله كما يجتنبه في ظاهره لأن الخيال تابع للحس.

قال: ولهذا كان المريد إذا وقع له احتلام فلشيخه معاقبته على ذلك لأن الاحتلام برؤيا في النوم أو في التصور وفي اليقظة لا يكون إلا من بقية شهوة في خياله فإذا احتلم صاحب كمال فإنما ذلك لضعف أعضائه الباطنة لمرض طرأ في مزاجه لا عن احتلام لا في حلال ولا في حرام انتهى. فتأمله والله أعلم.

وقال في الباب الثامن ومائة: فتنة العبد باتساع الدنيا عليه وانقياد الوجود له أعظم من فتنة الضيق وعصيان الخلق له فإن الشهوة آلة للنفس تعلو بعلو المشتهى وتسفل باستفاله وحقيقة الشهوة إرادة الالتذاذ بما يطلب أن يلتذ به. قال: والذي أقول به إن صحبة المريدين للأحداث حرام عليهم لاستيلاء الشهوة الحيوانية عليهم بسبب ضعف العقل الذي جعله الله مقابلاً لها بخلاف الكمل من الرجال الذين ارتقوا عن عالم طبيعتهم فإن الكامل إذا رأى الأمرد أملس لا نبات بعارضيه تذكر مقام تجريده وأنه حديث عهد بربه كالمطر بخلاف الكبير فيراعي ذلك الأمرد كما راعى ذلك المطر من حيث قربه من

التكوين هذا مشهد الكمل. قال: ويجب على كل مؤمن ومدع لطريق الله إن لم يكن من أهل الكشف والوجد أن يجتنب كل أمر يؤدي إلى تعلق القلب بغير الله فإنه فتنة في حقه وكذلك يجتنب مواضع التهم وصحبة المبتدعين في الدين ما لا يقبله الدين وكذلك يجتنب مجالسة النسوان وأخذ الأرفاق فإن القلوب تميل إلى كل من أحسن إليها بحكم الطبع وليس هناك قوة إلٰهية على دفع الشهوات النفسية والمعرفة معدومة من هذا الصنف الذي ذكرناه.

قال: ولا يخفى أن من كان من المريدين تحت حكم شيخ ناصح فهو بحكم شيخه فيه وإن كان لا شيخ له فعليه الحرج من الله في صحبته لكل من يردى به كما على الشيوخ الذين ليس لهم قدم صدق في الطريق اللوم في ذلك.

قال: ثم الذي ينبغي للمريد إذا دعي أنه ما صحب الأحداث أو النسوان إلا لله أن يزن حاله فإن وجد ألماً ووحشة عند فقده إياهم، وهيجاناً إلى لقائهم وفرحاً بإقبالهم، فليعلم أن صحبته لهم معلولة وإن وقعت المنفعة لذلك الحدث منه سعد وشقي هذا المحب.

قال: وإن كانت محبة المريد قد تعلقت بجميع المخلوقات على حد سواء، ومن جملتهم الأحداث والنسوان، فلا ينبغي له الركون فقد يكون خديعة نفسية وميزانه أن لا يستوحش عند مفارقة أحد من الخلق لتساويهم عنده من حيث إنهم خلق الله حتى الحائط فمحبوب هذا على دعواه لا يفارقه فلماذا نستوحش انتهى.

قلت: فالواجب على من بلغ مبلغ الرجال عدم صحبة النساء والأحداث جملة واحدة، ثم إذا بلغ أيضاً فشرطه على ما قالوه: أن لا يكون مقتدى به الاقتداء العام فإن أصحاب النفوس الغوية ربما تبعوه واحتجوا به في ذلك والله أعلم.

وقال: الفرق بين الشهوة والإرادة، أن الإرادة تتعلق بكل مراد للنفس والعقل سواء كان ذلك المراد محبوباً أو غير محبوب، وأما الشهوة فلا تتعلق إلا بما للنفس في نيله لذة خاصة، وأيضاً فإن محل الشهوة النفس الحيوانية

ومحل الإرادة الروح؛ ذكره في الباب التاسع ومائة.

وقال في الباب الثاني عشر ومائة: تكون مخالفة النفس في ثلاثة أمور فقط: في المباح، والمكروه والمحظور لا غير. وأما إذا وقعت لها لذة في طاعة مخصوصة وعمل مقرب فهنالك علة خفية فيخالفها بطاعة أخرى وعمل مقرب فإن استوى عندها جميع التصرفات في فنون سلمنا لها تلك اللذة بالطاعة الخاصة وإن وجدت المشقة في العمل المقرب الآخر الذي هو خلاف هذا العمل فالعدول إلى الشاق واجب لأنها إن اعتادت المساعدة في مثل هذا أثرت في المساعدة في المحظور، والمكروه، والمباح.

وقال في الباب الخامس عشر ومائة، في قوله ﷺ: «لا غيبة في فاسق»: الذي فهمته من هذا الحديث أنه نهي لا نفي وعلى ذلك جرى أهل الورع في فهم هذا الحديث أي: لا تغتابوا الفاسق المعين وعرضوا بالغيبة على وجه المصلحة لغير معين كما كان ﷺ يقول: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا» قال: ومع كون الغيبة محمودة في مواضع مذكورة في كتب الفقه فعدم التعيين أولى فيها من التعيين إلا إن ترتب على ذلك حكم شرعي.

وقال في الباب السادس عشر ومائة: القناعة عندنا على بابها في اللسان وهي المسألة والقانع هو السائل ولكن من الله تعالى، لا من غيره وهو قوله تعالى في الظالمين يوم القيامة ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٤٣] إلى الله يسألونه المغفرة عن جرائمهم. فعلم أن من سأل غير الله فليس بقانع ويخاف عليه من الحرمان والخسران. فإن السائل موصوف بالركون إلى من سأله والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣] ومن ركن إلى جنسه فقد ركن إلى ظالم؛ لأن الله تعالى قال في الإنسان: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢] انتهى. وهو كلام نفيس.

وقال في الباب الرابع والعشرين ومائة في قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام، قال: ﴿إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢] الآية: معناه: أحببت الخير عن ذكر ربي الخير بالخيرية فأحببته لذلك والخير هي الصافنات الجياد من الخيل وأما قوله: فطفق

مسحاً. أي: يمسح بيده على أعرافها وسوقها، فرحاً وإعجاباً بخير ربه، لا فرحاً بالدنيا لأن الأنبياء منزهون عن ذلك. وهذه تشبه ما وقع لأيوب عليه السلام، حين أرسل الله له جراداً من ذهب فصار يحثو في ثوبه منه ويقول: لا غنى لي عن بركتك يا رب انتهى. فما أحب سليمان الخير إلا لكونه تعالى أحب حب الخير ولذلك اشتاق إليها لما توارت بالحجاب يعني: الصافنات الجياد لكونه فقد المحل الذي أوجب له حب الخير عن ذكر ربه فقال: ردوها عليّ.

وقال: وليس للمفسرين الذين جعلوا التواري للشمس دليل فإن الشمس ليس لها هنا ذكر ولا الصلاة التي يزعمون، ومساق الآية لا يدل على ما قالوه بوجه ظاهر ألبتة، قال: وأما استرواحهم فيما فسروه بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾ [ص: ٣٤] فالفتنة هي الاختبار يقال: فتنت الذهب أو الفضة إذا اختبرتهما بالنار فلا ينافي ذلك ما قلناه إذ كان متعلقه الخيل ولا بد يكون اختياره إذ رآها هل أحبها عليه السلام عن ذكر الله لها، أو أحبها لعينها؟ فأخبر عليه السلام أنه إنما أحبها عن ذكر ربه إياها لا لعينها مع حسنها وكمالها وحاجته إليها فإنها جزء من الملك الذي طلب أن لا يكون لأحد من بعده فأجابه الحق إلى ما سأل في المجموع ورفع الحرج عنه بقوله: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [ص: ٣٩، ٤٠]. أي: ما ينقصه هذا الملك من ملك الآخرة شيئاً كما يقع لغيره.

قلت: هذا تفسير غريب لم أره لغير الشيخ فليتأمل ويحرر والله أعلم.

وقال في الباب الثامن والعشرين ومائة: اعلم أن رضا الله عن العبد يكون بحسب مشيه على الشرع كثرة وقلة فمن لم يخل بالعمل في شيء من الشريعة فهو صاحب الرضا الكامل ومن أخل بالعمل في شيء منها نقص من الرضا بقدر ما أخل، وهذا ميزان في غاية الوضوح والإنسان على نفسه بصيرة. انتهى بالمعنى في بعضه.

وقال في الباب التاسع والعشرين ومائة: يجب على العبد الرضا

بقضاء الله لا بكل مقضيّ فلا ينبغي الرضا بالمعاصي ولو رأيت وجه الحكمة فيها فإنك إذا كنت صحيح الرؤية والكشف ترى الحق تعالى غير راضٍ عنك في فعلها وإن لم تره فارجع إلى حكم الشرع ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧].

قلت: وأكثر من يقع في الرضا بالمعاصي أصحاب حضرة التوحيد العام إذا لم يكن لهم شيخ ويظنون بنفوسهم أنهم خوطبوا بأمر من الله خلاف ما جاءت به الشريعة، وهذا كفر وتلبيس فإن الحق تعالى ما ينهى عن شيء على لسان رسله ويبيحه من ورائهم لأحد من أممهم أبداً فافهم والله أعلم.

وقال في الباب السادس والأربعين ومائة: إياك أن ترمي ميزان الشرع من يدك في العلم الرسمي بل بادر إلى ما حكم به، وإن فهمت منه خلاف ما يفهمه الناس مما يحول بينك وبين إمضاء ظاهر الحكم به فلا يعول عليه فإنه مكر نفساني في صورة علم إلٰهي من حيث لا يشعر. قال: وقد وقعنا بقوم صادقين من أهل الله ممن التبس عليهم هذا المقام ورجحوا كشفهم وما ظهر من فهمهم مما يبطل ذلك الحكم وهم مخطئون في ذلك.

قال: واعلم أن تقديم الكشف على النص ليس عندنا بشيء ولا عند أهل الله تعالى، وكل من عول عليه فقد غلط وخرج عن الانتظام في شرع أهل الله تعالى ولحق بالأخسرين أعمالاً. وأطال في ذلك ثم قال: وإذا ورد على أحد من أهل الكشف وارد إلٰهي يحل له ما ثبت تحريمه في نفس الأمر من الشرع المحمدي وجب عليه جزماً ترك هذا الوارد لأنه تلبيس ووجب عليه الرجوع إلى حكم الشرع الثابت وقد ثبت عند أهل الكشف بأجمعهم أنه لا تحليل ولا تحريم لأحد بعد انقطاع الرسالة والنبوة، وأطال في ذلك ثم قال: فتفطنوا يا إخواننا، وتحفظوا من غوائل هذا الكشف فقد نصحتكم ووفيت الأمر الواجب عليّ في النصح والله أعلم.

وقال في الباب الثامن والأربعين ومائة في قوله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»: إنما أضاف نور الفراسة إلى الاسم الله دون غيره

لأن الاسم الله هو الجامع لأحكام الأسماء فيكشف المذموم والمحمود، وحركات السعادة والشقاوة، فلو أنه ﷺ أضاف نور الفراسة إلى الاسم الحميد مثلاً لما كان المتفرس يرى بنور فراسته إلا المحمود السعيد خاصة؛ قال: ومن كانت فراسته العلامات الربانية فلا تخطىء له فراسة بخلاف من كانت فراسته مستندة إلى الفراسة الحكمية كقولهم مثلاً: من كان أبيض ذا شقرة أو زرقة كثيرة، فهو دليل على القحة، والخيانة، وخفة العقل والفسوق؛ فإن هذا ليس بقاعدة كلية. وأطال في أمثلة الفراسة الحكمية بنحو ثلاث أوراق فراجعها إن شئت.

وقال فيه: لا يخلو الإنسان في معرفى الله تعالى من ثلاثة أحوال بالنظر إلى الشرع: إما أن يكون باطنياً محضاً وهو القائل بتجريد التوحيد عندنا حالاً وفعلاً وهذا يؤدي إلى تعطيل أحكام الشرع كالباطنة في عدولهم عما أراده الشارع وكل ما يؤدي إلى هدم قاعدة دينية فهو مذموم مطلقاً عند كل مؤمن، وإما أن يكون ظاهرياً محضاً متغلغلاً متوغلاً بحيث أن يؤديه ذلك إلى التجسيم والتشبيه على حد عقله هو فهذا أيضاً مذموم شرعاً، وإما أن يكون جارياً مع الشرع على فهم اللسان حيثما مشى الشارع مشى وحيثما وقف وقف قدماً بقدم فهذه حالة متوسطة وبها صحت محبة الحق تعالى لنا في قوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. فاعلم ذلك فإنه نفيس والله يتولى هداك.

وقال في الباب الثالث والخمسين ومائة، في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]: أي بإعطائهم ما في قوتهم من المصالح المعلومة في الكون وتسخير بعضهم لبعض الأعلى للأدنى وعكسه وهذا لا ينكره عاقل لأنه الواقع، وتأمل الملك الذي هو أعلى مرتبة من سائر رعيته تجده مسخراً في مصالحهم كما هم مسخرون كذلك في مصالحه فهذه هي ولاية المؤمنين بعضهم لبعض.

وقال في الباب الرابع والخمسين ومائة: الملائكة على ثلاثة أصناف: صنف مهيمون في جلال الله تجلّى لهم في اسمه الجميل فهيمهم وأفناهم عنهم فلا يعرفون نفوسهم ولا من هاموا فيه، وصنف مسخرون ورأسهم القلم

الأعلى سلطان عالم التدوين والتسطير، وصنف أصحاب تدبير للأجسام كلها من جميع أجناس العالم؛ وأطال في ذلك.

وقال في الباب الخامس والخمسين ومائة: اعلم أن النبوة التي هي الإخبار عن شيء سارية في كل موجود عند أهل الكشف والوجود، لكنه لا ينطلق على أحد منهم اسم نبي ولا رسول، إلا على الملائكة الذين هم رسل فقط أما غير الرسل منهم فلا يقال فيهم ملائكة وإنما يقال على أحدهم روح وذلك كالأرواح المخلوقة من أنفاس الذاكرين الله. قال: واعلم أن الله تعالى سمى نفسه ولياً ولم يسم نفسه نبياً مع كونه أخبرنا وسمع دعاءنا وأمرنا ونهانا وقلنا له: سمعنا وأطعنا، وليست النبوة بأمر زائد على هذا. وأطال في أمثلة الأمر والنهي.

وقال في الباب السابع والخمسين ومائة: ينبغي للواعظ أن يراقب الله في وعظه ويجتنب كل ما كان فيه تجرؤ على انتهاك الحرمات مما ذكره المؤرخون عن اليهود من ذكر زلات الأنبياء كداود ويوسف عليهما السلام، مع كون الحق تعالى أثنى عليهم واصطفاهم؛ ثم الداهية العظمى أن يجعل ذلك في تفسير القرآن ويقول: قال المفسرون كذا وكذا، مع كون ذلك كله تأويلات فاسدة بأسانيد واهية عن قوم غضب الله عليهم وقالوا في الله تعالى ما قصه علينا في كتابه وكل واعظ ذكر نحو ذلك في مجلسه مقته الله وملائكته لكونه ذكر لمن في قلبه مرض من العصاة حجة يحتج بها ويقول: إذا كان مثل الأنبياء وقعوا في مثل ذلك فأيش أنا؟ فعلم أن الواجب على الواعظ ذكر الله وما فيه تعظيمه وتعظيم رسله وعلماء أمته وترغيب الناس في الجنة، وتحذيرهم من النار وأهوال الموقف بين يدي الله عزّ وجلّ فيكون مجلسه كله رحمة.

قلت: وكذلك لا ينبغي له أن يحقق المناط في نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. ولا نحو قوله ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢] وقوله: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣] فإن العامة إذا سمعوا مثل ذلك استهانوا بالصحابة ثم احتجوا بأفعالهم والله تعالى

أعلم.

وقال في الباب التاسع والخمسين ومائة: لا تكون الرسالة قط إلا بواسطة روح قدسي ينزل بالرسالة على قلبه وأحياناً يتمثل له رجلاً وكل وحي لا يكون بهذه الصفة لا يسمى رسالة بشرية إنما يسمى وحياً أو إلهاماً، أو نفثاً، أو إلقاء، ونحو ذلك. قال: والفرق بين النبي والرسول أن النبي إنسان أوحي إليه بشرع خاص به فإن قيل له: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٦٧] إما لطائفة مخصوصة كسائر الأنبياء وإما عامة ولم يكن ذلك إلا لمحمد ﷺ وحده، سمي بهذا الوجه رسولاً وإن لم يخص في نفسه بحكم لا يكون لمن بعث إليهم فهو رسول لا نبي، وأعني: نبوة التشريع التي ليست للأولياء؛ فعلم أن كل رسول لم يخص بشيء في نفسه مع التبليغ فهو رسول ونبي فما كل رسول نبي على ما قررناه ولا كل نبي رسول بلا خلاف. وأطال في ذلك.

وقال في الباب الحادي والستين ومائة: قد أنكر أبو حامد الغزالي مقام القربة الذي بين الصديقية والنبوة وقال: ليس بينهما مقام ومن تخطى مقام الصديقين وقع في النبوة والنبوة باب مغلق. قال الشيخ محيي الدين: والحق أن مقام الخضر مقام بين الصديقية والنبوة، وأطال في ذلك.

وقال في الباب الثالث والستين ومائة في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥] الآية: اعلم أنه ينبغي للداعي أن لا يطمع قط في مال المدعوين ولا في حمدهم ولا ثنائهم عليه فإن مرتبة الداعي شرطها أن تكون أعلى من مرتبة المدعو فلا ينبغي له أن يخلع ثوباً ألبسه الله إياه وأطال في ذلك. ثم قال: فمن لم يكن غني النفس عما بأيدي الناس فليبدأ بنفسه يعظها حتى يتخلص من الركون للخلق ثم يدعو كما دعت الرسل وكمل ورثتهم قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤]. تنبيهاً على مقام الكمال لأن الإنسان لا يأمر الناس بشيء إلا إن كان هو قد عمل به فافهم والله أعلم.

وقال في الباب السادس والستين ومائة، في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ

﴿ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠] أي آتيناه الحكمة عملاً وفصل الخطاب قولاً. قال: والحكمة هي علم بمعلوم خاص ومن شروطها أنها تحكم ويحكم بها ولا يحكم عليها وبذلك سمي الرسن الذي يحكم بها الفرس حكمة فكل علم له هذا النعت فهو النعت.

وقال في الباب السابع والسبعين ومائة: ليس من شأن أهل الله أن يتصرفوا بلفظة كن إذا أعطوها فربما يكون ابتلاء واختباراً، وجعلوا بدلها بسم الله في كل فعل أرادوه. قال: وإنما استعملها رسول الله ﷺ، في غزوة تبوك ليعلم خواص أصحابه ببعض أسرار الله في خلقه وما سمع منه قبل ذلك ولا بعده تصرف بها.

وقال فيه: لم نعرف من الأسماء الإلٰهية اسماً يدل على الذات في جميع ما ورد علينا في الكتاب والسنة إلا الاسم الله على خلاف في ذلك لأنه اسم علم لا يفهم منه إلا ذات المسمى ولا يدل على مدح ولا ذم وهذا في مذهب من لا يرى أنه مشتق من شيء ثم على قول الاشتقاق هل هو مقصود للمسمى أو ليس بمقصود للمسمى كما إذا سمينا شخصاً بيزيد على طريق العلمية وإن كان هو فعل من الزيادة ولكن ما سميناه به لكونه يزيد وينمو في جسمه وعلمه مثلاً وإنما سميناه به لنعرفه ونصيح به إذا أردناه فمن الأسماء ما يكون بالوضع على هذا الحد فإذا قيلت على هذا فهي أعلام وإذا قيلت على طريق المدح فهي أسماء صفات وبهذا ورد جميع الأسماء الحسنى ونعت بها كلها ذاته سبحانه وتعالى من طريق المعنى؛ وأما الاسم «الله» فنعت به من طريق الوضع اللفظي فالظاهر أن الاسم الله للذات كالعلم ما أريد به الاشتقاق وإن كانت فيه رائحة الاشتقاق كما قاله بعضهم. قال: وأما أسماء الضمائر فإنها تدل على الذات بلا شك وما هي مشتقة من لفظة هو ذا وأنا وأنت ونحن والياء من أني والكاف من أنك فأما هو فهو اسم لضمير الغائب، وأما ذا فهي من أسماء الإشارة مثل قوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ﴾ [الأنعام: ١٠٢]. وكذلك لفظة ياء المتكلم مثل قوله: ﴿فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤] وكذلك لفظه أنت وتاء المخاطب مثل قوله: ﴿كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [المائدة: ١١٧] ولفظة: نحن ولفظة: أنّا مشددة. ولفظة قوله ﴿إِنَّآ﴾ من قوله:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩] وكذلك حرف كاف الخطاب نحو: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩] فهذه كلها أسماء ضمائر، وإشارات وكنايات تعم كل مضمر ومخاطب ومشار إليه ومكنى عنه، وأمثال هذه ومع ذلك فليست أعلاماً ولكنها أقوى في الدلالة من الأعلام فإن الأعلام قد تفتقر إلى النعوت وهذه لا افتقار لها. قال: وأما لفظة هو فهي أعرف عند أهل الله من الاسم الله في أصل الوضع لأنها تدل على هوية الحق التي لا يعلمها إلا هو وأطال في ذلك.

قلت: وذكر الشيخ أيضاً في الباب التاسع والسبعين وثلاثمائة ما نصه: اعلم أنه ثم أسماء الهيئة تطلب العالم ولا بد كالاسم الرب، والقادر، والخالق، والنافع، أو الضار، والمحيي، والمميت، والقاهر، والمعز، والمذل، ونحو ذلك؛ وثم أسماء الهيئة لا تطلب العالم ولكن تستروح منها نفس من أسماء العالم كالغني، والعزيز، والقدوس، وأمثال هذه الأسماء.

قال: وما وجدنا لله تعالى أسماء تدل على ذاته خاصة من غير تعقل معنى زائد على الذات أبداً فإنه ما ثم اسم إلا على أحد أمرين إما يدل على فعل وهو الذي يستدعي العالم ولا بد وإما يدل على تنزيه وهو الذي يستروح منه صفات نقص كون تنزه الحق تعالى عنها غير ذلك ما أعطانا الله فما ثم اسم علم ما فيه سوى العلمية لله تعالى أصلاً إلا إن كان ذلك في علمه وما استأثر به في غيبه مما لم يبده لنا. قال: وسبب ذلك أنه تعالى ما أظهر أسماءه لنا إلا للثناء بها عليه فمن المحال أن يكون فيها اسم علم أصلاً؛ لأن الأسماء الأعلام لا يقع بها ثناء على المسمى لكنها أسماء أعلام المعاني التي تدل عليها وتلك المعاني هي التي يثنى بها على من ظهر عندنا حكمه بها فينا هو المسمى بمعانيها، والمعاني هي المسماة بهذه الأسماء اللفظية كالعالم والقادر وباقي الأسماء فللّه الأسماء الحسنى وليست إلا المعاني لا هذه الألفاظ لأن الألفاظ لا تتصف بالحسن والقبح إلا بحكم التبعية لمعانيها الدالة عليها، فلا اعتبار لها من حيث ذاتها فإنها ليست بزائدة على حروف مركبة ونظم خاص يسمى اصطلاحاً انتهى.

وذكر أيضاً في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة ما نصه: اعلم أن

الاسم «الله» بالوضع إنما مسماه ذات الحق تعالى عينها، الذي بيده ملكوت كل شيء. وأطال في ذلك ثم قال: فعلم أن كل اسم إلٰهي يتضمن أسماء التنزيه من حيث دلالته على ذات الحق تعالى، ولكن لما كان ما عدا الاسم الله من الأسماء مع دلالته على ذات الحق تعالى يدل على معنى آخر من نفي أو إثبات من حيث الاشتقاق لم تقو أحدية الدلالة على الذات قوة هذا الاسم كالرحمٰن وغيره من الأسماء الإلٰهية الحسنى، وقد عصم الله تعالى هذا الاسم العلم أن يتسمى به أحد غير ذات الحق ولهذا قال في معرض الحجة على من نسب الألوهية إلى غير الله تعالى: ﴿قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [الرعد: ٣٣] فلو سموهم ما قالوا إلا بغير الاسم الله؛ فقد علمت أن الاسم الله يدل على الذات بحكم المطابقة كالأسماء الأعلام على مسمياتها وأطال في ذلك فتأمل هذا المحل وحرره والله يتولى هداك.

وقال: ليس في أسماء الله اسم مرادف قط للاتساع الإلٰهي بل ليس في الوجود كله تكرار جملة واحدة.

وقال في حديث «إن لله تعالى تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة»: قد خرج بذلك ما أخذناه نحن من طريق الاشتقاق على جهة المدح فإنها لا تحصى كثرة وهذه التسعة والتسعون اسماً لم نقدر على تعيينها من وجه صحيح لأن الأحاديث الواردة فيها كلها مضطربة لا يصح منها شيء وكل اسم إلٰهي يحصل لنا من طريق الكشف فلا نورده في كتاب وإن كنا ندعو به في نفوسنا لما يؤدي إليه ذلك من الإنكار علينا وأطال في ذلك.

وقال في الباب الثامن والسبعين ومائة: معنى حبنا لربنا أن نحب الأشياء من أجله ونبغض الأشياء من أجله، ليس غير ذلك؛ لانتفاء المجانسة بينه تعالى وبيننا، يقول الله عز وجل يوم القيامة لمن ادّعى محبته: «هل واليت لي ولياً أو عاديت لي عدواً» كما ورد.

وقال في قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩]: في هذه الآية دليل على أن الله تعالى ما كلف عباده إلا ما يطيقونه عادة فلم يكلفهم

بنحو الصعود إلى السماء بلا سبب، ولا بالجمع بين الضدين ولو كلفهم بذلك ما كان يقول: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾. وإنما كان يقول: فله أن يفعل ما يريد كما قال: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣] لمن يقول في نفسه: كيف تأمرنا يا ربنا بأمر لم نقسم لنا فعله أو تنهانا عن شيء وقد قدرته علينا فهذا موضع لا يسأل عما يفعل.

وقال: بلغني أن العصفور قال لزوجته حين راودها عن نفسها: لقد بلغ بي من حبي لك أن لو قلت لي: اهدم هذه القبة على سليمان لهدمتها لك. فأرسل سليمان خلفه وقال: ما حملك على هذا القول الذي تعجز عنه؟ فقال: مهلاً يا نبي الله إن المحبين إنما يتكلمون غالباً بلسان المحبة والعشق لا بلسان العلم والعقل، فضحك سليمان من قول الخطاف ولم يعاقبه.

قلت: وفي هذه عذر عظيم لنحو سيدي عمر بن الفارض وأضرابه في تغزلاتهم فلا ينبغي إقامة موازين أهل العقول الكونية عليهم لأنهم إنما تكلموا بلسان العشق فافهم وسلم تسلم.

وقال في الباب الرابع والثمانين ومائة: كرامات الأولياء على قسمين: حسية ومعنوية، فالحسية للعامة والمعنوية للخاصة؛ قال: والحسية هي مثل الكلام على الخاطر والإخبار بالمغيبات الماضية والكائنة والآتية، والأخذ من الكون والمشي على الماء، واختراق الهواء، وطي الأرض والاحتجاب عن الأبصار وإجابة الدعوة في الحال ونحو ذلك، وأما الكرامة المعنوية عند الخواص فهي: حفظ آداب الشريعة من فعل مكارم الأخلاق واجتناب سفسافها والمحافظة على أداء الواجبات مطلقاً في أوقاتها والمسارعة إلى الخيرات وإزالة الغل للناس والحسد والحقد لهم وطهارة القلب من كل صفة مذمومة وتحليته بالممر مع الأنفاس ومراعاة حقوق الله في نفسه وفي الأشياء ومراعاة أنفاسه في دخولها وخروجها فيتلقاها بالأدب ويخرجها وعليها خلعة الحضور، فهذه كلها هي الكرامات عندنا فإنه لا يدخلها مكر ولا استدراج بخلاف كرامة العامة. وإيضاح ذلك أن الكرامة عند الخواص من لازمها العلم الصحيح والوفاء بالمعهود ومعلوم أن الحدود الشرعية لا تنصب حبالة للمكر الإلٰهي وليست الدنيا بمحل لخرق العوائد وإنما محل ذلك الدار الآخرة.

وأطال في ذلك.

وقال في الباب الخامس والثمانين ومائة: اعلم أن ميزان الشرع الموضوعة في الأرض هي ما بأيدي العلماء من الشريعة فمهما خرج ولي عن ميزان الشرع المذكور مع وجود عقل التكليف أنكرنا عليه ذلك فإن غلب عليه الحال سلم له حاله ما لم يعارض نصاً أو إجماعاً، وأما مخالفته لما طريقهم الفهم فلا. قال: فإن ظهر بأمر يوجب حداً في ظاهر الشرع ثابت عند الحاكم أقيمت عليه الحدود ولا بد، ولا يعصمه من إقامة الحد احتمال أن يكون كأهل بدر لأن المؤاخذة إنما سقطت عن أهل بدر في الدار الآخرة ومن قيل له: افعل ما شئت فقد غفرت لك يقتضي أن ذلك الفعل ذنب ولذلك قال: غفرت لك دون أسقطت عنك الحدود فعلم أن القاضي الذي يقيم الحد على هذا الشخص مأجور، وهي بعينها واقعة الحلاج؛ وأطال في ذلك.

وقال في الباب السادس والثمانين ومائة: لا يكون خرق العادة إلا لمن خرق العادة في ترك شهوات نفسه وأما من خرقت له العادة لا عن استقامة فهو مكر واستدراج من حيث لا يشعر؛ قال: وهذا هو الكيد المتين.

قال: واعلم أن خرق العوائد على وجوه: منها ما يكون عن قوى نفسية فإن أجرام العالم تنفعل للهمم النفسية ومنها ما يكون عن حيل طبيعية كالفطريات وغيرها وبابها معلوم عند العلماء بها، ومنها ما يكون عن نظم وحرف بطوالع وذلك لأهل الرصد ومنها ما يكون بأسماء يتلفظ بها ذاكرها فيظهر عنها ذلك الفعل المسمى خرق عادة في عين الرائي لا في نفس الأمر وهذه كلها تحت قدرة المخلوق بجعل الله وليس صاحبها عند الله بمكان وإنما ذلك بفعل خاصية ما ذكرنا كالدواء المسهل يفعل بخاصيته وليس هو عند الله بمكان.

وقال في الباب السابع والثمانين ومائة: اختلف الناس فيما كان معجزة لنبي هل يجوز أن يكون كرامة لولي؟ فالجمهور أجازوا ذلك إلا الأستاذ أبا إسحاق الإسفرايني فإنه منع من ذلك. قال: وهو الصحيح عندنا إلا أنا نشترط أمراً لم يذكره الأستاذ وهو أن نقول: إلا إن أقام الولي بذلك الأمر

المعجز على تصديق النبي لا على جهة الكرامة فهو واقع عندنا بل قد شاهدناه فيظهر على الولي ما كان معجزة لنبي على ما قلناه ولو تنبه لذلك الأستاذ لقال به ولم ينكره فإنه ما خرج عن بابه. قال: وهذا الذي ذهب إليه الأستاذ هو الذي يعطيه النظر العقلي إلا أن يقول الرسول في وقت تحديه بالمنع في الوقت خاصة فإنه جائز أن يقع ذلك الفعل كرامة لغيره بعد انقضاء زمانه الذي اشترطه وأما إن أطلقه فلا سبيل إلى ما قال له الأستاذ انتهى.

وقال في الباب الثامن والثمانين ومائة في حديث «إن رؤيا المسلم على رجل طائر ما لم يحدث بها، فإذا حدث بها وقعت»: اعلم أن الله تعالى ملكاً موكلاً بالرؤيا يسمى الروح وهو دون السماء الدنيا بيده صور الأجساد التي يدرك النائم فيها نفسه وغيره وصور ما يحدث من تلك الصور من الأكون، فإذا نام الإنسان أو كان صاحب غيبة، أو فناء، أو قوة إدراك لا تحجبه المحسوسات في يقظته عن إدراك ما بيد هذا الملك من الصور فيدرك هذا الشخص بقوته في يقظته ما يدركه النائم في نومه وذلك أن اللطيفة الإنسانية تنتقل بقواها من حضرة المحسوسات إلى حضرة الخيال المتصل بها الذي محله مقدم الدماغ فيفيض عليها ذلك الروح الموكل بالصور من الخيال المنفصل عن الإذن الإلهي ما يشاء الحق أن يريه لهذا النائم، أو الغائب، أو الفاني من إدراك المعاني متجسدة ونحو ذلك، فيرى الحق في صورة. وأطال في ذلك، ثم قال: فعلم أن كل من عبر الرؤيا لا يعبرها حتى يصورها في خياله فتنتقل تلك الصورة عن المحل الذي كانت فيه حديث نفس أو تحزيناً من شيطان إلى خيال العابر لها؛ ثم إن الله تعالى إذا أراد أن يري أحداً رؤيا جعل لصاحبها فيما رآه حظاً من الخير والشر بحسب ما تقتضيه رؤياه، فيصور الله تعالى ذلك الحظ طائراً وهو ملك في صورة طائر كما يخلق من الأعمال صوراً ملكية روحانية جسدية برزخية؛ قال: وإنما جعلها في صورة طائر لأنه يقال: طار سهمه بكذا والطائر الحظ قال تعالى: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾ [يس: ١٩]. أي: حظكم، ونصيبكم معكم من الخير، والشر، وتجعل الرؤيا معلقة برجل هذا الطائر وهي عين الطائر فإذا عبرت سقطت لما عبرت له وعندما تسقط ينعدم الطائر لأنه عين الرؤيا فينعدم لسقوطها وتتصور في عالم

الحس بحسب الحال التي تخرج عليه تلك الرؤيا فترجع صورة الرؤيا عين الحال لا غير فتلك الحال إما عرض أو جوهر وإما نسبة من ولاية أو غيرها هي عين صورة تلك الرؤيا وذلك الطائر ومنه خلقت ولا بد كما خلق آدم من تراب ونحن من ماء مهين. وأطال في ذلك ثم قال: وإنما كان ﷺ، إذا أصبح يقول لأصحابه: «هل رأى أحد منكم رؤيا» لأن الرؤيا من أجزاء النبوة لأنها مبتدأ الوحي فكان ﷺ يحب أن يشهدها في أمته والناس في غاية الجهل بهذه المرتبة التي كان ﷺ يعتني بها ويسأل كل يوم عنها والجهلاء في هذا الزمان إذا سمعوا بأمر وقع في النوم أو في الغيبة أو الفناء لم يرفعوا به رأساً وقالوا بالمنامات: يريد هؤلاء أن يدركوا مدارك الصالحين ويستهزئون بالرائي إذا اعتمد عليها وهذا جهل بمقامها. قال: واعلم أن محل الرؤيا النشأة العنصرية فليس للملك رؤيا وذلك لأن مكان الرؤيا ما تحت مقعر فلك القمر خاصة لو قدر أن شخصاً خرج من مكان الرؤيا لا يرى بعد ذلك رؤيا لأنه لا يقوم به صفة النوم. وأطال في ذلك.

قلت: ذكر الشيخ شروطاً فيمن يرى رسول الله ﷺ، في الباب التاسع عشر وأربعمائة وكذلك في الباب الخامس والثلاثين وثلاثمائة والباب الأربعين وخمسمائة، ما له تعلق برؤية الله ورؤية رسوله ﷺ، وذكر في الرؤيا والمبشرات، وأن الرؤيا أعم والمبشرات أخص فإن الإنسان قد يرى ما يحدث به نفسه وما يلعب به الشيطان أو يحزنه ولو لم يكن ذلك أثر فيمن رآها لنفسه أو رؤيت له ما أثبت الشارع لذلك الخوف من بلاء وهو أمر صاحب الرؤيا المفزعة أن يتفل عن يساره ثلاثاً ويستعيذ بالله من شر ما رأى فإنها لا تضره ثم يتحول عن شقه الذي كان نائماً عليه حين الرؤيا إلى شقه الآخر فإنها تتحول بتحوله ولا تضره وذلك كما يحول الإنسان رداءه في الاستسقاء فيحول الله حالة الجدب بالخصب والله أعلم.

وقال في الباب الثامن والتسعين ومائة في حديث: «إن نفس الرحمٰن يأتيني من قبل اليمن»: المراد بالنفس هو العماء الذي هو البخار المسمى بالحق المخلوق به السموات والأرض وما بينهما وليس هو الهواء ولهذا قال ﷺ في صفة العماء الذي كان الحق تعالى فيه من غير حلول قبل أن

يخلق الخلق: «ليس تحته هواء وليس فوقه هواء». يعني: أن له صفة الفوق، والتحت، أما الفوق فمن كون الحق نسب إلى نفسه أنه فيه وأما التحت فمن حيث كون العلم فيه فلو كان العماء هواء لكان مخلوقاً والحديث أثبت أن العماء كان قبل خلق الخلق فافهم ما تحته.

وقال في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ [النـــور: ٤٣] ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الروم: ٤٨]: اعلم أن السحاب إنما يثقله الماء فإذا أثقل استبشر الناس بنزوله فينزل كما يصعد بما فيه من الحرارة فإذا أثقل اعتمد على الهواء فانضغط الهواء فأخذ سفلاً فحك وجه الأرض فتقوت الحرارة في الهواء فطلب الهواء بما فيه من الحرارة القوية الصعود إلى الركن اَلأعظم فوجد السحاب متراكماً فمنعه من العود فكاثفه فاشتعل الهواء فخلق الله من تلك الشعلة ملكاً فسماه برقا فأضاء به الجو ثم انطفأ بقوة الريح كما ينطفىء السراج فزال ضوؤه مع بقاء عينه فزال كونه برقاً وبقي العين كوناً يسبح الله ثم يصدع الوجه الذي يلي الأرض من السحاب فإذا مازجه كان كالنكاح فيخلق الله تعالى من ذلك الالتحام ملكاً سماه رعداً فسبح بحمد الله فكان بعد البرق لا بد من ذلك فكل برق لا بد أن الرعد يعقبه لأن الهواء يصعد مشتعلاً فيخلقه الله ملكاً يسميه برقاً وبعد هذا يصدع أسفل السحاب فيخلق الله الرعد فيسبح بحمد ربه لما أوجده. وأطال في ذلك ثم قال: وقد خلق الله ملك الرعد من الهواء كما خلقنا تعالى من الماء، وذلك الصوت المسمى عندنا بالرعد يسبحه وفي ذلك الوقت يوجده الله فعينه نفس صورته ويذهب كما يذهب البرق وذوات الأذناب. قال: وحقيقة الرعد تنشأ من هبوب الهواء فتصدع أسفل السحاب إذا تراكم فيصوت كما يصوت الثوب إذا شق فليتأمل، ويحرر.

وقال: أرجى آية للمشرك ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ﴾ [المؤمنون: ١١٧] فمن نظر في الدلائل جهد الطاقة فأداه ذلك إلى تخيل شبهة أنها برهان فقد تعرض لفتح باب العذر عند الله. قال: والمراد بالبرهان هنا في زعم الناظر وإلا فمن المحال أن يكون ثم دليل في نفس الأمر على إله

آخر، فلم يبق إلا أن تظهر الشبهة بصورة برهان فيعتقد أنها البرهان وليس في قوته أكثر من هذا. وأطال في ذلك بنحو ثلاثة أوراق، ثم قال: وإنما نكر «إلٰهاً» لأنه لم يكن ثم إذ لو كان ثم لتعين ولو تعين لم يتنكر فدل على أن من ادعى مع الله إلٰهاً آخر فقد نفخ في غير ضرم واستسمن ذا ورم لأنه ليس له حق يتعين ولا حق يتضح ويتبين فكان مدلول دعائه العدم المحض ولم يبق إلا من له الوجود المحقق وأطال في ذلك.

قلت: وهذا الكلام من أقوى دلالة على ضعف العمل بالمفهوم ثم إنه لا يتمشى إلا على مذهب من يقول إن المخطىء في الأصول لا وزر عليه كما لو أخطأ في الفروع وهو مذهب بعضهم خلافاً للجمهور.

وقال: إذا تلوت القرآن فاعلم عمن تترجم فإن الله تعالى تارة يحكي قول عبده بعينه وتارة يحكيه على المعنى مثال الأول قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] ومثال الثاني: قوله عن فرعون ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ [غافر: ٣٦] فإنه إنما قال ذلك بلسان القبط فوقعت الترجمة عنه باللسان العربي والمعنى واحد فهذه الحكاية على المعنى فلتعلم الأمور إذ وردت حتى يعلم قول الله من قول يحكيه لفظاً أو معنى كل لسان بما هو عليه فقول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟﴾ [آل عمران: ٨١] وانتهى قول الله ثم حكى قولهم مترجماً عنهم ﴿أَقْرَرْنَا﴾ [آل عمران: ٨١] وكذلك قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟﴾ [البقرة: ١٤]: إلى هنا انتهى قول الله: ﴿آمنا﴾، حكاية قولهم: ﴿وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟﴾ [البقرة: ١٤]: إلى هنا قول الله: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤] حكاية قول المنافقين وقس على ذلك.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]: أي: لن نضيق عليه وكذلك فعل الله تعالى ففرج الله عنه بعد الضيق ليعلم قدر ما أنعم الله تعالى عليه ذوقاً ولذلك سمّي قوله: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] توحيد الفم والتنفيس، لأنه تعالى نفس عن يونس بخروجه من بطن الحوت وكذلك عامل

قومه بكشفه عنهم العذاب بعد ما رأوه نازلاً بهم فآمنوا وأرغاه الله في أمته فنفعها إيمانها ولم يفعل ذلك مع أمة قبلها إذ كان غضبه لله ومن أجل الله فأمد لهم في التمتع في مقابلة ما نالوه من الألم عند رؤية العذاب فخص الله أمته من أجله بما لم يخص به أمة قبلها.

قال الشيخ: وقد اجتمعت بجماعة من قوم يونس سنة خمس وثمانين وخمسمائة بالأندلس حيث كنا فيه وقست أثر رجل واحد منهم في الأرض فرأيت طول قدمه ثلاثة أشبار، وثلثي شبر.

وقال: إنما كنت أذهب إلى تفضيل الملأ الأعلى من الملائكة على خواص البشر، لأن رسول الله ﷺ أعطاني الدليل على ذلك في واقعة وقعت لي وكنت قبل هذه الواقعة لا أذهب في هذه المسألة إلى مذهب جملة واحدة.

قلت: وذكر الشيخ عبد الكريم الجيلي رحمه الله أن الشيخ رجع عن القول بتفضيل خواص الملائكة على خواص البشر قبل موته بسنة ووافق الجمهور من أهل السنة انتهى. وتقدم ذلك أيضاً عنه في الباب الثالث والسبعين. ولكن سيأتي في الباب الثالث والثمانين وثلاثمائة قوله بعد كلام طويل:

وليس يدرك ما قلنا سوى رجل	قد جاوز الملأ العلوي والرسلا
وهام فيما يظن الخلق أجمعه	تحصيله وسها عن نفسه وسلا
ذاك الرسول رسول الله أحمدنا	رب الوسيلة في أوصافه كملا

فصرح بأن رسول الله ﷺ أفضل من الملائكة ومن سائر الرسل وسكت عما عداه، وتقدم قوله في الباب الخامس والعشرين: أخذ على الخضر العهد بالتسليم لمقالات الشيوخ فلعل ما ذكرناه عنه من التفضيل كان أولاً ثم رجع عنه. وكذلك تقدم قوله في الباب التاسع والستين: ليس يصح لأحد منا دخول مقام الرسالة إنما نراه من خارج كما نرى كواكب السماء ونحن في الأرض فراجعه والله تعالى أعلم.

وقال: نجم الثريا سبعة أنجم، والصرفة اثنان، والذراع ثلاثة، والبطين

أربعة، والجبهة خمسة، والدبران ستة، والنعائم تسعة. قال: ولم أر للثمانية صورة في نجوم المنازل ولهذا كان المولود إذا ولد في الشهر الثامن يموت ولا يعيش ويكون معلولاً لا ينتفع بنفسه بخلافه إذا ولد في سبعة أو تسعة وذلك لأن الثامن شهر يغلب على الجنين فيه البرد واليبس وهو طبع الموت وأطال في ذلك.

وقال: العرش مستدير الشكل وكل ما أحاط به فيه الاستدارة وانظر إلى التشبيه النبوي بأن الكرسي في جوف العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة فشبهه بكل مستدير وهي الحلقة. وكذلك شبه السموات في الكرسي كحلقة. قال: واعلم أن العرش يوصف تارة بالعظيم، وتارة بالكريم، وتارة بالمجيد. فهو من حيث الإحاطة عظيم لأنه أعظم الأجسام ومن حيث إنه أعطي ما في قوته لمن هو في حيطته وقبضته فهو كريم ومن حيث نزاهته أن يحيط به غيره من الأجسام فهو مجيد لشرفه على سائر الأجسام. قال: فإن قلت إذا كان العرش محيطاً بجميع الكائنات فأين الخلاء الذي يكون فيه الحافون من حول العرش لأن العرش قد عمر الخلاء؟ فالجواب أنه لا فرق بين كونهم حافين من حول العرش وبين الاستواء على العرش فإن من لا يقبل التحيز لا يقبل الاتصال والانفصال، فعلم أن هذا العرش الذي تحف به الملائكة هو الذي يأتي الله فيه للفصل والقضاء يوم القيامة، وليس هو الجسم الذي عمر الخلاء واستوى عليه الرحمٰن أما تراه تعالى يقول: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥] عند الفراغ من القضاء.

وقال: زيارة العبد لربه في الجنة تكون على عدد صلاته في دار الدنيا ورؤيته له على قدر حضوره فيها مع ربه.

وقال: ينبغي لقارىء القرآن إذا لم يكن من أهل الكشف أن يبحث ويسأل علماء الشريعة عن كل شيء ثبت عندهم أنه كان قرآناً ونسخ فيحفظه ليزيده الله بذلك درجات في الجنة حين يقال له يوم القيامة: اقرأ وارق. قال: وقد زعم بعض أهل الكشف أنه سقط من مصحف عثمان كثير من المنسوخ. قال: ولو أن رسول الله ﷺ، كان هو الذي تولى جمع القرآن

لوقفنا وقلنا هذا وحده هو الذي نتلوه يوم القيامة. قال: ولولا ما يسبق للقلوب الضعيفة ووضع الحكمة في غير أهلها لبينت جميع ما سقط من مصحف عثمان رضي الله عنه. قال: وأما ما استقر في مصحف عثمان فلم ينازع أحد فيه.

قلت: ذكر الشيخ محيي الدين في «الفتوحات المصرية» أنّ الذي يتعين اعتقاده أنه لم يسقط من كلام الله تعالى شيء لانعقاد الإجماع على ذلك والله أعلم.

وقال: لا يعرف حقائق الحروف المقطعة أوائل السور إلا أهل الكشف والوجود فإنها ملائكة وأسماؤهم أسماء الحروف. قال: وقد اجتمعت بهم في واقعة وما منهم ملك إلا وأفادني علماً لم يكن عندي فهم من جمله أشياخي من الملائكة فإذا نطق القارىء بهذه الحروف كان مثل ندائهم فيجيبونه بقول القارىء: ﴿الٓمٓ﴾ فيقول هؤلاء الثلاثة من الملائكة ما تقول فيقول القارىء ما بعد هذه الحروف فيقولون: صدقت إن كان خيراً ويقولون: هذا مؤمن حقاً نطق حقاً وأخبر حقاً فيستغفرون له وهكذا القول في ألف لام مَ صاد وأخواتها وهم أربعة عشر ملكاً آخرهم نون والقلم وقد ظهروا في منازل القرآن على وجوه مختلفة فمنازل ظهر فيها ملك واحد مثل نون وصاد ومنازل ظهر فيها اثنان مثل ﴿طسٓ ويسٓ وحمٓ﴾ وهكذا، وصورها مع التكرار تسعة وسبعون ملكاً بيد كل ملك شعبة من الإيمان فإن الإيمان بضع وسبعون شعبة والبضع من واحد إلى تسعة فقد استوفى غاية البضع فمن نظر في هذه الحروف بهذا الباب الذي فتحت له يرى عجائب وتكون هذه الأرواح الملائكة التي هي الحروف أجسامها تحت تسخيره وبما بيدها من شعب الإيمان تمده وتحفظ عليه إيمانه.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ [الرعد: ١٣] الصواعق أهوية محترقة اشتعلت فما تمر بشيء إلا أثرت فيه ولولا الأثير الذي هو نار بين السماء والأرض ما كان حيوان ولا نبات ولا معدن في الأرض لشدة البرد الذي في السماء الدنيا، فهو يسخن العالم لتسري فيه الحياة بتقدير العزيز العليم. قال: واعلم أن الأثير الذي هو ركن النار متصل

بالهواء والهواء حار رطب فيما في الهواء من الرطوبة إذا اتصل بهذا الأثير أثر فيه لتحركه اشتعالاً في بعض أجزاء الهواء الرطبة فبدت الكواكب ذوات الأذناب لأنها هواء محترق لا مشتعل وهي سريعة الاندفاع وإن أردت تحقيق هذا فانظر إلى شرر النار إذا ضرب الهواء النار بالمروحة يتطاير منها شرر مثل الخيوط في رأي العين ثم تنطفىء كذلك هذه الكواكب قد جعلها الله رجوماً للشياطين الذين هم كفار الجن كما قال الله تعالى. قال: واعلم أن الهواء لا يسمى ريحاً إلا إذا تحرك وتموج، فإذا اشتدت حركته كان زعزعاً وإن لم تشتد كان رخاء وهو ذو روح يعقل كسائر أجزاء العالم وهبوبه تسبيحه تجري به الجواري، ويطفأ به السراج، وتشعل النار وتتحرك المياه والأشجار، ويموج البحر وتزلزل الأرض ويزجي السحاب. قال: واعلم أن روح المياه من الهواء، ولو سكن الهواء لهلك كل متنفس وكل شيء في العالم متنفس وتأمل الإنسان إذا حمي بدنه في زمن الصيف يحرك الهواء بالمروحة ليبرد عنده ما يجده من الحرارة لما في الهواء من برودة الماء فإن صورة الهواء من الماء.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [فاطر: ١٢]: اعلم أن الله تعالى ما جعل تكوين دواب البحر الملح إلا في العذب منه خاصة فإن الله تعالى أجرى في قعره عيناً وأنهاراً عذبة وجعل للأرض نفساً من الهواء فيطرأ التعفين من ذلك فكون حيوانات البحر الملح في الماء العذب ولولا وجود الهواء فيه والماء العذب ما تكون فيه حيوان، ألا ترى البخار الصاعد من الأنهار والبخار الصاعد من الأرض ومن البحر كيف يخرج كما يخرج النفس من المتنفس فيطلب ركنه الأعظم فيستحيل منه ما يستحيل ويلحق بعنصره ما يلحق على قدر ما سبق في علم الله من ذلك فهو دولاب دائر منه يخرج وإليه يعود.

وقال في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] اعلم أن طبقات الأرض سبع كطبقات السموات في كونها واحدة فوق واحدة قال ﷺ فيمن غصب شبراً من الأرض: «طوِّقَهُ من سبع أرضين» وذلك أنه إذا غصب شيئاً من الأرض كان ما تحت ذلك المغصوب

مغصوباً إلى منتهى الأرض السابعة ولو لم تكن طباقاً بعضها فوق بعض لبطل المعقول من هذا الخبر وكذلك الخبر الوارد في سجود العبد على الأرض من أن يظهر الله ذلك الموضع بسجدته إلى سبع أرضين وقوله: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] أي: بين السموات والأرضين ولو كانت أرضاً واحدة، لقال بينهما. قال: وهذا الذي قررناه هو الظاهر، وهو الذي أعطاه كشفنا والله أعلم.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠] اعلم أن العالم كله في قبضة الحق لا يمكنه الانفكاك عن ذلك والانقباض في المقبوض يبس بلا شك فهو يطلب بذاته لغلبة اليبس عليه ما يرطبه وقوله: ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠] أفلا يصدقون بذلك لجواز خلافه عقلاً الذي هو ضد الواقع فإنه لو غلب عليه البرد والرطوبة هلك ولم يكن له شفاء يحيا به إلا الحرارة واليبس، فكان يقال في ذلك الحال وجعلنا من النار كل شيء حي ولو غلب عليه البرد واليبس لكانت حياته بالهواء، فيقال في تلك الحالة وجعلنا من الهواء كل شيء حي ولو أفرطت عليه الحرارة والرطوبة لكانت حياته بالتراب وكان يقال في هذه الحالة: وجعلنا من التراب كل شيء حي. وأطال في ذلك.

وقال: حيثما أضيف الرزق إلى الله تعالى فالمراد به الحلال الطيب من حيث الكسب وكل ما كان به حياة العبد فهو رزق الله وليس فيه تحجير ومن هنا كان المضطر لا حجر عليه فعلم أن الحرام لا ينبغي إضافته إلى الله تعالى أدباً.

قلت: ومن هنا كان من أدب الفقراء أن لا يأكلوا إلا عند الجوع لتخف الشبهة في الشبهات وليكونوا في حال أكلهم تحت أمر واجب أو مستحب بخلاف الأكل من غير الجوع فافهم؛ وأول مراتب الجوع اشتغال الأمعاء بأكل بعضها بعضاً لعدم الطبيعة التي بها غذاؤها والله أعلم.

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]، الآية: اعلم أن الله تعالى وصف الجن باللطافة وخلقهم من

مارج من نار والمرج الاختلاط فهم من نار مركبة فيها رطوبة المواد ولهذا يظهر لها لهب واللهب حار رطب. قال: واعلم أن الشياطين من الجن هم الأشقياء البعداء من رحمة الله خاصة وأما السعداء فأبقى عليهم اسم الجنس وهم الجان والجان خلق بين الملائكة والبشر الذي هو الإنسان وهو عنصري، ولهذا تكبر فلو كان طبيعياً خالصاً من غير حكم العنصر ما تكبر وكان مثل الملائكة وهو برزخي النشأة له وجه إلى الأرواح النورية بلطافة النار منه فله الحجاب والتشكل وله وجه إلينا أيضاً به كان عنصرياً ومارجاً فأعطاه الاسم اللطيف أن يجري من ابن آدم مجرى الدم ولا يشعر به وأطال في ذلك ثم قال: فالاسم اللطيف هو الذي جعل الجان يستر عن أعين الناس فلا تدركهم الأبصار إلا متجسدين والله أعلم.

وقال في الباب الثاني ومائتين ما نصه: اعلم أن آداب الشريعة كلها ترجع إلى ما نذكره وهو أن لا يتعدى العبد في الحكم موضعه في جوهر كان، أو في عرض، أو في زمان، أو في مكان، أو في وضع، أو في إضافة، أو في حال، أو في مقدار، أو عدد، أو في مؤثر، أو في مؤثر فيه فأما أدبه في الجوهر فهو أن يعلم العبد حكم الشرع في ذلك فيجريه فيه بحسبه، وأما أدب العبد في الأعراض فهو ما يتعلق بأفعال المكلفين من وجوب، وحظر، وإباحة، ومكروه، وندب وأما أدبه في الزمان فلا يتعلق إلا بأوقات العبادات المرتبطة بالأوقات فكل وقت له حكم في المكلف ومنه ما يضيق وقته ومنه ما يتسع، وأما أدبه في المكان كمواضع العبادات مثل بيوت الله فيرفعها عن البيوت المنسوبة إلى الخلق ويذكر فيها اسمه، وأما أدبه في الوضع فلا يسمى الشيء بغير اسمه ليغير عليه حكم الشرع بتغيير اسمه فيحلل ما كان محرماً ويحرم ما كان محللاً كما في حديث «سيأتي على أمتي زمان يظهر فيه أقوام يسمون الخمر بغير اسمها» أي: فتحاً لباب استحلالها بالاسم، وقد تفطن لما ذكرناه الإمام مالك رحمه الله تعالى فسئل عن خنزير البحر فقال: هو حرام فقيل له: إنه من جملة سمك البحر فقال: أنتم سميتموه خنزيراً فانسحب عليه حكم التحريم لأجل الاسم كما سموا الخمر نبيذاً أو تريزاً فاستحلوها بالاسم وقالوا: إنما حرم علينا ما كان اسمه خمراً. وأما

أدب الإضافة فهو مثل قول الخضر ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] وقال: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ [الكهف: ٨١] وذلك للاشتراك بين ما يحمد ويذم. وقال: فأراد ربك لتخليص المحمدة فيه فأفاد أن الشيء الواحد يكتسب ذماً بالنسبة إلى جهة ويكتسب حمداً بالإضافة إلى جهة أخرى، وهو هو بعينه وإنما تغير الحكم بالنسبة وأما أدب الأحوال كحال السفر في الطاعة، وحال السفر في المعصية فيختلف الحكم بالحال وأما الأدب في الأعداد فهو أن لا يزيد في أفعال الطهارة على أعضاء الوضوء ولا ينقص وكذا القول في أعداد الصلوات والزكوات ونحوها وكذلك لا يزيد في الغسل عن صاعٍ والوضوء عن مد وأما أدبه في المؤثر فهو أن يضيف القتل أو الغضب مثلاً إلى فاعله ويقيم عليه الحدود وأما أدبه في المؤثر فيه كالمقتول قوداً فينظر هل قتل بصفة ما قتل به أو بأمر آخر وكالمغصوب إذا وجد بغير يد الذي باشر الغصب فهذه أقسام آداب الشريعة كلها.

وقال في الباب الثالث ومائتين: من راض نفسه ترقى لمقام رضا الله تعالى عنه، وذلك لأن الرياضة تذليل للنفس شيئاً بعد شيء حتى يلتحق بدرجة العبيد الخلص لله تعالى ولذلك سميت الأرض ذلولاً يطؤها البر والفاجر، ولا تمييز عندها في ذلك بل تحمل البار حباً لما هو عليه من مراضي سيده وتحمل الفاجر حمل الله تعالى إياه بكونه يرزقه على كفره به وجحده إياها ونسيان شكر رب النعمة ونحو ذلك.

قلت: فعلم أنه كلما اتسعت دائرة العبد في المعارف كلما طولب بتحمل الأذى من جميع العالم على اختلاف طبقاتهم وأنه كلما علت درجة العبد كلما كثر عصيان أتباعه له لكثرة تخلقه بالحلم والرحمة، وكانوا قبل ذلك سامعين مطيعين له لضيقه ولو أنهم عصوه أيام ضيق حاله لنفر ولم يصبر وتفسخ عزمه عن تربيتهم هذا مع أن أسباب المخالفات في زيادات لا تنفك حتى تقوم الساعة وكلما كثرت اتسعت دائرة الحلم، والعارف متخلق بأخلاق الحق في ذلك، ويؤيد هذا الذي قررناه أن الحق تعالى حبس تسعة وتسعين جزءاً من الرحمة عن أهل الدنيا ثم ينشر جميع أجزاء الرحمة في الآخرة فنحن كل قليل نقرب من نشر هذه الأجزاء علينا وما قارب الشيء أعطي

حكمه فافهم والله أعلم.

وقال في الباب السابع ومائتين: اعلم أن معاصي الخواص ليست كمعاصي غيرهم حتى يقعوا في المعاصي بحكم الشهوة الطبيعية، وإنما تكون معاصي الخواص بالخطأ في التأويل وإيضاح ذلك أن الحق تعالى إذا أراد إيقاع المخالفة من العارف بالله زين له الوقوع في ذلك العمل بتأول لأن معرفة العارف تمنعه من الوقوع في المخالفة دون تأويل يشهد فيه وجه الحق فإن العارف لا يقع في انتهاك الحرمة أبداً ثم إذا وقع في ذلك المقدور بالتزيين والتأويل يظهر تعالى له فساد ذلك التأويل الذي أداه إلى ذلك الفعل كما وقع لآدم عليه السلام، فإنه عصى بالتأويل فعند ذلك يحكم العارف على نفسه بالعصيان كما حكم عليه بذلك لسان الشريعة وكان قبل الوقوع غير عاص لأجل شبهة التأويل كما أن المجتهد في زمان فتواه بأمر ما اعتقاداً أن ذلك عين الحكم المشروع في المسألة لا يوصف بخطأ ثم في ثاني الحال إذا ظهر له بالدليل أنه أخطأ حكم عليه لسان الظاهر أنه أخطأ في زمان ظهور الدليل لا قبل ذلك فعلم أنه لا يمكن لعبد أن يعصي ربه على الكشف من غير تأويل، أو تزيين، أو غفلة، أو نسيان أبداً. قال: وأما قول أبي يزيد لما قيل له: أيعصي العارف الذي هو من أهل الكشف؟ فقال: نعم، وكان أمر الله قدراً مقدوراً؛ فلا ينافي ذلك. أي: لأن من أدب العارفين مع ربهم أن لا يحكموا عليه بتقييد كأنه يقول: إن كان الحق تعالى قدر عليهم في سابق علمه بشيء فلا بد من وقوعه وإذا وقع فلا بد لهم من حجاب أدناه التأويل والتزيين، فاعلم ذلك.

وقال في الباب الثامن ومائتين: من مكر الله الخفي بإبليس اشتغاله بالعارفين ليوقعهم في المخالفات وهو تعالى قد حفظهم من مطاوعته في ذلك فهو يعمل دائماً في غير معمل فكلما وسوس لولي في شيء خالفه ذلك الولي فيرقى بتلك المخالفة من حيث لا يشعر إبليس فهو لعنه الله ساع في تنقيصهم ليلاً ونهاراً، وذلك عين رفع درجاتهم ولو أنه شعر بذلك لرجع عنهم فافهم.

وقال في الباب التاسع ومائتين: إنما أحال الحق تعالى موسى على الجبل حين سأل رؤية ربه لأن من صفات الجبل الثبوت. أي: فإن ثبت

الجبل إذا تجليت له فإنك ستراني من حيث ما في ذاتك من ثبوت الجبال يقال فلان جبل من الجبال إذا كان يثبت عند الشدائد والأمور العظام، وإيضاح ذلك أن الجبل ليس هو أكرم على الله تعالى من موسى، وإنما هو لكون خلق الأرض التي الجبل منها أكبر من خلق موسى الذي هو من الناس كما قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]. أي: فإذا كان الجبل الذي هو الأقوى صار دكاً عند التجلي فكيف يكون موسى من حيث جبليته الصغيرة يثبت لرؤيتي. وأطال في ذلك.

وقال في الباب العاشر ومائتين: من أراد أن يعرف بغض الحق أو محبته له فلينظر إلى حاله الذي هو عليه من اتباع رسول الله ﷺ وأصحابه والأئمة المهتدين بعده فإن وجد نفسه على هديهم وأخلاقهم من الزهد، والورع، وقيام الليل على الدوام وفعل جميع المأمورات الشرعية وترك جميع المنهيات كذلك حتى صار يفرح بالبلايا والمحن وضيق العيش وينشرح لتحويل الدنيا ومناصبها وشهواتها عنه، فليعلم أن الله تعالى يحبه وإلا فليحكم بأن الله يبغضه والإنسان على نفسه بصيرة.

وقال في الباب الحادي عشر ومائتين في قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]: ويحتمل ذلك وجهين: أحدهما: أنه نفى أن تدركه الأبصار على طريق التنبيه على الحقائق أي: على معنى أن المدرك له تعالى ليس هو الأبصار وإنما يدركه المبصرون بالأبصار. والوجه الثاني: لا تدركه الأبصار المقيدة بالجارحة لضعفها عن مقابلة النور الإلٰهي ولذلك قال ﷺ: «نور أنّى أراه» لمن سأله هل رأيت ربك؟ يعني: بالبصر المقيد بالجارحة فعلم أن الأبصار إذا لم تتقيد بالجارحة أدركته تعالى بنوره الذي وقع فيه التشبيه بالمصباح لا بنورها المقيد الذي يقبل التشبيه. وأطال في ذلك.

وقال في الباب الثالث عشر ومائتين: ما ذكر الله تعالى قط أحد عن غفلة بجوارحه كلها لأن اللسان الذي هو المترجم قد ذكر وإنما الغفلة عن شعور الذاكر بأنه ذاكر فللذاكر باللسان أجر ذكر اللسان فهو أفضل من ترك الذكر جملة.

وقال في الباب السادس عشر ومائتين: من ارتفع حجابه رأى من ورائه

كما يرى من أمامه بحكم الإرث لرسول الله ﷺ. قال: وقد ذقنا هذا المقام ولله الحمد.

وقال في الباب التاسع عشر ومائتين في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩﴾ [الواقعة: ٥٨ - ٥٩]: إنما قال سبحانه وتعالى: أأنتم تخلقونه ولم يقل: أأنتم تخلقون منه أو فيه. لأنه تعالى أراد عين إيجاده منا خاصة والاسم المصور هو الذي يتولى فتح الصورة فيه أية صورة شاء من الجنس أو غيره، وهو قوله تعالى: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الإنفطار: ٨]. يعني: شاء الاسم المصور.

وقال في الباب الخامس والعشرين ومائتين في قول الله عزّ وجلّ حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠]: أي: بل آمنت ولكن لوجود الإحياء وجوه كثيرة كما كان وجود الخلق فمن الخلق من أوجدته يا رب عن كن ومنهم من أوجدته بيدك، ومنهم من أوجدته بيديك، ومنهم من أوجدته ابتداء، ومنهم من وجدته عن خلق آخر. فطلبت العلم بكيفية الأمر فإن كان واحداً فأي واحد من هذه الأمور والأنواع، فإذا أعلمتني به اطمأن قلبي، وسكن بحصول ذلك الوجه والزيادة من العلم مما أمرتنا به فأحال سبحانه وتعالى إبراهيم على الكيفية بالطيور الأربعة التي هي مثال الطبائع الأربعة إخباراً بأن وجود الآخرة طبيعي يعني: فتحشر الأجسام الطبيعية إذ كان ثم من يقول: لا تحشر الأجسام وإنما الحشر حشر النفوس بالموت إلى النفس الكلية مجردة عن الهياكل الطبيعية فأخبر الله تعالى إبراهيم أن الأمر ليس هو كما زعم هؤلاء فأحاله على أمر موجود عنده تصرف فيه إعلاماً بأن الطبائع لو لم تكن معلومة مشهودة متميزة عند الله لم تتميز فما أوجد العالم الطبيعي إلا من شيء معلوم عنده مشهود له نافذ التصرف فيه فجمع بعضه إلى بعض فظهر الجسم على هذا الشكل الخاص وبان لإبراهيم بإحالته على الأطيار الأربعة وجود الأمر الذي فعله الحق تعالى في إيجاد الأجسام الطبيعية والعنصرية فأجسام أهل السعادة طبيعية وأجسام أهل النار عنصرية، ولذلك لا تفتح لهم أبواب السماء إذ لو فتحت لخرجوا عن العناصر بالترقي فافهم هذاك

الله تعالى.

وقال في الباب الحادي والثلاثين ومائتين: من أعظم المكر بالعبد أن يرزق العلم الذي يطلب العمل ويحرم العمل به أو يرزق العمل ويحرم الإخلاص فيه فإذا رأيت يا أخي هذا من نفسك أو علمته عن غيرك فاعلم أن المتصف به ممكور به.

وقال في الباب الرابع والثلاثين ومائتين: من النكت الجليلة التي ينبغي التنبيه عليها: أن تعلم يا أخي أن المؤمن لا يأتي قط معصية توعد الله عليها بالعقوبة إلا ويجد في نفسه عند الفراغ منها الندم وقد قال رسول الله ﷺ: «الندم توبة»، وقد قام به الندم فهو تائب فإذا قبله الحق سقطت عنه العقوبة فإنه لا بد للمؤمن أن يكره المخالفة ولا يرضى بها في حال عملها فهو من كونه كارهاً لها ومؤمناً بأنها معصية ونادماً عليها ذو عمل صالح وهو من كونه فاعلاً لها ذو عمل سيىء، فهو من الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم وعسى من الله واجبة الوقوع فلا بد له من التوبة وحاصل الأمر أنه ذو عمل صالح من ثلاثة وجوه وذو عمل سيىء من وجه واحد كما مر.

وقال في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨]: لم يتعرض سبحانه في هذه الآية للمؤاخذة به ولكن لا بد من رؤيته لكل ما عمله فإن كان ممن غفر له فإنه يرى عظيم ما جنى وعظيم نعمة الله عليه بالمغفرة والكريم إذا ما توعد تجاوز وعفا، والله أولى بهذه الصفة من الكرام من عبيده وأطال في ذلك، والله أعلم.

وقال في الباب الخامس والثلاثين ومائتين: لا يجوز لأحد التواجد إلا بإشارة شيخ مرشد عارف بأمراض الباطن.

قلت: قال في الباب السادس والثلاثين ومائتين: من شرط أهل الله في السماع أن يكونوا على قلب رجل واحد، وأن لا يكون فيهم من ليس من جنسهم أو غير مؤمن بطريقهم لأن حضور مثل هؤلاء يشوش.

وقال في الباب السابع والأربعين ومائتين: استغفار الأنبياء لا يكون عن ذنب حقيقة كذنوبنا وإنما هو عن أمور تدق عن عقولنا لأنه لا ذوق لنا في مقامهم فلا يجوز حمل ذنوبهم على ما نتعقله نحن من الذنب.

قلت: ويصح حمل قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] على نسبة الذنب إليه من حيث إن شريعته هي التي حكمت بأنه ذنب فلولا أوحي به إليه ما كان ذنباً فجميع ذنوب أمته تضاف إليه وإلى شريعته بهذا التقدير وكذلك ذنب كل نبي ذكره الله، وقد قالوا: لم يعص آدم وإنما عصى بنوه الذين كانوا في ظهره فما كان قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ إلا تطميناً له ﷺ أنّ الله تعالى قد غفر جميع ذنوب أمته التي جاءت بها شريعته ولو بعد عقوبة بإقامة الحدود عليهم في دار الدنيا كما وقع لماعز. ومن الواجب على كل مؤمن انتحال الأجوبة للأكابر جهده وذلك مما يحبه الله عز وجل ويحبه من أجبنا عنهم فافهم؛ هذا اعتقادنا الذي نلقى الله تعالى عليه إن شاء الله تعالى.

وقال في الباب الثامن والأربعين ومائتين: لا بد لطالب طريق الله تعالى من رمي ما بيده من الدنيا إن كان بلا عائلة ولا شيخ وإن كان تحت تربية شيخ معتبر رماها بين يدي الشيخ وخرج عنها بالكلية ظاهراً وباطناً، ولا يبقى له قط ملكاً. قال: ولا ينبغي له أن ينتظر حالة ينشرح لإخراج ما بيده من الدنيا بل يرميه ولو كان في باطنه محبة له. قال: وهكذا كان خروجنا عما بأيدينا من المال إذ لم يكن لنا إذ ذاك شيخ نحكمه في ذلك. قال: ثم إني لم أسأل ما جرى لذلك المال إلى يومي هذا وأطال في الاستدلال على ذلك.

وقال في الباب الأحد وخمسين ومائتين في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]: اعلم أن كل من طلب الزيادة من شيء فما ارتوى منه ولذلك لم يأمر الحق سبحانه وتعالى بطلب العلم إلى وقت معين ولا حد محدود بل أطلق طلب الزيادة والعطاء دنيا وآخرة، فلا يزال طالب العلم عطشان لا يروى أبداً لأنه كلما نال علماً أعطاه ذلك العلم الاستعداد لعلم آخر كوني أو إلٰهي فما قال بالري إلا من جهل ما يخلق فيه على الدوام

والاستمرار، ومن لا علم له بنفسه فلا علم له بربه وإذا كان الحق تعالى لم يزل خلاقاً إلى غير نهاية فينا فالعلوم إلى غير نهاية وأطال في ذلك.

وقال في الباب الثاني والستين ومائتين: اعلم أن الشريعة تسمى حقيقة لأنها حق كلها والحاكم بالشريعة على حق وهدى من الله وإن كان المحكوم له على باطل والمحكوم عليه على حق لكن هل هو عند الله كما حكم هذا الحاكم أو كما هو في نفس الأمر؟ قال بكل جماعة. قال والمسألة تحتاج إلى سَبْر أدلة وتحقيق نظر فإن العقوبة قد أوقعها الله في الرامين المحصنات وإن صدقوا إذا لم يأتوا بأربعة شهداء، وقال في قضية خاصة في ذلك كان الرائي كاذباً فيها لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء كما قرر في الحكم ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِالشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النور: ١٣] فقوله: أولئك هل يريد بهذه الإشارة هذه القضية الخاصة، أو يريد عموم الحكم في ذلك فإن جلد الرامي إنما كان لرميه ولكونه ما جاء بأربعة شهداء وقد تكون الشهداء شهود زور في نفس الأمر وتحصل العقوبة بشهادتهم في المرمي فيقتل وله الأجر التام في الآخرة مع ثبوت الحكم عليه في الدنيا وعلى شهود الزور والمفتري العقوبة في الأخرى وإن حكم الحق في الدنيا بقوله: وبشهادة شهود الزور فيه؛ ولهذا قال ﷺ: «إنما أنا بشر مثلكم وإنكم لتختصمون إليّ ولعل أحدكم يكون ألحن بحجته من الآخر فمن قضيت له بحق أخيه فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار»، فقد قضى له بما هو حق لأخيه وجعله له حقاً مع كونه معاقباً عليه في الآخرة كما يعاقب الإنسان على الغيبة والنميمة، مع كونهما صدقاً فما كل صدق في الشرع تقترن به السعادة، وأطال في ذلك.

ثم قال في الباب الثالث والستين ومائتين: فعين الشريعة عين الحقيقة، والشريعة حق ولكل حق حقيقة فحق الشريعة وجود عينها وحقيقتها ما ينزل منزلة الشهود البصري والوجود الحسي النافي للشك جملة إذ الحقيقة تطلب الحق لا تخالفه وما ثم حقيقة تخالف شريعة أبداً فإن الشريعة من جملة الحقائق ولكن لما كان الاطلاع على الحقائق عزيز المثال لا يعرفه كل أحد فرق الناس بينهما انتهى. فليتأمل ويحرر هداك الله تعالى.

وقال في الباب الرابع والستين ومائتين في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢]: اعلم أنه لا بد لجميع بني آدم من العقوبة والآلام شيئاً بعد شيء إلى دخولهم الجنة فأول الألم في الدنيا استهلال المولود حين ولادته صارخاً لما يجده عند مفارقة الرحم وسخونته فيضربه الهواء عند خروجه من الرحم فيحس بألم البرد فيبكي فإن مات فقد أخذ بحظه من البلاء وإن عاش فلا بد له في الحياة الدنيا من الألم، إذ الحيوان مجبول على ذلك فإذا نقل إلى البرزخ فلا بد له من ألم أدناه سؤال منكر ونكير، فإذا بعث فلا بد له من ألم الخوف على نفسه أو على غيره فإذا دخل الجنة ارتفع عنه حكم الآلام وصحبه النعيم أبد الآبدين.

وقال في الباب الثامن والستين ومائتين في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥]: أي: من أين ظهر؟ فقيل له: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥] فما كان ذلك سؤالاً عن الماهية كما فهمه بعضهم فإنهم ما قالوا: ما الروح وإن كان السؤال بهذه الصيغة محتملاً ولكن قوي الوجه الذي ذهبنا إليه ما جاء في الجواب من قوله من أمر ربي، ولم يقل هو كذا كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]. وأطال في ذلك فليتأمل ويحرر.

وقال في الباب التاسع والستين ومائتين في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥] الآية: اعلم أن علم اليقين هو ما أعطاه الدليل الذي لا يقبل الدخل ولا الشبهة وعين اليقين هو ما أعطاه المكاشفة والشهود وحق اليقين هو ما حصل في القلب من العلم بما أريد له ذلك المشهود، مثال علم اليقين الذي لا يدخله شبهة، ولا يقدح في دليله دخل علمنا بأن لله تعالى بيتاً يسمى الكعبة بقرية تسمى مكة يحج الناس إليه في كل سنة، ويطوفون به ثم إنه عند الوصول إليه شوهد فهذا عين اليقين الذي كان قبل هذا الشهود علم اليقين فإنه قد حصل في النفس برؤيته ما لم يكن عندها قبل رؤيته ذوقاً ثم لما فتح الله عين بصيرة هذا المشاهد في كون هذا البيت مضافاً إلى الله مقصوداً دون غيره من البيوت المضافة إلى الله فعلم علة ذلك ونسبته بإعلام الله لا بنظره واجتهاده فكان علمه بذلك حقاً يقينياً مقرراً عنده لا

يتزلزل فما كل حق له قرار ولا كل علم ولا كل عين كذلك فلذلك صحت الإضافة ولو كان علم اليقين وعينه، وحقه نفس اليقين ما صحت الإضافة لأن الشيء الواحد لا يضاف إلى نفسه إذ الإضافة لا تكون إلا بين مضاف ومضاف إليه، فطلب الكثرة حتى يصح وجودها وأطال في بيان الفرق بين هذه المراتب فليتأمل فإنه نفيس.

وقال في الباب الأحد والسبعين ومائتين في قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ [البقرة: ٢٢٩] الآية: اعلم أن الشارع إنما كره الطلاق وقال: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق» ندباً إلى الألفة وانتظام الشمل ولما علم الله تعالى أن الافتراق لا بد منه لكل مجموع مؤلف لحقيقة خفيت عن أكثر الناس شرع الطلاق رحمة لعباده ليكونوا مأجورين في أفعالهم محمودين غير مذمومين إرغاماً للشيطان فإنهم في ذلك تحت إذن إلٰهي. وقال: وإنما كان الطلاق أبغض الحلال إلى الله لأنه رجوع إلى العدم إذ بائتلاف الطبائع ظهر وجود التركيب وبعدم الائتلاف كان العدم فمن أجل هذه الرائحة كرهت الفرقة بين الزوجين لعدم عين الاجتماع.

وقال في الباب الثاني والسبعين ومائتين في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الصمد: ١]: إنما لم يقل: واحد لأن الأحد هو الذي لا يشارك في أحديته. قال: وأما الواحد فإنا نظرنا في القرآن هل أطلقه على غيره كما أطلق الأحدية فلم أجده وما أنا منه على يقين في هذا الوقت فإن كان لم يطلقه فهو أخص من الأحدية ويكون اسماً للذات علماً لا صفة كالأحدية فإن الصفة محل الاشتراك ولهذا أطلقت الأحدية على كل ما سوى الله في القرآن في نحو قوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] وإن كان مذهبنا اختصاص الأحدية بالله تعالى دون خلقه وأطال في ذلك.

وقال في الباب الرابع والسبعين ومائتين في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًاۖ﴾ [الأنعام: ٢] وهو نهاية عمر كل حي يقبل الموت، ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ﴾ هو ميقات حياة كل من كان قبل الموت في حياته الأولى وهو المعبر عنه بالبعث ولذلك قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢]. يعني: فيه؛ فإن الموت لا يمترون فيه فإنه مشهود لهم في كل حيوان مع الأنفاس وإنما

وقعت المرية في البعث وهو الأجل المسمى المذكور وإنما لم يجعل أجل الموت مسمى لأنه إذا نفخ في الصور صعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله فاستثنى طائفة لا يصعقون فلا يموتون، وأطال في ذلك.

وقال في الباب السادس والسبعين ومائتين في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٦]: المراد بإقامة التوراة وما بعدها عدم تأويلها فمن أول كلام الله فقد أضجعه بعد ما كان قائماً، ومن نزهه عن التأويل والتعمل فيه بفكره فقد أقامه إذ الفكر غير معصوم من الغلط في حق كل أحد. قال: والمراد بقوله: ﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦] هو العلم الموهوب ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٦] يعني: العلم المكتسب وأطال في ذلك.

وقال في الباب الأحد والثمانين ومائتين في قوله ﷺ: «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله» أي: فقد أهله وماله: اعلم أن سبب تخصيص صلاة العصر بالتشبيه المذكور دون غيرها من الصلوات أن سائر أوقات الصلوات محدودة إلا العصر فهي غير محدودة، وإن قاربت الحد فإن المغرب محدودة بغروب الشمس وهو محقق محسوس والعشاء محدودة أولها بمغيب الشفق من أولها وهو محقق محسوس أي شفق كان على الخلاف في ذلك والفجر محدود أوله بالبياض المعترض في الأفق المستطيل وهو محقق محسوس والظهر محدود بزوال الشمس والظل ظهور وهو محقق محسوس ولم يأت مثل هذه الحدود في العصر فتنزهت عن الحدود المحققة، لأنه ﷺ قد جعل وقتها أن تكون الشمس مرتفعة بيضاء نقية فليس حدها ظاهراً مثل حد غيرها وأما جعل ظل الشاخص طوله غير ظل الزوال فليس ذلك في كل زمان فلم يتعلق الحد على التحقيق بها كتعلقه بسائر أخواتها فلذلك عظمها النبي ﷺ، للمناسبة التي فيها الصفات الحق من حيث نفي الحدود، وقد أنشد:

صلاة العصر ليس لها شبيه   لنظم الشمل فيها بالحبيب

أي: لأن العصر حقيقة ضم شيء إلى آخر لاستخراج مطلوب ما هو

هنا ضم ذات عبد مطلق في عبودية لا يشوبها ربوبية بوجه من الوجوه إلى ذات حق مطلق لا يشوبها عبودية أصلاً بوجه من الأسماء التي تطلب الكون كالرحيم، والغفار ونحوهما، فلما تقابلت الذاتان بمثل هذه المقابلة كان المعتصر عين الكمال لكل ذات بما يليق بها؛ قال: وهذا هو المطلوب الذي له وجد العصر وقد ألقيت بك على مدرجة الكمال انتهى. وهو كلام نفيس.

وقال فيه: لا حرج على العبد المريض في شكواه لأخيه ما به من المرض كما يستعين بأخيه وإذا تفرد الإنسان بهمه عظم عليه وإذا وجد من يقاسمه فيه ولو بالتوجع خف عليه التألم واستراح.

وقال في الباب الثاني والثمانين ومائتين في قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] الآية: اعلم أن ورود الموت على النفوس لا يكون إلا عن حياة سابقة إذ الموت لا يرد إلا على حي والتفرق لا يكون إلا عن اجتماع وكذا الحكم في موت النفس بعد العلم. فإن قيل: إن العلم بالله طارىء الذي هو حياة النفوس والجهل ثابت لها قبل وجود العلم فكيف يوصف الجاهل بالموت وما تقدم علم يحيا به؟ قلنا: العلم بالله سبق إلى كل نفس في الأخذ الميثاقي حين أشهدهم على أنفسهم فلما عمرت الأنفس الأجسام الطبيعية في الدنيا فارقها العلم بتوحيد الله فبقيت النفوس ميتة بالجهل بتوحيد الله ثم بعد ذلك أحيا الله بعض النفوس بتوحيده وأحياها كلها بالعلم بوجود الله إذ كان من ضرورة العقل العلم بوجود الله فلهذا سميناه ميتاً فلما رد إليه علمه حيي به كما ترد الأرواح إلى أجسامها في الدار الآخرة يوم البعث وقوله: ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] يريد مقابلة النور الذي يمشي به في الناس وما هو عين الحياة إذ الحياة الإقرار بوجود الله والنور المجعول بتوحيد الله والموت الجهل بوجود الله والظلمات الجهل بتوحيد الله ولهذا لم يذكر الحق تعالى في الأخذ الميثاقي إلا الإقرار بوجود الله لا بتوحيده ما تعرض للتوحيد فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. فأقروا له بالربوبية التي هي السيادة وأطال في ذلك.

وقال في قوله تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾﴾

[التكاثر: ١، ٢]: اعلم أن شهود الكثرة يوجب للعبد الجهل بنفسه وذلك لأن الروح لا يعقل نفسه إلا مع هذا الجسم محل الكم والكثرة ولم يشهد نفسه قط وحده مع كونه في نفسه واحداً ولا تعرف إنسانيته إلا مع وجود هذا الجسم ولا تعقل أحديته في ذاته أبداً وإنما تعقل أحدية الجنس لا الأحدية الحقيقية والذي يحصل له بالاكتساب أنه واحد في عينه علم دليل فكري لا علم ذوق شهودي كشفي وأطال في ذلك. ثم قال: واعلم أن الزيارة مأخوذة من الزور وهو الميل فمن زار قوماً فقد مال إليهم بنفسه فإن زارهم بمعناها فقد مال إليهم بقلبه وشهادة الزور هي الميل إلى الباطل عن الحق وزيارة الموتى هي الميل إليهم تعشقاً لصفة الموت أن تحل به فإن الميت لا حكم له في نفسه وإنما هو في حكم من يتصرف فيه ولا يتصور من الميت منع ولا إباية ولا حمد ولا ذم ولا اعتراض بل هو مسلم فمن وفى هذا المقام حقه فهو من رجال الله. قال: وجملة الأمر أن يكون حياً في أفعاله الظاهرة والباطنة التي يتعلق بها التكليف، ويكون ميتاً بالتسليم لموارد القضاء عليه في كل شيء لا للمقضي والله أعلم.

وقال في الباب الثالث والثمانين ومائتين: ليس للشيطان على قلوب الأنبياء اطلاع ولا استشراف بخلاف قلوب الأولياء ألا ترى أن الشيطان لعنه الله لما علم أن رسول الله ﷺ بهذه المثابة من العصمة أن يصل إلى قلبه كيف جاءه في الصلاة في قبلته بشعلة من نار مخيلة فرمى بها في وجهه وكان غرض الشيطان أن يحيل بينه وبين الصلاة لما يرى له فيها من الخير فإنه يحسده بالطبع فتأخر النبي ﷺ إلى خلف ولم يقطع صلاته وأخبر بذلك أصحابه، وأما الولي فإن الشيطان يلقي إليه في قلبه وقد يسمع منه ما يحدث به نفسه فيطمع أن يلبس عليه حاله. وأطال في ذلك.

وقال في الباب الرابع والثمانين ومائتين: ينبغي للعارف إذا كان في مجلسه من لا يؤمن بكلام القوم ولا يفهمه أن لا يتكلم بشيء من الدقائق فإن سبق منه كلام دقيق على من ليس من أهل الطريق فالأدب منه أن يقول: إنما هذه عبارات أحوال ونطق حال لا نطق مقال كما تقول الأرض للوتد لم تشقني فيقول لها الوتد: على من يدقني.

وقال فيه: اعلم أن الفتح بعد المجاهدات والرياضات أمر لازم ولا بد منه، تطلبه الأعمال وتناله الأنفس ولكن متى يكون ظهور ذلك الفتح هل هو الدنيا أم الآخرة؟ ذلك إلى الله تعالى، فإذا رأيت يا أخي عامل صدق أو عرفت ذلك من نفسك ولم تر يفتح لك في باطنك مثل ما فتح لمن رأيته على قدمك في العمل فلا تتهم ربك فإنه مدخر لك واطرح من نفسك التهمة في ذلك وفر من أن تكون من أهل التهم.

وقال: قد يطلع الله الولي على ما تكنه القلوب فيعلم من الجليس جميع حركاته وسكناته من حين نفخت فيه الروح إلى وقت مجالسته ومع ذلك فلا يعرف هو ما في جيب نفسه لأن العارف إنما هو مع الله بحسب ما يطلعه.

قلت: وقد شهد ذلك من الشيخ محيسن المجذوب بمصر رحمه الله، فكان يخبر الشيخ بما فعله في صباه في أرض خلاف بلاده رضي الله عنه، وأما شيخنا سيدي علي الخواص فسمعته يقول: لا يكمل الرجل عندنا حتى يعلم حركات مريده في انتقاله في الأصلاب وهو نطفة من يوم «ألست بربكم» إلى استقراره في الجنة أو النار. والله تعالى أعلم.

وقال في الباب الخامس والثمانين ومائتين: اعلم أن الحواس لا تخطىء لأن إدراكها للأشياء إدراك ذاتي وإن حصل علة عارضه فهي لا تؤثر في الذاتيات. وأطال في ذلك ثم قال: واعلم أن إدراك العقل على قسمين: إدراك ذاتي هو فيه كالحواس لا يخطىء وإدرك غير ذاتي وهو ما يدركه بالآلة التي هي الفكر، وبالآلة التي هي الحس، فالخيال يعلو الحس بما يعطيه والفكر ينظر في الخيال فيجد الأمور مفردات فيجب أن ينسى منها صورة يحفظها العقل فينسب بعض المفردات إلى بعض فقد يخطىء في النسبة للأمر على ما هو عليه، وقد يصيب فيحكم العقل على ذلك الحد فيخطىء ويصيب فالعقل مقلد، ولذلك اتصف بالخطأ. ولما رأت الصوفية خطأ النظار عدلوا إلى الطريقة التي لا لبس فيها فأخذوا الأشياء من عين اليقين؛ وأطال في ذلك والله أعلم.

وقال في الباب السابع والثمانين ومائتين: ما من كلمة يتكلم بها العبد إلا ويخلق الله تعالى من تلك الكلمة ملكاً فإن كانت خيراً كان ملك رحمة وإن كانت شراً كان ملك نقمة فإن تاب إلى الله تعالى وتلفظ بتوبته خلق الله تعالى من تلك اللفظة ملك رحمة فإن قال العبد: تبت إليك يا رب من كل شيء لا يرضيك خلق من هذا اللفظ ملائكة بعدد كلمات الشر التي كانت منه فإن كل تدل على الكثرة فمعنى تبت إلى الله من كل شيء تبت إلى الله من كذا تبت إلى الله من كذا، تبت إلى الله من كذا، كما تقول: زيدون وتريد زيداً وزيداً وزيداً، ثم قال: إن ملائكة الشر ترجع كلها بالتوبة ملائكة رحمة كما قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾ [الفرقان: ٧٠] وأطال في ذلك.

وقال في الباب الثامن والثمانين ومائتين في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾ [العلق: ٢] إنما خلقه تعالى من علق إشارة للعلاقة التي بينه وبين الحق فإنه خليفته في الأرض، وأيضاً فإن العلقة في ثالث مرتبة من أطوار خلقته فهي في مقام الفردية التي لا تليق إلا بالحق فانظر ما أعجب كلام الله عز وجل.

وقال في اسم الله الأعظم: اعلم أن أسماء الله كلها عظيمة، فاصدق واسأل حاجتك بأي اسم إلٰهي شئت. وقد قال شخص لأبي يزيد البسطامي: علمني اسم الله الأعظم فقال له أبو يزيد: فأرني الأصغر؛ يوبخه على ذلك.

وقال: إنما سمي الإنسان إنساناً لأن به حصل الأنس لمراتب الكمال في الوجود إذ لم يكن أحد يخلع عليه مراتب الوجود غير الإنسان، والألف والنون فيه زائدة مثل عمران. وأطال في ذلك.

وقال في الباب التاسع والثمانين ومائتين في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور: ٣٥]: اعلم أنه لولا النورية التي في الأجسام الكثيفة ما صح للمكاشف أن يكشف ما وراء الجدران وما تحت الأرض وما فوق السموات، ولولا اللطافة التي هي أصلها ما صح اختراق بعض الأولياء الجدران ولا كان قيام الميت في قبره والتراب عليه، أو التابوت مسمراً عليه

مجعولاً عليه التراب لا يمنعه شيء من ذلك عن قعوده وأطال في ذلك.

وقال في الباب التسعين ومائتين: إذا رأيت لوائح تبرق لك من خلف حجاب الخذلان من كثرة استعمالك كل مباح وخفت أن تنتقل إلى مكروه فاسأل الله أن يخلق فيك الكراهية لذلك الأمر وإلا هلكت.

وقال: من أراد أن يطلق الله عليه الألسنة بالثناء الحسن فليعمل بأعمال المقربين، ويجتنب أعمال الفاسقين جملة واحدة ظاهراً وباطناً، وأما من طلب الثناء عليه من غير سلوك طريق المقربين فيا عناءه ويا تعبه وعلى العارفين كلهم في هذه الدار لا يبالون كيف أصبحوا ولا كيف أمسوا عند الناس لأنهم في موطن التكليف فلا تتركهم التكاليف أن يتلفتوا لغير الله عز وجل.

وقال في الباب الحادي والتسعين ومائتين: ما من سائل عن شيء إلا وفيه أهلية للجواب عن سؤاله، وقد جاء عن النبي ﷺ أن أعرابياً سأله وهو بين ظهراني أصحابه فقال: يا رسول الله أسألك عن ثياب أهل الجنة أتخلق تخلق، أم نسيج تنسج؟ فضحك الحاضرون من سؤاله فغضب ﷺ، وقال: «أتضحكون من جاهل سأل عالماً يا هذا الرجل إنها تشقق عنها ثمر الجنة»، فأجابه ﷺ بما أرضاه وعلمه ما يجهله وأزال خجل السائل بتعليم أصحابه الأدب معه حين سأل، وانقلب الأعرابي عالماً فرحاً مسروراً.

وقال في الباب الثاني والتسعين ومائتين في قوله تعالى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل: ١٩، ٢٠] اعلم أن العلماء اختلفوا هل يكون الحق تعالى عوضاً لأمر خاص أم لا؟ والتحقيق أن الحق تعالى من حيث ذاته ووجوده لا يقاومه شيء ولا يصح أن يطلب لذاته وإنما يريد الطالب معرفة وجه ربه أو مشاهدته أو رؤيته وكل هذا ما هو عين الحق تعالى، وإذا لم يكن عينه فقد يصح أن يكون عوضاً كما أن من عبد الله تعالى كأنه يراه فجزاؤه في الآخرة رؤيته، وأطال في ذلك. ثم قال: ترافع اثنان إلى مالك بن أنس رضي الله عنه، ادّعى أحدهما على الآخر هدية وطلب المكافأة عليها فقال له: ماذا ابتغيت بها حين أعطيتها له؟ إن كنت

ابتغيت بها جزاء في الجنة أو معاوضة في الدنيا فخذها منه إن كانت عينها باقية وإلا قيمتها وإن كنت ابتغيت بها وجه الله فلا أحكم لك بشيء انتهى.

وقال في الباب الثالث والتسعين ومائتين في قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] : اعلم أن الله تعالى جوداً مطلقاً وجوداً مقيداً وهذه الآية من الجود المطلق وأما المقيد فهو قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]. أي: أوجب وفرض على نفسه الرحمة لقوم خواص نعتهم بعمل خاص وهو قوله: ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ﴾ [الأنعام: ٥٤] فهذا جود مقيد بالوجوب لمن هذه صفته، وهو عوض عن هذا العمل الخاص ولا يخفى أن التوبة والإصلاح من الجود المطلق فقابل جوده بجوده فما حكم عليه سبحانه سواه ولا قيده غيره. قال: وحكي عن سهل بن عبد الله عالمنا وإمامنا أنه قال: لقيت إبليس فعرفته، وعرف مني أني عرفته فوقعت بيننا مناظرة فقال لي وقلت له، وعلا بيننا الكلام وطال النزاع بحيث أنه وقف ووقفت وحار وحرت فكان من آخر ما قال لي: يا سهل إن الله تعالى يقول: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] ، فعمم ولا يخفى عليك أنني شيء بلا شك لأن لفظة كل تقتضي الإحاطة والعموم وشيء أنكر النكرات فقد وسعتني رحمته. قال سهل: فوالله لقد أخرسني، وحيرني بلطافة سياقه وظفره بمثل هذه الآية، وفهمه منها ما لم أفهم وعلمه من دلالتها ما لم أعلم، فبقيت حائراً متفكراً وأخذت أتلو الآية في نفسي فلما جئت إلى قوله تعالى: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] الآية. سررت وظننت أني قد ظفرت بحجة وظهرت عليه بما يقصم ظهره فقلت له: يا ملعون إن الله تعالى قد قيدها بنعوت مخصوصة تخرجها من ذلك العموم فقال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] إلى آخر النسق. فتبسم إبليس وقال: والله يا سهل ما كنت أظن أن يبلغ بك الجهل بصفات الله تعالى هذا المبلغ ولا ظننت أنك هٰهنا ليتك سكت ليتك سكت ألست تعلم يا سهل أن التقييد صفتك لا صفته تعالى؟ قال سهل: فرجعت إلى نفسي، وغصصت بريقي وأقام الماء في حلقي ووالله ما وجدت له جواباً، ولا سددت في وجهه باباً وعلمت أنه

طمع في مطمع، وانصرفت وانصرف ووالله ما أدري بعد هذا ما يكون فإن الله تعالى ما نص بما يرفع هذا الإشكال فبقي الأمر عندي على المشيئة منه في خلقه لا أحكم عليه في ذلك إلا بما حكم به على نفسه من حيث وجوب الإيمان به. انتهى كلام سهل.

قال الشيخ محيي الدين: واعلم رحمك الله أني تتبعت ما حكي عن إبليس فما رأيت أقصر منه حجة، ولا أجهل منه بين العلماء فلما وقفت له على هذه المسألة التي حكاها عنه سهل بن عبد الله تعجبت وعلمت أنه قد علم علماً لا جهل فيه فهو أستاذ سهل في ذلك والله أعلم.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ٢٦] اعلم أن النور المنبسط على الأرض الذي هو من شعاع الشمس الساري في الهواء ليس له حقيقة وجودية إلا بنور البصر المدرك لذلك فإذا اجتمعت العينان عين الشمس وعين البصر استنارت المبصرات وقيل: قد انبسطت الشمس عليها ولذلك يزول ذلك الإشراق بوجود السحاب الحائل لأن العين فارقت العين الأخرى بوجود السحاب قال: وهي مسألة في غاية الغموض لأني أقول: لو أن الشمس في جو السماء وما في العالم عين تبصر من حيوان ما كان لها شعاع ينبسط في الأرض أصلاً فإن نور كل مخلوق مقصور على ذاته لا يستنير له غيره فبوجود أبصارنا ووجود الشمس ظهر النور المنبسط؛ قال: ولا يخفى أن الحرباء يظهر لونها بحسب ما تنقلب فيه من خضرة، أو حمرة، أو غيرها، ولا وجود لتلك الألوان في جمعها فقد أدركت يا أخي ما لا وجود له حقيقة بل نسبة وكذلك النور المنبسط على الأرض؛ قال: ومن هنا يعلم أن العالم مدرك لله في حال عدمه فهو معدوم العين مدرك لله يراه فيوجده لنفوذ الاقتدار الإلٰهي فيه.

قلت: وهذا كلام دقيق غوره بعيد فليتأمل ويحرر والله أعلم.

وقال في الباب الخامس والتسعين ومائتين: معنى كون الشمس سراجاً أن يضيء به العالم، وتبصر به الأشياء التي كان يسترها الظلام فيحدث الليل والنهار بحدوث كواكب الشمس والأرض، قال: والليل هو ظلمة الأرض

الحجابية عن انبساط نور الشمس، والكواكب كلها عند أهل الكشف مستنيرة لا تستمد من الشمس كما يراه بعضهم. قال: والقمر على أصله لا نور له البتة قد محا الله نوره وذلك النور الذي ينسب إليه هو ما يتعلق به البصر من الشمس في مرآة القمر على حسب مواجهة الأبصار منه فالقمر مجلى للشمس وليس فيه من نورها شيء.

قال: وأول من شرع في تعليم الناس علم الحوادث التي تكون في الأرض باقترانات الكواكب هو إدريس عليه السلام، وهو علم صحيح لا يخطىء في نفسه وإنما الناظر في ذلك هو الذي يخطىء بعدم استيفائه النظر فالخطأ واقع في نظر هؤلاء لا في نفس العلم وهو من علوم الأسرار الإلٰهية والله تعالى أعلم بالصواب.

وقال في الباب السابع والتسعين ومائتين: من رحمة الله تعالى بعباده، أن رفع عنهم الخطأ والنسيان فلا يؤاخذهم الله به في الدنيا ولا في الآخرة، فأما في الآخرة فمجمع عليه من الكل وأما في الدنيا فأجمعوا على رفع الذنب. واختلفوا في الحكم وقد سئل الجنيد عن الشبلي رحمهما الله لما كان يرد من ولهه إلى فعل الصلوات في أوقاتها فقال: الحمد لله الذي لم يجر عليه لسان ذم أو قال ذنب، قال: وإنما قال الجنيد ذلك خوفاً على من يبلغ تلك المرتبة أن يظهر بها وهو غير محق فيخطىء فيقع في الذنب وأطال في ذلك.

وقال في الباب الثامن والتسعين ومائتين في قوله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥]: هو نور الشرع مع نور بصر التوفيق والهداية، فلا بد للماشي في طريق الشرع من هذين النورين فلو وجد نور البصيرة دون نور الشرع لما دري العبد كيف يسلك لأنه في طريق مجهولة لا يعرف ما فيها ولا أين ينتهي به ثم الماشي في هذا الطريق يحتاج أن يحفظ سراجه من الأهواء أن تطفئه بهبوبها فإنه إن هبت عليه ريح زعزع أطفأت سراجه وأذهبت نوره قال: ومرادنا بالريح الزعزع كل ريح تؤثر في نور توحيده وإيمانه بخلاف غير الزعزع فإنها لا تطفىء نور السراج وإنما تميل لسانه حتى يحير في الطريق لا غير ومثال ذلك متابعة الهوى في فروع الشريعة كالوقوع في المعاصي التي لا يكفر بها الإنسان، ولا تقدح في توحيده وإيمانه فوالله لقد خلقنا لأمر عظيم.

. وقال في قوله تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ [ق: ٢٧] الآية: اعلم أن القرين لا يكون إلا في أمة بين أظهرها شرع فإن لم يكن بين أظهرهم شرع فلا قرين إذ الشيطان الذي هو القرين لا يكون إلا في مقابلة الملك الذي يأمر العبد بالخير بلسان الشرع، وأما إذا لم يكن شرع فإنما العبد متصرف بحكم طبعه لأن ناصيته بيد ربه خاصة فلا يوكل به القرينان إلا إن دخل في دين إلٰهي يتعبد نفسه به، فإن العقل وحده لا يستقل بمعرفة تشريع ما يقرب إلى الله تعالى وأطال في ذلك فليتأمل ويحرر.

وقال: قد أنكر الطبيعيون وجود ولد من ماء أحد الزوجين دون الآخر وذلك مردود عليهم بعيسى عليه السلام، فإنه خلق من ماء أمه فقط وذلك أن الملك لما تمثل لها بشراً سوياً سرت اللذة بالنظر إليه بعدما استعاذت منه وبعد أن عرفها أنه رسول الحق ليهب لها غلاماً زكياً فتأهبت لقبول ذلك فسرت فيها لذة النكاح بمجرد النظر فنزل الماء منها إلى الرحم فتكون جسم عيسى من ذلك الماء المتولد عن النفخ الموجب للذة فيها فهو من ماء أمه فقط.

وقال في الباب الموفي ثلاثمائة في حديث «إن الصدقة تقع بيد الرحمٰن فيربيها كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله»: إنما قال ذلك ولم يقل كما يربي أحدكم ولده لأن الولد قد لا ينتفع به إذا كان ولد سوء فالنفع بالولد غير محقق بل ربما يحصل على والده منه الضرر بحيث يتمنى أن الله لم يخلقه، والفلو، والفصيل ليس هما كذلك فإن المنفعة بهما محققة ولا بد إما بركوبه، أو بما يحمله عليه أو بثمنه أو بلحمه يأكله إن احتاج إليه فشبهه ﷺ بما يتحقق الانتفاع به ليعلم المتصدق أنه ينتفع بما تصدق به ولا بد ومن الانتفاع بها أنها تظله يوم القيامة من حر الشمس حتى يقضي بين الناس.

قلت: ويحتمل أيضاً أنه إنما مثل بالفلو دون الولد لأن الولد ليس هو بمال يتصدق به بخلاف الفلو والله أعلم.

وقال في الباب الثالث والثلاثمائة: اختلف العلماء في الموت هل هو طلاق رجعي أو بائن؟ فذهب قوم إلى أن المرأة إذا ماتت كانت من زوجها

كالأجنبية ولا بد فليس له أن يكشف عليها وذهب آخرون إلى بقاء حرمة الزوجية فله أن يغسلها، وحاله معها كحاله في حياتها، فإن كان رجعياً فإن الأزواج ترد إلى أعيان هذه الأجسام من حيث جواهرها في البعث وإن كان بائناً فقد ترد إليها مع اختلاف التأليف وقد ينشىء الله تعالى أجساماً أخر أصفى، وأحسن لأهل النعيم ولأهل الشقاء بالعكس ولكن الأول أظهر لقوله تعالى: ﴿بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [العاديات: ٩] فالموت طلاق رجعي والله أعلم.

وقال في حديث: «ومن حفظ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه»: إنما لم يقل قد أدرجت النبوة في صدره، أو بين عينيه، أو في قلبه، لأن تلك رتبة النبي لا رتبة الولي وأين الاكتساب من التخصيص فمن تعمل في تحصيل الولاية حصلت له وإن كان نفس التعمل في تحصيلها اختصاصاً من الله أيضاً يختص برحمته من يشاء فما اكتسبت الولاية إلا بالمشي في نور النبوة وأطال في ذلك. وقال: كانت القوة التي ظهرت في أبي بكر الصديق يوم موت النبي ﷺ، كالمعجزة في الدلالة على رسالة النبي، فقوي حين ذهلت الجماعة لأنه لا يكون صاحب التقدم في الإمامة إلا صاح غير سكران فكان هو الحقيق بالتقدم في ذلك اليوم لصحوه ولا يقدح في استحقاقه الخلافة كراهة بعض الناس له فإن ذلك مقام إلهي قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥]. وأطال في ذلك. ثم قال: فعلم أن تقدم الخلفاء بعضهم على بعض في الولاية على الناس على ما وقع به الترتيب لا يقتضي الجزم بتفضيل بعضهم على بعض بل ذلك راجع إلى الله، فإنه العالم بمنازلهم عنده ولم يعلمنا سبحانه بما في نفسه من ذلك فالله يحفظنا من الفضول انتهى.

قلت: ذكر الشيخ في الباب الثامن والخمسين وخمسمائة، في الكلام على اسمه تعالى المعطي ما نصه: اعلم أن الله تعالى ما أمرنا باتباع ملة إبراهيم لكونه أحق بها من محمد ﷺ، وإنما أمرنا بها لتقدمه في الزمان فيها فللزمان حكم في التقدم من حيث هو لا في المرتبة كالخلافة بعد رسول الله ﷺ، الذي كان من حكمة الله تعالى إعطاؤها لأبي بكر ثم عمر، ثم عثمان ثم علي، بحسب أعمالهم التي قدر الله وقوعها أيام ولاية كل واحد

على التعيين وكل لها أهل في وقت أهلية الذي قبله ولا بد من ولاية كل واحد منهم وخلع المتأخر لو تقدم لا بد منه حتى يلي من لا بد له عند الله في سابق علمه من الولاية فرتب الله الخلافة ترتيب الزمان للأعمار حتى لا يقع خلع مع الاستحقاق في كل واحد من متقدم ومتأخر وما علم الصحابة ذلك إلا بالموت. قال: ومع هذا البيان بقي أهل الأهواء في خوضهم يلعبون مع إبانة الصبح لذي عينين بلسان وشفتين انتهى.

وقال أيضاً في الكلام على اسمه تعالى الآخر من الباب المذكور ما نصه: اعلم أن حد الآخر من الثاني الذي يلي الأول إلى ما تحته فهو المسمى بالآخر لأن له حكم التأخر عن الأولية بلا شك وإن استحق الأولية هذا المتأخر فما تأخر عن الأول إلا لأمر أثبته الزمان لأن وجود الإلٰهية فيه من جميع الوجوه فالحكم في تأخيره وتقدم غيره للزمان لا للأفضلية في الحقيقة كخلافة أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، رضوان الله عليهم أجمعين. فما من واحد إلا وهو مترشح للتقدم والخلافة مؤهل لها فلم يبق حكم لتقدم بعضهم على بعض فما عند الله بفضل علم تطلبه الخلافة وما كان إلا الزمان فلما سبق في علم الله أن أبا بكر يموت قبل عمر، وعمر يموت قبل عثمان، وعثمان يموت قبل علي، والكل له حرمة عند الله وفضل فقدم الحق سبحانه وتعالى في الخلافة من علم أن أجله يسبق أجل غيره من هؤلاء الأربعة وما قدم من قدم من الأربعة لكونه أكثر أهلية من المتأخر منهم في علمنا فلم يبق إلا حكم الآجال والعناية وفي الحديث: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما» فلو بايع الناس أحد الثلاثة دون أبي بكر، فلا بد لأبي بكر أن يكون خليفة وخليفتان لا يجتمعان فإن خلع أحد الثلاثة وولي أبو بكر كان عدم احترام في حق المخلوع ونسب الساعي في خلعه إلى أنه خلع عن الخلافة من يستحقها ونسب إلى الهوى والظلم والتعدي في حقه ولو لم يخلع لما مات أبو بكر في أيامه دون أن يكون خليفة ولا بد له من الخلافة أن يليها في علم الله فلا بد من تقدمه لتقدم أجله قبل صاحبه وكذلك تقدم عمر بن الخطاب، وعثمان، وعلي، والحسن فما تقدم من تقدم لكونه أحق بها من هؤلاء الباقين ولا تأخر من تأخر منهم عنها لعدم الأهلية. قال: وما

علم الناس ذلك إلا بعد أن بين الله ذلك بآجالهم وموتهم واحداً بعد آخر إذ التقدم إنما كان بسبب الآجال عندنا وفي نظرنا الظاهر أو بعلم آخر في علم الله لم نقف عليه وحفظ الله المرتبة عليهم رضي الله عنهم أجمعين. وقد أطال الشيخ محيي الدين الكلام على السر الذي وقر في صدر أبي بكر في الباب التاسع والستين وثلاثمائة وسيأتي ذلك ملخصاً في الباب المذكور إن شاء الله تعالى.

قلت: الذي نعتقده أن تقديم الخلفاء الأربعة كان بالفضل والزمان معاً وهذا أولى مما قاله الشيخ والله أعلم. فليتأمل ويحرر، والله واسع عليم.

وقال في الباب الرابع وثلاثمائة: ما عظم الزهاد في أعين الملوك والأمراء والأغنياء إلا لغناهم عما بأيديهم من حطام الدنيا ولو أنهم طلبوا من الناس شيئاً من الدنيا لنقصوا في أعينهم بقدر ما طلبوا مع كون الأغنياء يبادرون لقضاء حوائجهم ويتواضعون لهم فلو أن الزاهد وزن مرتبته في قلب الملك مثلاً قبل طلب تلك الحاجة منه ثم وزنها بعد الحاجة لرآها نقصت عنها نقصاً عظيماً وأطال في ذلك.

وقال في الباب الثامن وثلاثمائة في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]: أي: قد أتى على الإنسان واعلم أن آخر صورة ظهر فيها الإنسان بعد مروره على العناصر الصورة الآدمية لأنه كان قبلها له في كل مقام وحضرة فلك وسماء صورة ولم يكن قط في صورة من تلك الصور مذكوراً بهذه الصورة الآدمية العنصرية ولهذا ما ابتلاه الله تعالى في صورة من تلك الصورة ولا عصى ربه فيها ولا يموت إلا فيها. قال: ولا يخفى أن حقيقة مسمى الإنسان هي اللطيفة والجسم معاً. وشرفه عارض لا ذاتي فإن شرفه إنما هو بما أعطاه الله من العلم، والخلافة، والسلطنة لا غير.

وقال في الباب التاسع وثلاثمائة: رجال الله تعالى ثلاثة أصناف لا رابع لهم: عباد وصوفية وملامتية وهم كمل الرجال فضابط العباد أنهم رجال غلب عليهم الزهد، والتبتل والأفعال الظاهرة المحمودة، لا يرون شيئاً فوق ما هم

عليه ولا معرفة لهم بالأحوال ولا بالمقامات ولا رائحة عندهم من العلوم الإلٰهية الوهبية ولا بالمعارف والكشوفات ويخافون على أعمالهم من تحبطها لاعتمادهم عليها دون الله وضابط الصوفية أنهم رجال فوق هؤلاء العباد لأنهم يرون الأفعال كلها مع ما هم عليه من الجد والاجتهاد والورع، والزهد، والتوكل، وغير ذلك، ويرون أن ما هم فيه بالنظر للمقامات التي فوقهم كلا شيء ولكن هم مع حسن أخلاقهم وفتوتهم أهل رعونة ونفوس بالنظر لأهل الطبقة الثالثة وعندهم رائحة الدعاوى. وضابط الملامتية الذين هم على قدم أبي بكر الصديق أنهم رجال لا يزيدون على الصلوات الخمس إلا الرواتب ولا يتميزون عن الناس بحالة زائدة يعرفون بها يمشون في الأسواق ويتكلمون مع الناس بكلام العامة قد انفردوا بقلوبهم مع الله لا يتزلزلون عن عبوديتهم قط ولا يذوقون للرياسة طعماً لاستيلاء الربوبية على قلوبهم فهم أرفع الرجال مقاماً رضي الله عنهم أجمعين.

وقال في الباب العاشر وثلاثمائة: في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١ - ٢]: اعلم أن التدثر إنما يكون في البرودة التي تحصل عقب الوحي وذلك أن الملك إذا ورد على النبي ﷺ، بعلم أو بحكم تلقى تلك الصورة الروح الإنساني فإذا تلاقيا هذا بالإلقاء وهذا بالإصغاء احتد المزاج واشتعل وتقوت الحرارة الغريزية المزاجية فتغير وجه ذلك الشخص لذلك وهو أشد ما يكون ولذلك تصعد الرطوبات البدنية كأنها بخارات إلى سطح كرة البدن لاستيلاء الحرارة فيكون من ذلك العرق الذي يطرأ على أصحاب هذا الحال للانضغاط الذي يحصل بين الطبائع من التقاء الروحين ثم لما كان الهواء الخارج من البدن قوياً غمر المسام برطوبته فمنع تخلل الهواء البارد من خارج فإذا سرى ذلك عن النبي أو عن صاحب الحال، وانصرف الملك سكن المزاج وانفشت تلك الحرارة وانفتحت تلك المسام وقبل الجسم الهواء البارد من خارج فتخلل الجسم فيبرد المزاج ويستولي على الحرارة ويضعفها فذلك هو البرد الذي يجده صاحب الحال ولهذا تأخذه القشعريرة فيزاد عليه الثياب ليسخن ثم بعد ذلك يفيق ويخبر بما وقع له من الوحي إن كان نبياً أو من الإلهام إن كان ولياً، وأطال في ذلك.

وقال في الباب الحادي عشر وثلاثمائة: لم أعرف اليوم أحداً تحقق بمقام العبودية أكثر مني فإنه إن كان هناك أحد فهو مثلي فقط وذلك لأني بلغت من مقام العبودية غايته فأنا العبد المحض الخالص الذي لا يعرف للسيادة طعماً وقد منحنيها الله تعالى هبة أنعم بها عليّ ولم أنلها بعمل بل اختصاص إلٰهي وأرجو من الله تعالى أن يمسكها عليّ ولا يحول بيني وبينها حتى ألقاه بها فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون.

قلت: وقوله: فأنا العبد المحض يرد قول من نسب الشيخ إلى الحلول والاتحاد والله أعلم.

وقال فيه: في قوة الكامل من البشر أن يظهر في صورة غيره كما وقع لقضيب البان وغيره وليس في قوة الكامل من الملائكة أن يظهر في صورة غيره من الملائكة فلا يقدر جبريل أن يظهر بصورة إسرافيل، ولا ميكائيل وعكسه ففي قوة الإنسان ما ليس في قوة الملك وأطال في الفرق بينهما.

وقال في الباب الثاني عشر وثلاثمائة في معرفة وحي الأولياء الإلهامي: اعلم أن الحق تعالى إذا أراد أن يوحي إلى قلب ولي من أوليائه بأمر ما تجلّى الحق إلى قلب ذلك الولي برفع الحجب فيفهم الولي من ذلك التجلي ما يريد الحق أن يعلم ذلك الولي به فيجد الولي في نفسه علم ما لم يكن يعلم كما وجد النبي ﷺ العلم بالضربة بين ثدييه في شربة اللبن ومن الأولياء من يشعر بذلك ومنهم من لا يشعر به بل يقول: وجدت في خاطري كذا وكذا، ولا يعرف من أتاه به ولكن من عرف فهو أتم.

وقال في الباب الثالث عشر وثلاثمائة: اعلم أن أول رسول أرسل نوح عليه السلام، ومن كانوا قبله إنما كانوا أنبياء كل واحد على شريعة من ربه فمن شاء دخل في شرعه معه ومن شاء لم يدخل فمن دخل ثم رجع كان كافراً ومن لم يدخل فليس بكافر ومن أدخل نفسه ثم كذب الأنبياء كان كافراً ومن لم يفعل وبقي على البراءة لم يكن كافراً. قال: وأما قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] فليس هو بنص في الرسالة وإنما هو نص في أن في كل أمة عالماً بالله تعالى وبأمور الآخرة وذلك هو النبي لا

الرسول إذا لو كان الرسول لقال إليها ولم يقل فيها. قال: وهو ونحن نقول: إنه كان فيهم أنبياء عالمون بالله فمن شاء وافقهم، ودخل معهم في دينهم وتحت حكم شريعتهم، ومن لم يشأ لم يكلف ذلك وكان إدريس عليه السلام، منهم ولم يجىء له نص في القرآن برسالته بل قيل فيه صديقاً نبياً فأول شخص افتتح به الرسالة نوح عليه السلام، وأطال في ذلك.

وقال في الباب الرابع عشر وثلاثمائة: متى خرج كشف ولي في العلم عن الكتاب والسنة فليس ذلك بعلم ولا هو علم ولاية بل إذا حققته وجدته جهلاً والجهل عدم والعلم وجود فعلم أنه لا يتعدى كشف ولي في العلوم الإلٰهية فوق ما يعطيه كتاب نبيه ووحيه أبداً.

وقال: في قوله ﷺ: «إن المصلي يناديي ربه»: أي: بارتفاع الوسائط كما سيكلمه في القيامة كفاحاً ليس بينه وبينه ترجمان كما ورد فما تميزت الآخرة إلا بكون العبد يعرف هناك من يكلمه وهنا لا يعرفه وأطال في ذلك.

وقال في الباب السابع عشر وثلاثمائة في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]: اعلم أن على هٰهنا بمعنى في أي كان العرش في الماء كما أن الإنسان في الماء، أي: منه تكون فإن الماء أصل الموجودات كلها وهو عرش الحياة ومن الماء خلق الله كل شيء وكل ما سوى الله حي ولذلك سبح بحمده ولو لم يكن حياً ما سبح؛ قال: وتأول ذلك بعض الناس وقال: إنما هو تسبيح حال والخلاف إنما ينبغي أن يكون في سبب حياته لا في حياته والعرش هنا عبارة عن الملك وكان حرف وجودي، أي: الملك كله موجود في الماء إذ الماء أصل ظهور عينه فهو للملك كالهيولى ظهر فيه صور العالم الذي هو ملك الله وأطال في ذلك.

وقال: الفرق بين الموت والنوم، أن الموت إعراض الروح عن الجسم بالكلية فيزول بذلك جميع القوى كالليل بمغيب الشمس وأما النوم فليس بإعراض الكلية عن الجسم إنما هو حجب أبخرة تحول بين القوى وبين مدركاتها الحسية مع وجود الحياة في النائم كالشمس إذا حال السحاب دونها ودون موضع خاص من الأرض بكون الضوء موجوداً كالحياة وإن لم يقع

إدراك الشمس لذلك الذي حال بينه وبين السماء من السحاب المتراكم.

وقال في الباب العشرين وثلاثمائة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]: اعلم أن اسم كان هنا هو النفس فيسأل النفس عن سمعه، وبصره، وفؤاده فيقال له: ما فعلت برعيتك؟ كما يسأل الوالي الجائر إذا أخذه الملك وعذبه عند استغاثة رعيته منه.

وقال في قوله تعالى: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٧]: المراد بهذا الغيب الذي يطلع عليه رسوله هو علم التكليف الذي غاب عنه العباد ولم تشتغل عقولهم بدركه ولهذا جعل الملائكة له رصداً حذراً من الشياطين أن تلقي إليه ما رصداً يعمل به في نفسه من التكليف الذي جعله الله تعالى سعادة للعباد من أمر ونهي فهذا الغيب هو علم الرسالة ولهذا قال: ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ [الجن: ٢٨] فأضاف الرسالة إلى قوله «ربهم» لما علموا أن الشياطين لم تلق إليهم أعني الرسل شيئاً فيتيقنون أن تلك الرسالة من الله تعالى لا من غيره. ثم هل هذا القدر الذي يطلع عليه من ارتضاه من رسول هل هو بإعلام الملك له أو هو بلا واسطة ملك؟ الظاهر الثاني وتكون الملائكة تحف أنوارها برسول الله ﷺ، كالهالة حول القمر والشياطين من ورائها لا تجد سبيلاً إلى هذا الرسول حتى يظهر الله له ما شاء من علم التكليف الذي خفي عنه، وعن العباد علمه. قال: وليس في كتابنا هذا ولا غيره أصعب من تصور الغيب الذي انفرد به الحق ويسمى الغيب المحالي وذلك لأنه لا يظهر عنه شيء أبداً يتصف بالشهادة وقتاً أو حالاً ما فهو غيب بين عالم الشهادة وعالم الغيب لا يتخلص لأحد الجانبين وقد حارت الخلائق في هذا الغيب فإنه ما هو محال فيكون عدماً محضاً ولا هو واجب الوجود فيكون وجوداً محضاًولا هو ممكن يستوي طرفاه ولا هو غير معلوم بل هو معقول فلا يعرف له حد فهذا هو الغيب الذي انفرد به الحق حيث قال: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ﴾ [الأنعام: ٧٣].

وقال في الباب الثاني والعشرين وثلاثمائة: إنما وجب نصب إمام واحد في العالم تنبيهاً على أن الإله للعالم واحد فهو واجب شرعاً مع كون طلب الإمام موجوداً في قطر العالم كلهم فإن هممهم توفرت في كل بلدة، أو

قرية، أو جماعة أن يكون لهم رئيس يرجعون إليه، ويكونون تحت أمره.

(فإن قلت): إن الشارع لم ينص على الأمر باتخاذ الإمام فمن أين يكون واجباً؟

(قلنا): إن الله تعالى قد أمرنا بإقامة الدين بلا شك ولا سبيل إلى إقامته إلا بوجود الأمان في أنفس الناس على أنفسهم، وأموالهم، وأهليهم من تعدي بعضهم على بعض وذلك لا يصح أبداً ما لم يكن ثم من يخاف سطوته وترجى رحمته يرجع أمرهم إليه ويجتمعون عليه فإذا زال الخوف الذي كانوا يخافونه على أنفسهم وأموالهم وأهليهم تفرغوا لإقامة الدين الذي أوجب الله عليهم إقامته وما لا يتوصل إلى الواجب إلا به فهو واجب فاتخاذ الإمام واجب ثم إنه يجب أن يكون واحداً لئلا يختلفا فيؤدي إلى الفساد وامتناع وقوع المصلحة.

وقال في الباب الثالث والعشرين وثلاثمائة في قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣]: اعلم أن العبد ما دخل عليه مقت الله إلا من باب إضافة الفعل إلى نفسه من غير مشيئة الله تعالى، فلو أنه قرن العمل بالمشيئة الإلهية لم يمقته الله تعالى، فلذلك شرع الحق تعالى لعباده الاستثناء الإلهي ليرتفع عنهم المقت وكذلك لا يحنث أيضاً من استثنى إذا حلف على فعل مستقبل فإنه أضافه إلى الله تعالى لا إلى نفسه؛ قال: وهذا لا ينافي إضافة الأفعال إلى المخلوقين من حيث الحكم فإن للعبد حكماً في ظهور العمل وما له أثر في إيجاده وفرق بين الأثر والحكم، قال: وبهذا القدر تفاوتت درجات العقلاء ألا ترى الحق تعالى كيف قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢] ولم يقل: يا أولي الألباب ولا يا أولي العلم لأن العالم العاقل لا يقول ما لا يفعل إلا بالاستثناء لعلمه بأن خلق الفعل لله لا له، وأطال في ذلك. وسيأتي تفسير الآية بأوضح من هذا وأن الإنسان هو الذي يمقت نفسه عند الله حين ينكشف له أن العمل لله لا للعبد فيخجل من ذلك.

وقال في الباب الرابع والعشرين وثلاثمائة في قول رسول الله ﷺ: «لن

يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»: اعلم أن المرأة تلحق الرجال في الأبوة وتلحقهم أيضاً في بعض المواضع فتقوم المرأة مقام الرجلين ويقطع الحكم بشهادتها كما يقطع بشهادة الرجلين وذلك في قبول الحاكم قولها في حيض العدة وقبول الزوج قولها في أن هذا ولده مع الاحتمال المتطرق إلى ذلك وقبول قولها بأنها حائض فقد تنزلت هٰهنا منزلة شاهدين عدلين كما تنزل الرجل في شهادة الدين منزلة امرأتين فتداخلا في الحكم فهذه تولية لها من الله وأما الحديث فإنما هو في تولية الناس؛ قال: ولو ولم يكن للنساء من الشرف إلا قوله ﷺ: «النساء شقائق الرجال» لكان فيه غنية فإن فيه إشارة إلى أن كل ما يناله الرجل من المقامات والمراتب يمكن أن يكون لمن شاء الله من النساء ألا تنظر إلى حكمة الله تعالى فيما زاد للمرأة على الرجل في الاسم فقال في الرجل: المرء، وقال في الأنثى: المرأة؟ فزادها هاء في الوقف وتاء في الوصل على اسم المرء للرجل فلها على الرجل درجة في هذا المقام ليس للمرء في مقابلة قوله: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] فسدّ تلك الثلمة بهذه الزيادة في المرأة. وأطال في ذلك، قال: ولو لم يكن في شرف التأنيث إلا إطلاق لفظ الذات على الله وإطلاق الصفة وكلاهما لفظ تأنيث لكان فيه كفاية فإن في ذلك جبراً لقلب المرأة الذي يكسره من لا علم له من الرجال بما هو الأمر.

قلت: ذكر الشيخ في الباب الخامس والأربعين وثلاثمائة ما نصه: إنما قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] نفياً للصاحبة لأن المراد بالكفء هنا الصاحبة لأجل من قال: إن المسيح ابن الله والعزير ابن الله فإن الكفاءة هي المثل والمرأة لا تماثل الرجل أبداً فإن الله يقول: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨] فليست له بكفء فإن المنفعل ما هو كفؤ لفاعله والعالم كله منفعل عن إرادة الله فما هو كفؤ لله وحواء منفعلة عن آدم فله عليها درجة الفاعلية فليست له بكفء من هذا الوجه، ولما قال تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ لم يجعل عيسى عليه السلام منفعلاً عن مريم حتى لا يكون الرجل منفعلاً عن المرأة كما كانت حواء عن آدم فتمثل لها الملك بشراً سوياً، وقال: ﴿أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٩] فوهبها

عيسى عليه السلام، فكان انفعال عيسى عن الملك المتمثل في صورة الرجل ولذلك خرج على صورة أبيه ذكراً بشراً حيث تمثله بشراً روحاً فجمع بين الصورتين فكان روحاً من حيث عينه بشراً من حيث تمثله في صورة البشر والله أعلم. فليتأمل ذلك مع ما هنا.

وقال في الباب الخامس والعشرين وثلاثمائة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]، وفي قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧]: اعلم أن عداوة إبليس لبني آدم أشد من معاداته لأبيهم آدم عليه السلام، وذلك أن بني آدم خلقوا من ماء والماء منافر للنار وأما آدم عليه السلام، فجمع بينه وبين إبليس اليبس الذي في التراب فبين التراب والنار جامع ولهذا صدقه لما أقسم له بالله إنه لناصح وما صدقه الأبناء لكونه لهم ضداً من جميع الوجوه فبهذا كانت عداوة الأبناء أشد من عداوة الأب له. قال: ولما كان هذا العدو محجوباً عن إدراك الأبصار جعل الله لنا في القلب من طريق الشرع علامة نعرفه بها تقوم لنا مقام البصر الظاهر فنتحفظ بتلك العلامة من إلقائه وأعاننا الله عليه بالملك الذي جعله الله مقابلاً له غيباً لغيب؛ وأطال في ذلك.

وقال فيه: ما دام القرآن في القلب فلا حرف، ولا صوت، فإذا نطق به القارىء نطق بصوت وحرف وكذلك إذا كتبه لا يكتبه إلا بصوت وحرف وأطال في ذلك ثم قال: والمفهوم من كون القرآن أنزل حروفاً منظومة من اثنين إلى خمسة حروف متصلة ومنفردة أمران: كونه قولا، وكلاماً ولفظاً، وكونه يسمى كتابة ورقماً وخطاً؛ فإن نظرت إلى القرآن من حيث كونه يحفظ فله حروف الرقم وإن نظرت إليه من حيث كونه تنطق به فله حروف اللفظ فلماذا يرجع كونه حروفاً منطوقاً بها هل هي لكلام الله الذي هو صفته أو للمترجم عنه يحتاج إلى إيضاح؛ وأطال في ذلك. ثم قال: وقد صح في ذلك الخبر أن الله تعالى يتجلى في القيامة في صور مختلفة فيعرف وينكر ومن كانت حقيقته تنكر تقبل التجلي في الصور فلا يبعد أن يكون يتكلم بالحروف كما يليق بجلاله من غير كيفية ولا تشبيه لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. فنفى أن يماثل مع عقل

المعنى وجهل النسبة فليتأمل. وسيأتي مزيد على ذلك في الباب التاسع والعشرين وثلاثمائة فراجعه.

وقال في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس: ٥٧] وفي قوله: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ﴾ [المائدة: ١٥]. وفي قوله: ﴿وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]: أما كون القرآن نوراً فلما فيه من الآيات التي تطرد الشبه المضلة مثل قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] وقوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]. وقوله: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣]. وقوله: ﴿فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨] ونحو ذلك. وأما كونه موعظة فظاهر وأما كونه شفاء فكفاتحة الكتاب وآيات الأدعية كلها وأما كونه هدى فكقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وقوله: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠] ونحو ذلك من كل نص ورد في القرآن لا يدخله احتمال ولا يفهم منه إلا الظاهر بأول وهلة كهاتين الآيتين؛ وأما كونه رحمة فلما فيه من البشرى مثل قوله: ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣] وقوله: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. وكل آية فيها رجاء؛ وأما كونه ضياء فلما فيه من الآيات الكاشفة للأمور والحقائق، مثل قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٩]. وقوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. وقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]. وقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] ونحو ذلك مما يدل على مجرى الحقائق فعلم أن لكل اسم من هذه الأسماء كلمات تخصه انتهى. فليتأمل ويحرر.

وقال في الباب السادس والعشرين والثلاثمائة: اعلم أن أعلم الأرواح بالله عزّ وجلّ أرواح الجماد لكونها لا حظ لها في التدبير ودونهم في العلم بالله تعالى أرواح النبات ودونهم في العلم بالله أرواح الحيوان ودونهم أرواح من تقيد بالعقل وذلك لأن الثلاثة الأول مفطورون على العلم بالله تعالى بخلاف الرابع. قال: وأما الملائكة فهم كالجماد مفطورون كذلك على العلم بالله لكن لا عقول لهم، ولا شهوة، وأما الحيوان فمفطور على العلم بالله

وعلى الشهوة وأما الجن والإنس فمفطورون على الشهوة والمعارف لكن من حيث صورهم لا من حيث أرواحهم. قال: وإنما جعل الله تعالى لهم العقل ليردوا به الشهوة إلى الميزان الشرعي ولم يوجد الله لهم العقل لأجل اقتناء العلوم لأن ذلك إنما هو للقوة المفكرة التي أعطاها لهم وأطال في ذلك.

قلت: وقد ذكر في كتابه «الفصوص» نظماً يوافق ما هنا فقال:

فما ثم على من جماد وبعده نبات على قدر يكون وأوزان
وذو الروح بعد النبت والكل عارف بخلافه كشفاً وإيضاح برهان
وأما المسمى آدم فمقيد بعقل وفكر أو قلادة إيمان
بذا قال سهل والمحقق مثلنا لأنا وإياهم بمنزل إحسان
ومن عرف الأمر الذي قد ذكرته يقول بقولي في خفاء وإعلان
ولا يلتقف قولاً يخالف قولنا ولا يبذر السمراء في أرض عميان
هم الصم البكم الذين أتى بهم لأسماعنا المعصوم في نص قرآن

وهذا النظم جواب لسائل سأل الشيخ: كيف جعل الكبش فداء لإسماعيل عليه السلام وهو نبي، وأين مقام النبي من مقام الكبش؟ ونظم السؤال هو قوله:

فداء نبي ذبح ذبح لقربان وأين مقام الكبش من بوس إنسان
وعظمه الله الكريم عناية به أو بنا لا أدر من أي ميزان
فيا ليت شعري كيف ناب منابه شخيص كبيش عن خليفة رحمن

إلى آخر ما قال انتهى. فليتأمل ويحرر والله أعلم.

وقال في الباب السابع والعشرين وثلاثمائة في قوله تعالى للقلم: ﴿اكتب﴾: يعني: في اللوح علمي في خلقي إلى يوم القيامة إنما خص الكتابة بأمور الدنيا فقط، لتناهيها بخلاف الآخرة لا يقدر القلم يكتب علمه فيها لأنها لا تتناهى وما لا يتناهى أمده لا يحويه الوجود والكتابة وجدد وأطال في ذلك.

وقال في الباب الثامن والعشرين وثلاثمائة في قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ﴾ [فصلت: ٣١]: إنما لم يقل ولكم فيها ما تريد نفوسكم لأنه ما كل مراد مشتهى فإن الإرادة تتعلق بما يلتذ، وبما لا يلتذ به

بخلاف الشهوة فإنها لا تكون إلا بالملذوذ خاصة وأطال في ذلك؛ ثم قال: فالسعداء أخذوا الأعمال بالإرادة والقصد وأخذوا النتائج بالشهوة فمن رزق الشهوة في حال العمل فالتذ بالعمل التذاذه بنتيجته فقد عجل له نعيمه ومن رزق الإرادة في حال العمل من غير شهوة فهو صاحب مجاهدة؛ قال: وأكثر الناس لذة بأعمالهم العباد وأقلهم لذة العارفون ولذلك سميت العبادات تكاليف .

قال في قوله ﷺ: «سبق درهم ألف درهم»: أي: لأن صاحب الدرهم لم يكن له سواه فبذله لله ورجع معتمداً على الله تعالى وصاحب الألف أعطى ما عنده وترك منه ما يرجع إليه بعد العطاء ليس معتمداً على الله تعالى خالصاً فسبقه صاحب الدرهم من هذا الوجه وهذا معقول فلو أن صاحب الألف بذل جميع ما عنده مثل صاحب الدرهم لساواه في المقام فما اعتبر الشارع قدر العطاء وإنما اعتبر ما يرجع إليه المعطي بعد العطاء فهو يرجع إليه؛ وأطال في ذلك وتقدم نحو ذلك في الباب السبعين في الكلام على مسألة الغني الشاكر والفقير الصابر فراجعه.

وقال في الباب التاسع والعشرين وثلاثمائة في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢﴾ [الرحمٰن: ١ ـ ٢]: اعلم أن القرآن هو الوحي الدائم الذي لا ينقطع فهو الجديد الذي لا يبلى ويظهر في قلوب العلماء على صورة لم يظهر بها في ألسنتهم لأن الله تعالى جعل لكل موطن حكماً لا يكون لغيره فهو يظهر في القلب إحدى العينين فيجسده الخيال، ويقسمه ثم يأخذ منه اللسان فيصيره بشاكلته ذا حرف وصوت ويقيد به سمع الأذان وقد قال الله تعالى: ﴿فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] فتلاه رسول الله ﷺ بلسانه أصواتاً وحروفاً سمعها الأعرابي بسمع أذنه في حال ترجمته فالكلام لله بلا شك والترجمة للمتكلم به كان من كان فإن القلب بيت الرب فافهم.

وقال في الباب الثلاثين والثلاثمائة: اعلم أن القضاء والقدر أمران متباينان، فالقضاء هو الحكم الإلٰهي على الأشياء بكذا فله المضاء في الحكم في جميع الأمور وأما القدر فهو الوقت المعين لإظهار الحكم فالقضاء يحكم على القدر، والقدر لا يحكم في القضاء بل حكمه في المقدر لا غير،

فالقاضي حاكم والمقدر موقت والقدر التوقيت وأطال في ذلك.

قلت: وقد بسطنا نحو ذلك في أجوبة شيخنا رضي الله عنه، فراجعه.

وقال في الباب الحادي والثلاثين وثلاثمائة: اعلم أن موسى عليه السلام، ما قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣] إلا لما قام عنده من التقريب الإلٰهي فطمع في الرؤية فسأل ما يجوز له السؤال فيه ذوقاً، ونقلاً لا عقلاً، لأن ذلك من محاورات العقول ومعلوم أن الرسل أعلم الناس بالله تعالى، وأنهم يعرفون أن الحق تعالى مدرك بالإدراك فإن الأبصار لا تدركه مع أنها آلة يدرك العبد بها رؤية ربه. قال: وإنما منع موسى الرؤية لأنه سألها من غير وحي إلٰهي بها ومقامهم الأدب فلهذا قيل له: لن تراني ثم إنه تعالى استدرك استدراكاً لطيفاً لما علم تعالى أن حد موسى انتهى من حيث سؤاله الرؤية بغير وحي بالإحالة على الجبل في استقراره عند التجلي إذ الجبل من الممكنات فلما تجلّى الحق للجبل واندك علم موسى أنه فيما لم يكن ينبغي له وإن كان الحامل له على ذلك الشوق مثل ما يقع فيه من سكر من حب الله فقال: ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] بوقوع هذا الجائز، وأطال في صفات الناس في رؤية الله عز وجل.

وقال فيه في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ﴾ [الجاثية: ٢٣]: اعلم أن الهوى أعظم من عبد من دون الله فإنه لنفسه حكم وهو الواضع لكل ما عبد ولولا قوة سلطانه في الإنسان ما أثر مثل هذا الأثر فيمن هو على علم بأنه ليس بالإلٰه وأطال في ذكر من ادّعى الألوهية من العبيد ومن ادعيت فيه ولم يدعها ومن ادعاها في سكر. ثم قال: وكان الحلاج ممن ادّعاها في سكر بيقين فقال قول السكارى فخبط، وخلط بحكم السكر عليه كما يشتم السكران أعظم ملوك الدنيا في حال سكره ولا يلتزم معه أدباً فالحلاج سعيد وإن شقي به آخرون، وأطال في ذلك ثم قال: وإذا كان يوم القيامة جسد الله الهوى كما يجسد الموت لقبول الذبح كبشاً فعذبه في صورته تلك وتجسد المعاني لا ينكره العلماء بالله تعالى فإن كان من اتبع هواه مسلماً خرج من النار بعد إنهاء العقوبة حدها وبقي صورة هواه معذبة وإن كان كافراً بقي مع صورة هواه أبد الآبدين.

وقال في الباب الثاني والثلاثين وثلاثمائة: في قوله تعالى ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِۚ﴾ [النحل: ٦٩]، أي: العسل: اعلم أنه تعالى لم يذكر للعسل مضرة قط وإن كان بعض الأمزجة يضره استعماله لأن الشفاء هو المقصود الأعظم منه كما أن المقصود بالغيث إيجاد الرزق الذي يكون عن نزوله وقد يهدم الغيث بيت العجوز الفقيرة الضعيفة فما كان رحمة في حق هذه المرأة من هذا الوجه الخاص لأن هدم البيت المذكور ما هو بالقصد العام الذي نزل له المطر، وإنما كان ذلك من استعداد البيت للهدم لضعف بنيانه فكذلك الضرر الواقع لمن أكل العسل إنما ذلك من انحراف مزاجه ولم يكن بالقصد العام.

قلت: وقد تقدم نحو ذلك في الكلام على النية من حيث إنها موضوعة بالأصالة للإخلاص والله أعلم.

وقال فيه في قوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]: إنما جمع العيون هنا وفي قوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨] لأن المراد بهذا الجمع عيون الحافظين للعالم من سائر الخلق فكل حافظ في العالم أمراً ما فهو جملة عيون الحق تعالى.

قلت: وإلى ذلك الإشارة يقول سيدي محمد وفا رضي الله تعالى عنه: محمد عين الله والصحب أعين، إلى آخر ما قاله فاعلم ذلك.

وقد ذكر الشيخ محيي الدين في الباب الخامس وخمسمائة ما نصه: إنما قال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَاۖ﴾ ليعلمه أنه ما حكم عليه ﷺ، إلا بما هو الأصلح عنده سواء سره أم ساءه ،هذا مراده بقوله: «بأعيننا» أي: ما أنت بحيث نجهلك وننساك، والله أعلم.

وقال في الباب الثالث والثلاثين وثلاثمائة: قال إبليس للحق جلّ وعلا: يا رب كيف تطلب مني السجود ولم ترد ذلك فلو أردته لسجدت ولم أقدر على المخالفة؟ فقال له الحق جلّ وعلا: متى علمت أني لم أرد منك السجود بعد وقوع الإباية منك أو قبل ذلك؟ فقال إبليس: ما علمت بذلك إلا بعد ما وقعت مني الإباية؛ فقال الله عز وجل له: بذلك آخذتك فللّه الحجة البالغة.

وقال في حديث البخاري في الذين يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم: اعلم أن من لم يكن وارثاً لرسول الله ﷺ، في مقام تلاوته للقرآن إنما يتلو حروفاً ممثلة في خياله، وحصلت له.من الألفاظ معلمه إن كان أخذه عن تلقين أو من حروف كتابة إن كان أخذه عن كتابة فإذا أحضر تلك الحروف في خياله ونظر إليها بعين خياله ترجم اللسان عنها فتلاها عن غير تدبر، ولا فهم، ولا استبصار بل لبقاء تلك الحروف في حضرة خياله، قال: ولهذا التالي أجر الترجمة لا أجر القرآن لأنه ما تلا المعاني وإنما تلا حروفاً تنزل من الخيال الذي هو مقدم الدماغ إلى اللسان فيترجم به لا يجاوز حنجرته إلى القلب الذي في صدره فلا يصل إلى قلبه منه شيء وأطال في ذلك.

وقال في الباب التاسع والثلاثين وثلاثمائة: من شرف هذه الأمة المحمدية على سائر الأمم أن الله تعالى أنزلها منزلة خلفاء رسول الله ﷺ في العالم قبل ظهوره فإنه تعالى أعطى خلفاءه من الأنبياء التشريع، وأعطى هذه الأمة الاجتهاد في نصب الأحكام، وأمرهم أن يحكموا بما أدى إليه اجتهادهم وذلك تشريع فلحقوا بمقامات الأنبياء عليهم السلام في ذلك وجعلهم ورثة لهم لتقدمهم عليهم فإن المتأخر يرث المتقدم بالضرورة، وأطال في ذلك.

وقال فيه في معنى حديث: «جعلت لي الأرض مسجداً»: اعلم أن في هذا الحديث إشارة إلى أن جميع الأرض بيت الله ليلازم العبد الأدب حيثما حل كما يؤمر به في المساجد فأهل الأدب من هذه الأمة جلساء الله على الدوام، لأنهم في مسجد وهي الأرض أحياء وأمواتاً فإنهم في قبورهم قد انتقلوا من ظهر الأرض إلى بطنها وحرمة المسجد إلى سبع أرضين.

وقال فيه: قد نزَّل الله تعالى محمداً أربع منازل لم ينزل فيها غيره من الأنبياء وهي أنه أعطاه ضروب الوحي كلها من وحي المبشرات، وأنزله على القلب والأذن، وأعطاه إنهاء علم الأحوال كلها لأنه أرسله إلى جميع الناس كافة وأحوالهم مختلفة بلا شك فلا بد أن تكون رسالته تعم العلم بجميع الأحوال وأعطاه أيضاً علم إحياء الأموات معنى وحساً وأعطاه أيضاً علم الشرائع المتقدمة كلها وأمره أن يهتدي بهداهم لا بهم فهذه أربع منازل خص بها.

وقال فيه في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأحقاف: ٤]: اعلم أن خلق عيسى للطير إنما كان بإذن الله فكان خلقه الطير عبادة يتقرب بها إلى الله لأنه مأذون له في ذلك فما أضاف تعالى الخلق إلا لإذن الله وعيسى عليه السلام عبد، والعبد لا يكون إلٰهاً. قال: وإنما جئنا بهذه المسألة في هذه الآية لعموم كلمة ما فإنها تطلق على كل شيء ممن يعقل ومما لا يعقل كذا قال سيبويه وهو المرجوع إليه في العلم باللسان فإن بعض المنتحلين لهذا الفن يقولون: إن لفظة ما تختص بما لا يعقل ومن تختص بمن يعقل؛ قال: وهو قول غير محرر فقد رأينا في كلام العرب جمع من لا يعقل جمع من يعقل وإطلاق ما على من يعقل وإنما قلنا هذا لئلا يقال في قوله: ﴿مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إنما أراد من لا يعقل، وعيسى يعقل فلا يدخل في هذا الخطاب؛ قال: وقول سيبويه أولى.

وقال في الباب الثامن والثلاثين وثلاثمائة: كل علم لم يظهر له الشارع تعليلاً وعلمه العبد أو عمل به كان تعبداً محضاً.

وقال في الباب الحادي والأربعين وثلاثمائة: لا يجوز النظر في كتب الملل والنحل لأحد من القاصرين وأما صاحب الكشف فينظر فيها ليعرف من أي وجه تفرعت أقوالهم لا غير، وهو آمن من موافقتهم في الاعتقاد لما هو عليه من الكشف الصحيح.

وقال في الباب الثاني والأربعين وثلاثمائة عما يؤيد قول من يقول: إنّ الاسم عين المسمى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ [الشورى: ١٠]: وليس هو عين أسمائه فإنه القائل: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء: ١١٠] فجعل الاسم هنا عين المسمى كما جعله في موضع آخر غيره، قال: فلو لم يكن الاسم عين المسمى في قوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ لم يصح قوله: ﴿ربي﴾ فافهم.

وقال في الباب السادس والأربعين وثلاثمائة: إنما قال الله تعالى في الحديث القدسي: «كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به إلى آخره» وذكر الصور المحسوسة دون القوى الروحانية كالخيال، والفكر، والحفظ، والتصوير، والوهم، والعقل لأن هذه مفتقرة إلى الحواس والحق

تعالى لا يتنزل منزلة من يفتقر إلى غيره من المخلوقات بخلاف الحواس الظاهرة فإنها إنما هي مفتقرة إلى الله تعالى لا إلى غيره فتنزل تعالى لمن هو مفتقر إليه لم يشرك به أحداً فعلم أن الحواس أتم لكونها هي التي تهب القوى الروحانية ما تصرف فيه وما به تكون حياتها العلمية، قال: ولما كان تجلّي الحق تعالى في الثلث الآخر من الليل يعطي العلوم والمعارف أكثر مما يعطي الثلث الأول والأوسط، كان علم أهل الثلث الآخر من مدة عمر هذه الأمة أكمل وأتم وذلك لأن رسول الله ﷺ لما بعثه الله والكفر ظاهر لم يدع الصحابة إلا إلى الإيمان خاصة ولم يظهر لهم شيئاً من العلم المكنون وصار يترجم لهم عما نزل من القرآن بحسب ما يبلغه إلى عموم ذلك القرن فكان الصحابة أتم في مقام الإيمان والتابعون أتم في العلم، وتابع التابعين أتم في العمل، قال: والحكمة في كون الصحابة أقوى إيماناً أن نشأة الإنسان فطرت على الحسد فلما بعث إليها نبي من جنسها لم يؤمن به إلا من قوي على دفع ما في نفسه من الحسد وحب الشفوف وهروبها من الدخول تحت حكم غيرها فكان إيمان الصحابة أقوى بهذا النظر لمشاهدتهم تقديم جنسهم عليهم وكان معظم اشتغالهم فيما يدفع سلطان الحسد أن يقوم بهم وذلك مانع لهم من إدراك غوامض العلوم والأسرار، فارتفعوا علينا بقوة الإيمان ولكن جبر الله نقصنا بإعطائه لنا التصديق بما نقل لنا عنهم من الشرع فحصل لنا درجة الإيمان بالغيب الذي لا درجة للصحابة فيه ولا قدم فعلم أنهم ما فضلونا إلا بقوة الإيمان والسبق وأما في العلم والعمل فقد يساويهم غيرهم في ذلك. وأطال في ذلك، ثم قال: فالحمد لله جاء بنا في الزمن الأخير وجبر قلوبنا بالتصديق، وعدم الشك والتردد فيما وجدناه منقولاً في أوراق سواداً في بياض ولم نطلب على ذلك دليلاً ولا ظهور آية ولو أننا جئنا في عصر رسول الله ﷺ، ما كنا نعرف كيف يكون حالنا عند مشاهدته ﷺ، هل كان يغلب علينا داء الحسد فلا نطيعه أم نغلب نحن نفوسنا ونطيعه؟ فكفانا بالله ذلك فله الحمد على كل حال.

وقال في الباب السابع والأربعين وثلاثمائة، في الكلام على العندية

الإلهية في نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ﴾ [النحل: ٩٦]، وفي قوله ﴿ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف: ٦٥] وقال ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ [الأنعام: ٥٩] وفي الحديث صفوا كما تصف الملائكة عند ربها، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]، وقال: ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: ٢١]: اعلم أن هذه العندية اختلفت إضافتها بحسب ما أضيف إليه من اسم وضمير وكناية وهي ظرف ثالث، فإنه ليس بظرف زمان ولا ظرف مكان مخلص بل ما هو ظرف مكان جملة واحدة على الإطلاق؛ قال وكذلك في قوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ﴾ [النحل: ٩٦]. فجعل لنا عندية وما هي ظرف مكان في حقنا؛ قال: وما رأيت أحداً من أهل الله نبه على هذه الظرفية الثالثة حتى يعرف ما هي فعجب من العلماء كيف غفلوا عن تحقيق هذه العندية التي اتصف بها الحق والإنسان وأطال في ذلك ثم قال:

فعندية الرب معقولة ... وعندية الهوى لا تعقل
وعندية الله مجهولة ... وعندية الخلق لا تجهل
وليس هما عند ظرفية ... وليس لها غير محمل

قال: والضمير في قوله: «لها» يعود على الظرفية وفي قوله: «هما» يعود على عندية الحق والخلق والله أعلم.

وقال في الباب الثامن والأربعين وثلاثمائة في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ﴾ [النور: ٣٥] الآية: اعلم أن الشجرة التي توقد منها المصباح مثال لهويته تعالى فإن هويته تعالى لا هي شرقية، ولا هي غربية ولا تقبل الجهات والزيتونة هنا هي مادة الزيت الذي هوالمادة للنور وكنى عن الهوية بالشجرة لأن الشجرة مأخوذة من التشاجر وهو النضاد لأن الهوية حاملة للأسماء المتقابلة كلها كالمعز والمذل، والنافع والضار، فانظر يا أخي ما أكمل العبارات الإلهية في الإخبار بما هو الأمر عليه وأطال في ذلك.

وقال في قوله ﷺ: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك»: اعلم أن في هذا الحديث إشارة إلى أمة الاختصاص وهم الأولياء المحمديون خاصة فمن زاد على سبعين سنة فما هو محمدي المقام

وإنما هو وارث لمن شاء الله من الأنبياء من آدم عليه السلام، إلى خالد بن سنان عليه السلام، وأطال في ذلك.

وقال في حديث السبعين الذين يدخلون الجنة بغير حساب: أي: لم يكن ذلك في حسابهم، ولا تخيلوه فبدا لهم من الله خير لم يكونوا يحتسبونه. وأطال في شرح كلمات الحديث، وقال: التجلي الرباني في الليل على ثلاثة أقسام وكذلك تجليه في النهار فيتجلى تعالى في الثلث الأول من الليل للأرواح المهيمة وفي الثلث الأوسط للأرواح المسخرة، وفي الثلث الآخر للأرواح الطبيعية المدبرة للأجسام العنصرية وأما النهار فيتجلى تعالى في الثلث الأول منه للأجسام اللطيفة التي لا تدركها الأبصار، وفي الثلث الأوسط للأجسام الشفافة، وفي الثلث الآخر للأجسام الكثيفة وأطال في ذلك. وتقدم نحو ذلك في أجوبة شيخنا رضي الله عنه.

وقال: الشمس غير غائبة عن الأرض في طلوعها وغروبها وإنما تطلع وتغيب عن العالم الذي فيها والظلام الحادث في الأرض إنما هو اتصال ظلالات ما فيها من العالم فهو على الحقيقة ظل والناس يسمونه ظلاماً ومن لا كشف له يسميه ظل الأرض لما هي عليه من الكثافة والدهر من حيث عينه يوم واحد لا يتعدد ولا ليل له، ولا نهار، الله نور السموات والأرض، أي: منورهما وذلك النور مستمر غير منقطع فافهم.

وقال: لا تقوم الساعة حتى يظهر الكشف في الخاص والعام، كلما قربت الساعة كان الكشف في الناس أكمل وأتم، وقال: يخرج النيل والفرات من أصل سدرة المنتهى فيمشيان إلى الجنة. ثم يخرجان منها إلى دار الجلال فيظهر النيل من جبل القمر ويظهر الفرات من أردن الروم وهما في غاية الحلاوة وإنما تغير طعمهما عما كانا عليه في الجنة من مزاج الأرض فإذا كان يوم القيامة عادا إلى الجنة.

قلت: ومن أين يشرب الناس من حين قيامهم من قبورهم إلى دخول الجنة أم لا أحد يشرب حتى يدخل الجنة أو يرد الحوض؟ فمن وجد شيئاً فليلحقه بهذا الموضع والله عليم خبير.

وقال في قوله: «إن أحسنت أمتي فلها يوم وإن أساءت فلها نصف يوم»: يعني: من أيام الرب الذي هو كألف سنة مما تعدون والمراد بإحسانها نظرها إلى العمل بشريعة نبيها ﷺ، وإنما قال ﷺ: «إن أحسنت وإن أساءت» ولم يقطع بشيء لعلمه ﷺ أن أحوال أمته بين حكم الاسم الخاذل والناصر وليس ليومهما مقدار معلوم عندنا بل ميزانه لا يعلمه إلا الله. قلت: وقد أحسنت ولله الحمد وجاوزت الخمسمائة سنة المحسوبة من ولاية معاوية فالحمد لله رب العالمين.

وقال في الباب التاسع والأربعين وثلاثمائة: قد جمع الله بيني وبين جميع أنبيائه في واقعة حتى لم يبق أحد منهم إلا ورأيته وعرفته وكذلك جمعني تعالى على ورثتهم من الأولياء وعرفتهم وهم لا ينقصون في كل عصر عن مائة ألف وأربعة وعشرين ألفاً؛ وأطال في ذلك.

وقال في الباب الحادي والخمسين وثلاثمائة: قد ذهب بعض العلماء إلى أن الإكراه على الزنى لا يصح وذلك لأن الآلة لا تقوم إلا بسريان الشهوة وحكمها فيه؛ قال: وعندنا أنه مجبور في مثل هذا مكره على أن يريد الوقاع ولا يكون الوقاع إلا بعد الانتشار ووجود الشهوة وحينئذ يعصم نفسه من أذى المكره له على ذلك لتوعده له بقتل أو ضرب أو حبس إن لم يفعل فصح الإكراه في مثل هذا بالباطن بخلاف الكفر فإنه يقنع فيه بالظاهر وإن خالفه الباطن، فالزاني يشتهي ويكره تلك الشهوة من حيث إيمانه ولولا أن الشهوة إرادة بالالتذاذ لقلنا إنه غير مريد لما اشتهاه. وأنشد:

من يشتهي الأمر قد تراه ... غير مريد لما اشتهاه
لكنه اضطر فاشتهاه ... في ظاهر الأمر إذ رآه

وقال في الباب الرابع والخمسين وثلاثمائة: من أدب العارف بالله تعالى إذا أصابه ألم أن يرجع إلى الله تعالى بالشكوى رجوع أيوب عليه السلام، أدباً مع الله تعالى وإظهاراً للعجز حتى لا يقاوم القهر الإلهي كما يفعله أهل الجهل بالله، ويظنون أنهم أهل تسليم وتفويض وعدم اعتراض، فجمعوا بين جهالتين وأطال في ذلك.

وقال في الباب التاسع والخمسين وثلاثمائة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١] الآية. اعلم أن الإنسان مجبول على حب من أحسن إليه لأجل إحسانه، وعلى استجلابه الود من أشكاله بالتودد إليهم ولما علم الله أن الإنسان منطو على ما ذكرنا لم يكتف تعالى بقوله: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى﴾ [الممتحنة: ١] فقط لعلمه أنا لا نقوم في هذا النهي في جانب الحق مقام من يخافه حقاً بل زاد تعالى ﴿وَعَدُوَّكُمْ﴾ ليبغضهم إلينا بدل محبتهم التي كانت عندنا ولا يؤثر هوانا على مرضاته تعالى؛ قال: وليس في حقنا ذم في القرآن أعظم من هذا فإنه تعالى لو علم منا أننا نؤثره على هوانا لاكتفى بقوله: ﴿عَدُوِّى﴾ وأطال في ذلك.

وقال في الباب الستين وثلاثمائة في قوله ﷺ لما قيل له هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنّى أراه»: فيه إشارة إلى مباينة نور الحق لسائر الأنوار فلم يدرك لاندراج نور الإدراك فيه فلذلك لم يدركه مع أن من شأن النور أن يدرك ويدرك به كما أن من شأن الظلمة أن تدرك ولا يدرك بها. قال: وإذا أعظم النور أدرك ولم يدرك به لشدة لطافته ثم إنه لا يكون إدراك قط إلا بنور من المدرك لا بد من ذلك عقلاً وحساً. وأطال في ذلك.

وقال في قوله تعالى للملائكة: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١]: في هذه الآية توبيخ للملائكة وتقرير كأنه تعالى يقول: هل سبحتموني أو قدستموني بهذه الأسماء حيث قلتم ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠] فزكيتم نفوسكم وجرحتم خليفتي في أرضي ولم يكن ينبغي لكم ذلك فما قدرتموني حق قدري. قال: فالمراد بالأسماء هنا الأسماء الإلٰهية التي استند إليها المشار إليهم بهؤلاء في إيجادهم وأحكامهم، وأطال في ذلك.

وقال: ليس للملك والحيوان والنبات إرادة تتعلق بأمر من الأمور، فهم مع ما فطروا عليه من السجود لله والثناء عليه فشغلهم به لا عنه، وأما الإنسان فله الشغل به وعنه والشغل عنه هو المعبر عنه بالغفلة والنسيان.

وقال في قول أبي يزيد «بطشي أشد»: أي: من حيث نفسه الحيوانية وذلك لأنه يبطش بمن لا يخلقه فلا رحمة له فيه والحق تعالى إذا بطش بمن

خلق فالرحمة مندرجة في بطشه بكل مؤمن فهو أرحم بالعبد من أمه وأبيه فله الحمد.

وقال: الإنكار في التجلي الأخروي خاص بأهل النظر العقلي لا بأهل الكشف وذلك لأن أهل النظر العقلي قيدوا الحق تعالى بعقولهم فلما لم يروا ما قيدوه به في الآخرة أنكروه ألا تراهم إذا وقع التجلي لهم بالعلامة التي قيدوه بها يقرون له بالربوبية ولو أنه كان تجلى لهم أولاً بهذه العلامة لما أنكروه فافهم.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٧١]، ثم قال: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ [التحريم: ١٢]: وما هو إلا عيسى فقط فجعله تعالى كلمات لها لأنه عليه السلام كثير من حيث نشأته الظاهرة والباطنة، ومن حيث إنّ كل جزء منه باطناً أو ظاهراً هو كلمة فلهذا قال: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ [التحريم: ١٢]. فأفرد الكلمة باعتبار وجمعها باعتبار.

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦]: اعلم أن الحق تعالى خلاق على الدوام ولو كان الأمر على ما قاله مخالفو أهل الحق من بقاء الأعراض لم يصح أن يكون الحق تعالى خلاقاً على الدوام فهو مع كل مخلوق ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] يحفظ عليكم وجودكم وكنتم أمراً وجودياً بلا شك لا يعلم منه إلا الايجاد والوجود وهذا لا يقال للموجود قط كن عدماً ولا كن معدوماً، لاستحالة ذلك.

وقال في قوله ﷺ: «من مات وهو يعلم أن لا إلـه إلا الله دخل الجنة»: إنما لم يقل: من مات وهو يؤمن أو يقول ليعلمنا أن كل موحد لله في الجنة يدخلها من غير شفاعة شافع ولو لم يوصف بالإيمان كقس بن ساعدة وأضرابه ممن لا شريعة بين أظهرهم يؤمنون بها وبصاحبها فقس رضي الله عنه، موحد لا مؤمن فتأمل.

وقال: النفس تذكر وتؤنث قال تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] الآية فأنث ثم قال: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا﴾ [الزمر: ٥٩] بتاء مفتوحة خطاب المذكر والعين واحدة فإن النفس

والعين عند العرب يذكران ويؤنثان وذلك لأجل التناسل الواقع بين الذكر والأنثى ولذلك جاء في الإيجاد الإلهي القول وهو مذكر والإرادة وهي مؤنثة فأوجد العالم عن قول وإرادة فظهر عن اسم مؤنث ومذكر، فقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ﴾ [النحل: ٤٠] والقول مذكر ﴿إِذَآ أَرَدْنَٰهُ﴾ [النحل: ٤٠] والإرادة مؤنثة، ﴿أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] فظهر التكوين في الإرادة عن القول والعين واحدة. وأطال في ذلك بكلام نفيس في التوحيد والله أعلم.

وقال في الباب الحادي والستين وثلاثمائة في قوله تعالى في آدم: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] بالتثنية: اعلم أن كل مخلوق في العالم فهو مضاف خلقه إلى يد إلهية قال تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾ [يس: ٧١] فجمع الأيدي، وقال في الحديث: «إن الله تعالى غرس شجرة طوبى بيده وخلق جنة عدن بيده وكتب التوراة بيده» فوحد اليد وثناها وجمعها، قال: وما أضاف الحق تعالى آدم إلى خلقه بيديه إلا تنبيهاً على شرفه عنده وأنه هو المقصود من العالم فإن الأنعام خلقها بأيديه مع أنها تحت تسخير بني آدم وإيضاح ذلك أن التثنية برزخ بين الجمع والإفراد، فهي تقابل الطرفين بذاتها فلها درجة الكمال فإن المفرد لا يصل إلى الجمع إلا بها والجمع لا ينظر إلى المفرد إلا بها فافهم.

قلت: قد ذكرنا نحو ذلك في أجوبة شيخنا رضي الله عنه، والله أعلم.

ثم قال في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦]: لما أراد الله تعالى خلق آدم أخذ تراباً لزجاً، وخلطه بالماء فصيره طيناً بيديه تعالى كما يليق بجلاله إذ ليس كمثله شيء ثم تركه مدة يختمر بما مر عليه من الهواء الحار الذي يتخلل أجزاء طينته فتخمر، وتغيرت رائحته فكان حمأ مسنوناً متغير الريح. قال الشيخ: ومن أراد أن يرى صدق ذلك إن كان في إيمانه خلل فليحك ذراعه بذراعه حكاً قوياً حتى يجد الحرارة من جلد ذراعه ثم يستنشقه فإنه يجد فيه رائحة الحمأة وهي أصله التي خلق جسمه منها، وأطال في ذلك بكلام نفيس منزعه الكشف.

وقال: من علامة من ادّعى أنه صار يذكر الله بالله أن يجد الاحتراق في

لسانه حساً حتى يحرق لسانه ولا يكون له أثر قط في النطق فمن لم يشاهد هذا الحرق من الأشياخ فليس هو ذاكر الله بالله وإنما ذلك توهم. قال: وقد ذقت ذلك حين ذكرت الله بالله ومكثت على ذلك ست ساعات ثم رد على لساني فذكرته بالحضور معه لا به. وأطال في ذلك فراجعه.

وقال في حديث: «إن الله خلق آدم على صورته»: اعلم أن الصور تطلق ويراد بها الأمر، والشأن، والحكم. أي: جعل آدم يأمر وينهى ويعزل ويولي ويؤاخذ ويسامح ويصفح ويرحم ونحو ذلك، فهذا هو المراد بالصورة فافهم.

وقال: الإنسان مجبور في عين اختياره عند كل ذي عقل سليم مع أن جميع ما يظهر عنا من الأفعال يجوز أن يفعله الله تعالى وحده لا بأيدينا ولكن ما وقع ذلك في الشاهد ولا ظهر إلا بأيدينا إذ الأعمال لا تظهر أحكامها إلا في جسم. قلت: وإن كان هذا حقاً وصدقاً.

وقال: أخذ بطرف دون طرف والكمال أن تقول: إن الأعمال لله خلقاً ولنا إسناداً فنضيفها إلى الله بوجه وإلينا بوجه كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]. وإن كان ذلك حكاية عن قول السيد إبراهيم فقد أقره الحق وارتضاه، من حيث إن مقام الأنبياء يجل عن أن يحكى خلاف ما الأمر عليه في نفسه والله أعلم.

وقال في الباب الثالث والستين وثلاثمائة: من عدم الإنصاف إيمان الناس بما جاء من أخبار الصفات على لسان الرسل وعدم الإيمان بها إذا أتى بها أحد من العلماء الوارثين لهم فإن البحر واحد وإذا لم يؤمنوا بما جاءت به الأولياء فلا أقل من أن يأخذه ومنهم على سبيل الحكاية وكما جاءت الأنبياء بما تحيله العقول من الصفات وآمنت به كذلك يجب الإيمان بما جاء به الأولياء المحفوظون وكما سلمنا ما جاء به الأصل كذلك نسلم ما جاء به الفرع بجامع الموافقة. وأطال في ذلك.

وقال: الكلام في «كاف» ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فضول فإن ذلك لا يدرك بالقياس ولا بالنظر، بل يرجع إلى قصد المتكلم ولا يعرف أحد ما في نفس المتكلم إلا بإفصاحه عما في نفسه ولم يفصح لنا

سبحانه وتعالى من هذه الكاف هل هي أصلية أم زائدة. وأطال في ذلك.

قلت: قد ذكر الشيخ في الباب الستين وثلاثمائة السابق أنه ما قال: إن الكاف زائدة في «كمثله شيء» إلا من لا معرفة له بالحقائق؛ قال: والحق أنها كاف الصفة انتهى. فليتأمل ويحرر.

وقال في الباب الخامس والستين وثلاثمائة في قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وفي نحو حديث: «إن الله لا يمل حتى تملوا»: اعلم أن الحق تعالى لا يعامل عباده إلا بما يعاملونه به فهو تعالى بحكم التبعية لهم في ذلك وإن كان ابتداء الأمر منه ولكن هكذا علمنا وقرر لدينا فننسب إليه تعالى ما ينسبه لنفسه ولا يمكن لنا إلا ذلك فهي من حكم تبعية الحق تعالى للمخلوق تنزلاً للعقول وأطال في ذلك. وقال فيه: سبب غلط منكري النبوة من الحكماء قولهم إن الإنسان إذا صفى جوهرة نفسه من كدورات الشهوات وأتى مكارم الأخلاق العرفية انتقش في نفسه ما في العالم العلوي من الصور بالقوة فنطق بالغيوب واستغنى عن الوسائط والأمر عند أهل الله ليس كذلك وإن جاز وقوع ما ذكروه في بعض الأشخاص وذلك أنه لم يبلغنا قط عن أحد من نبي ولا حكيم، أنه أحاط علماً بما يحوي عليه حاله في كل نفس إلى حين وفاته، بل يعلم بعضاً ويجهل بعضاً لو سئل اللوح المحفوظ عما خط الحق تعالى فيه من العلوم ما عرف ذلك، وأطال في رد أقوال منكري النبوة.

وقال فيه: لقد عملت على تحصيل إيماني بما جاء من عند الله ولم أكتف بالسماع حتى علمت من أين آمنت وبماذا آمنت لكن مجملاً وما زحزحني علم ما رأيته وعاينته عن إيماني فلم أزل أقول، وأعلم ما أقوله، وأعمله لقول النبي ﷺ لا لعلمي ولا لشهودي أنا، فواخيت بين الإيمان والعيان. قال: وهذا مقام ما وجدت له ذائقاً إلى وقتي هذا وإن كنت أعلم أن في رجال الله من يناله لكن ما اجتمعت به. قال: وكذلك أشهدني الله تعالى جميع أنبيائه وأوليائه من آدم إلى يوم القيامة خاصهم وعامهم كما تقدم ذلك في الباب التاسع والأربعين وثلاثمائة.

قلت: وذكر الشيخ في الباب الثالث والستين وأربعمائة: أنه رأى جميع المؤمنين كذلك من كان منهم ومن يكون إلى يوم القيامة في صعيد واحد، وأنه صاحب من الرسل غير محمد ﷺ جماعة، منهم إبراهيم الخليل قرأ عليه القرآن وعيسى تاب على يديه أول دخوله في الطريق، وموسى أعطاه علم الكشف والإفصاح عن الأمور وعلم تقليب الليل والنهار، وقال: ومن حين حصل عندي هذا العلم زال الليل وبقي النهار في اليوم كله، فلم تغب شمسي ولم تطلع وكان لي هذا الكشف إعلاماً بأنه لا حظ لي في الشقاء في الدار الآخرة قال: ولم يكلمني إلا هود عليه السلام، انتهى. وقد ذكرنا في أجوبة شيخنا حكمة كونه لم يكلمه إلا هود عليه السلام، فراجعها والله أعلم.

وقال: سعي الإنسان في عدالته عند الحكام لقبول شهادته من باب السعي في حق الغير لا في حق نفسه وذلك لأمور تطرأ فإنه إذا لم يكن عدلاً لم يقبل الحاكم شهادته وربما ظهر الباطل على الحق فوجب السعي في العدالة لهذا قال عليه الصلاة والسلام: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر». فلم يكن مراده ﷺ، إلا إعلام أمته بمقامه ليريحهم من تعب يوم القيامة، ولا يمشون في ذلك اليوم إلى نبي بعد نبي كما تمشي الأمم فيقتصرون على محمد ﷺ، بما أعلمهم من ذلك بأن الرجوع إليه آخر الأمر والله أعلم.

وقال في الباب السادس والستين وثلاثمائة: جملة الأمور التي ينفذ فيها حكم الحاكم ثلاثة: الدماء والأعراض والأموال، لا غير.

وقال فيه في قوله تعالى: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفتح: ٦] الآية: اعلم أن غضب الله تعالى في الدنيا على عباده هو ما أمر بإقامته عليهم من الحدود والتعزيرات، وأما غضبه في الآخرة فهو ما يقيمه من الحدود على من استوجب النار، وهو تطهير إلا في حق الكفار فافهم.

وقال: إنما نهي الحاكم عن الحكم حالة الغضب لأنه ربما خلط مع إقامة الحدود التشفي من المحدود لحظ نفسه فيحرم الأجر من تلك الحيثية لأن الأمر لا يحتمل الشركة، وعلامة الصادق في أنه خلص من حظ نفسه أن

يزول الغضب منه على ذلك الشخص عند الفراغ من إقامة الحد حتى ربما قام إليه، وعانقه وآنسه، وأظهر له السرور والبشاش من حيث أن الله تعالى طهره قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]. فالله تعالى يبتلي عباده بما كلفهم به فإذا عملوا ذلك ابتلى أعمالهم هل عملوها بخطاب الحق أم عملوها لغير ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩]. وأطال في ذلك، ثم قال: وإن كان ولا بد للحاكم من الفرح بإقامة الحد على المحدود فليكن ذلك لما أسقطه ذلك الحد من المطالبة في الآخرة. قال: وليس عندنا في مسائل الأحكام المشروعة أصعب من الزنى خاصة فإنه ولو أقيم عليه الحد فإنه يبقى عليه بعد إقامته مطالبات من مظالم العباد انتهى. فليتأمل، ويحرر.

وقال: من أراد الأجر التام فلا يقدم شيئاً على تلاوة القرآن لأجل سماع الملائكة السياحين فإنهم لا يقدمون شيئاً على سماع القرآن لأنه أشرف أرزاقهم وأعلاها، ومن لم يتيسر له تلاوة القرآن فليجلس لبث العلم لأجل الأرواح الذين غذاؤهم العلم لكن لا يتعدى علوم القرآن. قال: واعلم أن جميع ما أتكلم به في مجالسي وتصانيفي إنما هو من حضرة القرآن وخزائنه فإني أعطيت مفاتيح الفهم فيه والإمداد منه وذلك كله حتى لا أخرج عن مجالسة الحق تعالى.

وقال في قوله ﷺ: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»: اعلم أن حركات جميع الأئمة العادلة لا تكون قط إلا في حق الغير لا في حق نفوسهم بالأصالة فإذا رأيتم السلطان قد اشتغل عن مصالح رعيته وما يحتاجون إليه فاعلموا أنه قد عزلته المرتبة بهذا الفعل ولا فرق حينئذ بينه وبين العامة، وتأملوا قصة موسى لما خرج لحاجة أهله كلمه الله في عين حاجته وهي النار وكذلك الخضر بعثه أمير الجيش الذي كان فيه يرتاد له ماء وكانوا قد فقدوا الماء فوقع بعين الحياة فشرب منها فعاش إلى الآن وهو لا يعرف ما خص الله به شارب ذلك الماء من الحياة فهذا مما أنتجه سعيه في حق الغير قال: ولقد لقيت الخضر باشبيلية، وأفادني التسليم لمقالات الشيوخ وأن لا أنازعهم وإن كانوا مخطئين في نفس الأمر.

وقال في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟﴾ [النساء: ١٣٦]: مراده

بهؤلاء الذين أيّة بهم باسم الإيمان هم الذين آمنوا بالباطل، وكفروا بالله كما قال تعالى: ﴿وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ۚ﴾ [غافر: ١٢]. فسمى المشرك مؤمناً وأطال في ذلك والله أعلم.

وقال في الباب السابع والستين وثلاثمائة: اجتمعت روحي بعيسى عليه السلام، في السماء الثانية، وتبت على يديه وكان له بي عناية عظيمة فهو لا يغفل عن تربيتي إلى الآن. وأطال في ذكر ما وقع له معه وكذلك الأنبياء الذين في السموات، ثم قال: ولما اجتمعت بإبراهيم عليه السلام، قلت: يا أبت لم قلت: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣]؟ قال: لأنهم قائلون بالكبرياء الحق على آلهتهم التي اتخذوها، فقلت له: فما إشارتك بقولك هذا؟ فقال لي: أنت تعلمها فقلت له: إني أعلم أنها إشارة ابتداء وخبره محذوف يدل عليه قولك بل فعله كبيرهم فاسألوهم إقامة للحجة عليهم منهم فقال لي عليه السلام: «ما زدت على ما كان الأمر عليه» فقلت له: فما قولك في الأنوار الثلاثة؟ يعني: الكوكب، والقمر، والشمس أكان ذلك عن اعتقاد؟ فقال: لا إنما كان عن تعريف إقامة للحجة على القوم ألا ترى إلى قول الحق تعالى في كتابكم ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ٨٣] وما كان اعتقاد القوم في الإله إلا أنه نمرود بن كنعان لا تلك الأنوار. قال: ولم يكن القوم يعتقدون في النمرود أنه الإله الحق لأنهم إنما كانوا يعبدون الآلهة التي نحتوها. وأطال في ذلك بكلام دقيق فليتأمل، ويحرر.

وقال في الباب الثامن والستين وثلاثمائة في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۚ﴾ [الأنعام: ٧٣]: اعلم أن جماعة من أهل الله غلطوا في هذا الحق المخلوق به وجعلوه عيناً موجودة والحق أن الباء هنا بمعنى اللام ولهذا قال تعالى في تمام الآية ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٣] من أجل الباء فمعنى بالحق أي للحق فالباء هنا هي عين اللام في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. قال: وإيضاح ذلك أن الحق تعالى لا يخلق شيئاً بشيء وإنما يخلق شيئاً عند شيء وكل باء تقتضي الاستعانة والسببية، فهي لام فما خلق الله شيئاً إلا للحق وهو أن يعبده ذلك المخلوق على حسب ما يليق به، وأطال في ذلك فليتأمل.

وقال في الباب التاسع والستين وثلاثمائة: اختلف أصحابنا في هذا النوع هل ينقطع أشخاصه بانتهاء مدة الدنيا أم لا؟ فمن لم يكشف قال: بانتهائه ومن كشف قال: بعدم انتهائه وأن التوالد في النوع الإنساني باق في الجنة وأطال في ذلك.

وقال في قوله تعالى: ﴿فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨] أي: فما لكم يا محجوبون لا تعلمون ما نحدثكم به، فإن الشرع كله حديث وخبر إلٰهي بما يقبله الوهم والعقل، ويا علماء بالله إنما تعلمون قديماً وإن حدث عندكم فما هو حديث العين، قال الله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] وما هو إلا كلام الله الأزلي. فحدث علمه عندهم حين سمعوه فهو محدث الإتيان قديم العين كما تقول حدث اليوم عندنا ضيف ومعلوم أنه كان موجوداً قبل أن يأتي وقد جاء القرآن في مواد حادثة تعلق السمع بها وكذلك الفهم تعلق بما دلت عليه الكلمات فله الحدوث من وجه، والقدم من وجه؛ وأطال في ذلك.

وقال: لا يطلب العبد بأن يعرف حقيقة نسبة أخبار الصفات إلى الله عز وجل وكل من أولها حرم رؤية الحق يوم القيامة حين يقع التجلي فما أعظمها من حسرة.

وقال: ليس في الجن من يجهل الحق تعالى ولا من يشرك به فهم ملحقون بالكفار لا بالمشركين وإن كانوا هم الذين يوسوسون بالشرك للناس وأطال في ذلك فليتأمل، ويحرر.

وقال في قوله ﷺ: «ما فضلكم أبو بكر بكثير صوم ولا صلاة ولكن بسر وقر في صدره»: واعلم أن الإشارة بهذا السر والله أعلم إلى ما وقع له رضي الله عنه يوم موت رسول الله ﷺ، من الثبات حين اضطربت عقول الصحابة ذلك اليوم وقال: ما لا يمكن أن يسمع حتى شهد على نفسه ذلك اليوم بقصوره وأبو بكر رضي الله عنه، لم يغير عليه حال بل صعد المنبر وقرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤] الآية. فتراجع من كان حكم عليه وهمه من الناس وعرف الناس فضل أبي بكر على

الجماعة فاستحق الإمامة والتقدم، وما بايعه من بايعه سدى وما تخلف عن بيعته إلا من جهل منه السر الذي وقر في صدره أو من كان في محل نظر من ذلك أو متأولاً وذلك أن رسول الله ﷺ شهد له في حياته بفضله على الجماعة بالسر الذي وقر في صدره ولم يظهر حكم ذلك السر إلا يوم مات رسول الله ﷺ، وأصل ثبات أبي بكر وصوله إلى مقام شهد فيه أن موت رسول الله ﷺ حق وأنه محل لجريان أحكام الربوبية عليه وهناك تجرد أبو بكر بقلبه إلى جانب الحق، وتوكل على الله وحده؛ ولما علم رسول الله ﷺ أن أبا بكر قلبه مع الله بالاعتماد عليه وحده دون غيره وأنه صار يترقب لما يوحي الله به إليه على لسان رسول الله ﷺ في كل خطاب سمعه منه قال في حقه ما قال.

قلت: ومن هنا جعل القوم حال أبي بكر المذكور ميزاناً لكمال المريد وأنه متى صار يرى شيخه محلاً لجريان الأقدار وأن الأمر كله لله وصار لا يتأثر لفقد شيخه إذا فقد بموت أو سفر بعيد كل ذلك التأثر فقد كمل حاله، واستحق الفطام؛ وأطال في ذلك. وتقدم في الباب الثالث وثلاثمائة الكلام على حكمة ترتيب ولاية الخلفاء الأربعة فراجعه.

وقال فيه: من قال: إن الحق تعالى يحل في الصورة فهو أعمى البصر والبصيرة لأن غاية الناس مرتبة الإحسان ثم الإيقان المشار إليها بقوله: «اعبد الله كأنك تراه». فتمثله في خيالنا مرئياً ولم يحجر الشارع علينا إلا أن نجعل معبودنا محسوساً كالأصنام لا أن نتخيله صورة فإن الشارع يعلم أن من مرتبته الخيال أن يجد ويصور ما ليس بجسد ولا صورة، وهذا من رحمة الله بنا التي وسعت كل شيء ومن شك في قولنا فليتخيل الحق في حال مناجاته في الصلاة خلفه كما هو أمامه فإنه لا يقدر هذا حكم الوهم وأما من حيث الإيمان بالله، فإنه تعالى لا يتحيز وليس هو في جهة فاعلم ذلك.

وقال: لما سحر رسول الله ﷺ، كان يخيل إليه أنه يأتي نساءه وهو لم يأتهن فأتاهن في الخيال ولم يأتهن في الحس ومن هنا قالوا إن السحر له وجه إلى الحق ووجه إلى الباطل إذ هو مشتق من السحر الذي هو اختلاط الضوء والظلمة من غير تخلص لأحد الجانبين، قال: ومن أراد إبطال السحر

فلينظر إلى ما عقد الساحر فيعطي لكل عقدة يحلها بها كانت ما كانت فإن نقص عنها الكلمات بقي عليه من العقد شيء ضرورة فلا يزول السحر إلا بحل جميع العقد والسلام. قال: وهذا من العلوم الإلٰهية فإن النبي ﷺ، قال: «إن روح القدس نفث في روعي» ولا يكون النفث إلا ريحاً بريق لا بد من ذلك حتى يعلم بخلاف النفخ فإنه ريح مجرد. وأطال في ذلك بذكر غرائب.

وقال: إنما كان حديث النفس مغفوراً ما لم تعمل أو تكلم لأن الكلام عمل فيؤاخذ العبد به من حيث ما هو متلفظ به كالغيبة والنميمة، فإنه مؤاخذ بحسب ما يؤدي إليه ذلك اللفظ وإن كان تلفظ به وله عمل زائد على التلفظ به فلم يعمل به فما عليه إلا وزر عين ما تلفظ به فهو مسؤول عند الله من حيث لسانه. قال: ولا يدخل الهم بالشيء في حديث النفس كما توهم إذ لهم بالشيء له حكم آخر في الشرع خلاف حديث النفس ولذلك موطن كمن يريد في الحرم المكي إلحاداً بظلم يذيقه الله من عذاب أليم سواء وقع منه ذلك الظلم أو لم يقع وأما في غير الحرم المكي فإنه غير مؤاخذ بالهم، وإن لم يفعل ما هم به كتبت له حسنة إذا ترك ذلك من أجل الله خاصة فإن لم يتركها من أجل الله لم يكتب له ولا عليه فهذا الفرق بين الحديث النفسي والإرادة التي هي الهم.

قلت: وسيأتي إن شاء الله تعالى في الباب الثاني والعشرين وأربعمائة، قول الشيخ: اعلم أن الله تعالى قد عفا عن جميع الخواطر التي تستقر عندنا إلا بمكة لأن الشرع قد ورد أن الله يؤاخذ فيه من يريد فيه بإلحاد بظلم وهذا كان سبب سكنى عبد الله بن عباس بالطائف احتياطاً لنفسه فإنه ليس في قوة الإنسان أن يمنع عن قلبه الخواطر فمن لم يخطر له الحق تعالى خاطر سوء فلذلك هو المحفوظ ومن لنا بذلك. قال: وقد أخبرني سليمان الدنبلي على وجه التحدث بالنعم أن له منذ خمسين سنة ما اخطر الحق تعالى في قلبه خاطر سوء انتهى. قال: وإنما نكر تعالى الظلم بقوله: «بظلم» ليجتنب من سكن مكة جميع الظلم في كبير وصغير، والله أعلم.

وقال في حديث: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»: أما نصرة المظلوم

فمعلومة عند الجميع وأما نصرة الظالم فأن تنصره عن إبليس الذي يوسوس في صدره بما يقع منه في الظلم بالكلام الذي تستحليه النفوس وتنقاد إليه فتعينه على رد ما وسوس إليه الشيطان من ذلك فهذه نصرته إذا كان ظالماً، وكذا جاء الخبر في نصرة الظالم أن تأخذ على يديه والمراد به ما ذكرنا فلا بد أن تكون النصرة واردة على شيء فافهم.

وقال: الشهادة بالوحي أتم من الشهادة بالمعاينة كشهادة خزيمة في قصة بيع الجمل فإنه لم يكن حاضراً وإنما قال: أشهد بتصديقك يا رسول الله، فحكم ﷺ بشهادة خزيمة وحده لأنها شهادة بالوحي ولو أن خزيمة شهد شهادة عين لم تقم شهادته مقام اثنين وبذلك حفظ الله علينا: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] إلى آخر السورة فإنها ثبتت بشهادة خزيمة وحده وقد كان جامع القرآن لا يقبل آية منه إلا بشهادة رجلين فصاعداً إلا هذه الآية. وقال: مما يدلك على أن الكلام لله والترجمة للمتكلم قوله تعالى مقسماً أنه ـ يعني: القرآن ـ ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠] فأضاف الكلام إلى الواسطة والمترجم كما أضافه تعالى إلى نفسه بقوله تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] سواء؛ فإذا تلي علينا القرآن فقد سمعنا كلام الله وموسى لما كلمه ربه سمع كلام الله ولكن بين السماعين بعد المشرقين فإن الذي يدركه من يسمع كلام الله بلا واسطة لا يساويه من يسمعه بالوسائط وقال في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢]. الآية اعلم أن الله عز وجل ما اصطفى عبداً قط إلا حفظه قبل اصطفائه من الغوص في علوم النظر وحال بينه وبينها ورزقه الإيمان بالله وبما جاء من عند الله على لسان رسول الله ﷺ، فإن صاحب النظر العقلي وإن سعد لا يكون أبداً في مرتبة الساذج الذي لم يكن عنده علم بالله إلا من حيث إيمانه وتقواه وهذا هو وارث الأنبياء في هذه الصفة. قال: وما بلغنا أنه تقدم لنبي قبل نبوته نظر عقلي في العلم بالله أبداً ولا ينبغي له ذلك، قال: وكل من تقدم له من الأولياء النظر العقلي فليس هو ممن أورثه الله الكتاب. وأطال في ذلك.

قلت: وتقدم قبيل الباب الثامن والستين وثلاثمائة، أن استدلال السيد إبراهيم بالكواكب إنما كان لإقامة الحجة على قومه لا عن اعتقاده والله أعلم.

وقال: للملك أن يعفو إلا عن ثلاثة أشياء وهي التعرض للحرم، وإفشاء سره، والقدح في الملك.

وقال في الباب السبعين وثلاثمائة: لما كان الحق تعالى هو السلطان الأعظم ولا بد للسلطان من مكان يكون فيه حتى يقصد بالحاجات مع أنه تعالى لا يقبل المكان اقتضت المرتبة أن يخلق عرشاً ثم ذكر أنه استوى عليه حتى يقصد بالدعاء وطلب الحوائج منه كل ذلك رحمة بعباده وتنزلاً لعقولهم ولولا ذلك لبقي العبد حائراً لا يدري أين يتوجه بقلبه وقد خلق الله تعالى العبد ذا جهة فلا يقبل إلا ما كان له جهة، وقد نسب الحق تعالى لنفسه الفوقية من سماء وعرش وإحاطة بالجهات كلها بقوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] وبقوله: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا»، وبقوله ﷺ: «إن الله في قبلة أحدكم» وحاصله أن الله خلق الأمور كلها للمراتب لا للأعيان والله أعلم.

وقال: من آمن بمحمد ﷺ، وبجميع ما جاء به كان له أجر من اتبع جميع الأنبياء وآمن بكل كتاب وبكل صحيفة لكن أجر الإيمان بهم لا أجر من عمل بأحكامهم كلها فافهم.

وقال في الباب الحادي والسبعين وثلاثمائة: لو أن العاصي علم أن الله يؤاخذه على المعصية ولا بد ما عصى فلا يصح أن يكون على بصيرة في العقاب أبداً؛ قال: وهذا هو الذي أجرأ النفوس على ارتكاب المحارم إلا من حماه الله تعالى بخوف، أو حياء، أو رجاء، أو عصمة في علم الله خارجة عن هذه الثلاثة ولا خامس لهذه الأربعة فتأمل.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٦]: إنما انشقت لذهاب عمدها الذي كان يمسكها وهو الإنسان الكامل. فإذا زال سقطت إلى الأرض والسماء معلوم أنها جسم شفاف صلب فإذا هوت السماء حلل جسمها حر النار فعادت دخاناً أحمر كالدهان السائل مثل شعلة النار كما كانت أول مرة وزال ضوء الشمس فطمست النجوم فلم يبق لها نور وسبحت في النار لكن على غير الوجه التي كانت في الدنيا عليه من السير. وأطال في ذلك، ثم قال: فعلم أن آخر من تقبض روحه من بني آدم الإنسان الكامل

الذي يقوم ذكره مقام ذكر جميع العالم لو قدر فقده وهذا هو المشار إليه بقوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يبقى أحد على وجه الأرض يقول الله» فما أمسك الله تعالى صور السموات أن تقع على الأرض إلا لأجل هذا الإنسان الموحد الذي لا يمكنه أن يتكلم بالنفي إذ ليس في خاطره إلا الله الواحد الأحد. قال: وهذا الذكر الذي هو الله الله هو ذكر الله الأكبر المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ولا يعترض علينا المعطلة فإنهم كالعضو الأشل من الإنسان الكامل وأطال في ذلك.

وقال في قول عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله ﷺ يذكر الله على كل أحيانه» أي: في جميع الأحوال: فيه إثبات المجالسة من رسول الله ﷺ لربه عزّ وجلّ في جميع الأحوال وجلوس كل عبد مع ربه على قدر ذكره له فإما علمت عائشة ذلك من طريق كشفها وإما أخبرها رسول الله ﷺ بذلك. وأطال في ذلك.

وقال: خلق الله الأرض مثل كرة وهي مجموع أجزاء ترابية وحجرية ضم بعضها إلى بعض، ولما خلق الله السماء بسط الأرض بعد ذلك ليستقر عليها من خلقت له ولذلك مادت ولو بقيت كرة ما مادت فخلق الله الجبال فقال بها عليها دفعة واحدة وأدار بالماء المحيط بها جبلاً جعله لها كالمنطقة وجعل أطراف قبة السماء عليها. قال: وأما الزرقة التي ينسبها الناس إلى السماء فإنما هي لبعد السماء عن البصر كما ترى الجبال إذا بعدت سوداً وزرقاً وهي بيض.

وقال: ما أخذ الله من أخذ من الأمم إلا في آخر النهار وذلك لاستيفاء حركة الفلك فإن اليوم دائرة الفلك الأطلس فكان ذلك كالتربص بالعنين إلى آخر السنة فإذا انقضت فصولها فرق بينه وبين المرأة أعني: زوجته؛ وذلك لأن أسباب التأثير الإلٰهي المعتاد في الطبيعة قد مرت عليه وما أثرت فيه فدل على أن العنة فيه قد استحكمت لا تزول فلما عدمت فائدة النكاح من لذة وتناسل فرق بينهما إذا كان النكاح موضوعاً للالتذاذ أو للتناسل أو لهما معاً أو في حق طائفة بكذا وفي أخرى بكذا، وفي حق للمجموع أخرى وكذلك اليوم في حق من أخذ من الأمم إذا انقضت دورته وقع الأخذ الإلٰهي آخره.

وقال في الباب الرابع والسبعين وثلاثمائة في قوله: «هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي»: اعلم أن الجنة دار جمالٍ وأنس ومنزل إلٰهي لطيف وأما النار فهي دار جلال وجبروت فالاسم الرب مع أهل الجنة والاسم الجبار مع أهل النار أبد الآبدين ودهر الداهرين، وإنما كان الحق تعالى لا يبالي بذلك لأن رحمته سبقت غضبه في حق الموحدين أو في حق المشركين، ويكون المراد بالرحمة رحمة الإيجاد من العدم لأنها سابقة على سبب الغضب الواقع منه فلذلك كان تعالى لا يبالي بما فعل بالفريقين؛ قال: ولو كان المراد بعدم المبالاة ما توهمه بعضهم لما وقع الأخذ بالجرائم ولا وصف الحق تعالى نفسه بالغضب ولا كان البطش الشديد فهذا كله من المبالاة والتهمم بالمأخوذ فلولا المبالاة ما كان هذا الحكم فللأمور والأحكام مواطن إذا عرفها أهلها لم يتعدوا بكل حكم موطنه وأطال في ذلك.

وقال في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤]: اعلم أن القهر عذاب ومن أراد أن يزول عنه حكم هذا القهر فليصحب الحق تعالى بلا غرض ولا تشوف بل ينظر في كل ما يقع في العالم وفي نفسه فيجعله كالمراد له فيلتذ به ويتلقاه بالقبول والبشر والرضا فلا يزال من هذه حالته مقيماً في النعيم الدائم لا يتصف بالقهر ولا باللذة. قال: وما رأيت المقام ذائقاً غيري وصاحبه يحصل له اللذة بكل واقعٍ منه أو فيه، أو من غيره، أو في غيره، فإن اقتضى ذلك الواقع التغير له تغيَّر لطلب الحق تعالى منه التغير وكان هذا التغير هو المطلوب لأنه هو الواقع إذ ذاك وليس بمقهور فيه بل هو ملتذٌ بالموجب للتغير فتأمل. قال: وإيضاح ذلك أن الإنسان لا يخلو نفساً واحداً عن طلب يقوم به لأمر ما وإذا كانت حقيقة الإنسان ظهور الطلب فيه فليجعل متعلق طلبه مجهولاً غير معين إلا من جهة واحدة وهو أن يكون متعلق طلبه ما يحدثه الله في العالم فذلك عين مطلوبه من خير وشر، فللخير الرضا والروح، وللشر السخط والكراهة، ومن عرف هذا الذي ذكرناه عرف جهل من طلب المحال فقال لمن قال له: ما تريد؟ أريد أن لا أريد وإنما الحق أنه كان يقول: أريد ما تريد فيتصف بالإرادة لما أراده الشارع خاصة ولا يبقى له غرض في مواد معين وأطال في ذلك.

وقال: رؤية الله تعالى لا تكون بالطلب لأنها امتنان من الله تعالى، وما كان امتناناً لا يصح طلبه إنما يصح طلب ما كان سعاية. وأطال في ذلك، ثم قال: وإذا وقع ما وقع من الرؤية عن طلب فليس هو الرؤية الحقيقية الحاصلة عن الطلب وذلك لأن مطلوبه من المرئي إنما هو أن يراه على ما هو عليه في نفسه وذلك محال فإن التجلي لا يقع لعبد إلا على صورة علمه به وإلا أنكره فما تجلّى تعالى لطالب الرؤية إلا في غير ما طلبه، فلهذا كانت الرؤية إذا وقعت امتناناً على العبد لا استحقاقاً وجزاءً ثم إذا وقع الالتذاذ بما رآه وتخيل أنه مطلوبه تجلّى له بعد ذلك من غير طلب فكان ذلك التجلّي امتناناً إلٰهياً وأعطاه من العلم به ما لم يكن عنده ولا خطر على باله وكان تنعمه بتلك الرؤية كنعيم أهل الجنان. وقال: وهذه المسألة ما نبه عليها أحد غيري فيما أعلم وأطال في ذلك.

وقال في الباب الخامس والسبعين وثلاثمائة، في قوله تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]: اعلم أن كل جاهل متنعمٌ بجهله بالأمور لكن لا يعلم أنه جاهل بها فإنه لو علم أن ثم علماً خلاف ما يعلمه هو لأدركه التنغيص وما تنعم بجهله قط فليس كل حزب بما لديهم فرحون في الدنيا، وإنما ذلك في الآخرة، وأما في الدنيا فذلك في كثير من الناس لا في كلهم.

وقال في قوله تعالى في المنافقين: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤ ـ ١٥] : اعلم أن المنافق برزخ بين المؤمن والكافر فإذا انقلب تخلص إلى أحد الطرفين وهو طرف الكفر ولم يتخلص للإيمان إذ لو تخلص هنا للإيمان ولم يكن برزخاً لكان إذا انقلب لا ينقلب إلا إلى الله في دار كرامته فما أخذ المنافق إلا بأمر دقيق لا يشعر به كثير من العلماء وقد نبه على ذلك بقوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ [البقرة: ١٤] فلو أنهم قالوا ذلك حقيقة لسعدوا وكذلك قوله: وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا: إنا معكم أي: لو قالوا ذلك وسكتوا لما أثر فيهم الذم الواقع ولكنهم زادوا قولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤] فشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا

كافرين فما أخذوا إلا بما أقروا به وإلا فلو أنهم بقوا على صورة النفاق من غير زيادة لسعدوا ألا ترى أن الله تعالى لما أخبر عن نفسه في مؤاخذته إياهم كيف قال: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] . فما أخذهم بقولهم إنا معكم وإنما أخذهم بما زادوا به على النفاق من قولهم: إنما نحن مستهزئون كما مر، وفي الحديث: «مداراة الناس صدقة» والمؤمن يداري الطرفين مداراة حقيقة ولا يزيد على المداراة شيئاً من الاستهزاء فيجني ثمرته، قال: فتفطن لذلك فإنه سر غامض في القرآن ووضوحه إخفاء وانظر إلى صورة كل منافقٍ تجده ما أخذ إلا بما زاد على النفاق. قال: فالمؤمن المداري منافق لكنه ناجٍ وفاعل خير لأنه إذا انفرد مع أحد الفريقين أظهر الاتحاد به ولم يتعرض إلى ذكر الفريق الآخر الذي ليس بحاضر عنده فإذا انقلب إلى الآخر كان معه بهذه المثابة والباطن في الحالتين مع الله عز وجل، وقد قال تعالى لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤] وذلك عين المداراة فإنه يتخيل في ذلك المقام أنك معه.

قال الشيخ رحمه الله: ولما صح لي هذا المقام واتحدت بالملوك والسلاطين ما قضيت لأحد من الناس حاجة إلا من طريق المداراة ولذلك ما ردوا لي شفاعة في أحد قط وذلك أني كنت أبسط للملك بساطاً أستدرجه فيه حتى يكون هو السائل في قضاء تلك الحاجة فيقضيها على الفور بطيب نفس لما يرى له فيها من المصلحة. قال: ولقد كلمت السلطان الملك الظاهر بأمر الله بيبرس أبا الفتوحات صاحب حلب في حوائج كثيرة للناس فقضى لي في يوم واحد مائة حاجة وثمان عشرة حاجة ولو كان معي ذلك اليوم أكثر من ذلك لقضاه لي. قال: ومن علم أن الحق تعالى مع الجبابرة لزم أدب الخطاب معهم وهذا عزيز جداً. وأطال في ذلك.

وقال في الباب السادس والسبعين وثلاثمائة: وجه من قال: إنه ليس للحاكم أن يحكم بعلمه بل بالبينة كون الحق تعالى مع علمه بما فعل عبيده لا يؤاخذهم يوم القيامة إلا بعد إقامة البينة عليهم وذلك أخلص للحكام في الدنيا والآخرة وأبعد عن التهمة، ومن هنا يعلم أن الحق تعالى لا يؤاخذ عباده إلا على صورة ما شرعه لهم في الدنيا ولهذا يقول النبي ﷺ عن أمر

ربه: ﴿رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢] يعني: بالحق الذي بعثتني به، وشرعت لي أن أحكم به فيهم أي: لأنه رحمة فسأله الرحمة لأمته بهذا القول على سبيل التضرع.

وقال فيه في قوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقوله: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] ونحوهما من الآيات: اعلم أن للحق تعالى أن يوجب على نفسه ما شاء لأنه يفعل ما يريد ولكن لا يدخل تحت حد الواجب على عباده، فله تعالى أن يخلف ما كتب ولا يلحقه ذمٌ ولا لوم بخلاف العبد إذا أوجب على نفسه شيئاً كالنذر يدخل تحت حد الواجب فيأثم الناذر إذا لم يقم به عقوبة له حيث أوجب على نفسه ما لم يوجبه الله عليه وزاحم في التشريع، ولهذا نهى الشارع عن النذر فافهم. ثم إذا وفوا بنذرهم آجرهم الله عليه، ثواب الواجبات الشرعية فضلاً منه ورحمة.

وقال في حديث: «يقول الله عز وجل يوم القيامة أكملوا لعبدي فريضة من تطوعه» أي: ما نقص من الفرض الواجب كملوه من الفرض الذي في النوافل كالقراءة والركوع والسجود ونحو ذلك وما نقص من سنن الفرض الواجب كملوه من السنن التي في النوافل كل شيء بمثله. قال: واعلم أن النوافل هي كل ما جاء زائداً على الفرائض من جنسها فإن لم يكن لذلك الزائد عين صورة في الفرائض فليس هو بنافلة بل عمل مستقل وله مرتبة في الأجر ليست للنوافل.

وقال في حديث: «لا يقبل من صلاة الرجل إلا ما عقل منها»: اعلم أن في حديث «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين» إشارة إلى أن أكثر ما يكون حق الله تعالى النصف في الصلاة من غير زيادة وأما هنا فهو القدر الذي عينه تعالى له من صلاة عبده وهو العشر فإنه قال: «عشرها تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها»، وما ذكر النصف إلا في الفاتحة فعلمنا المعنى فعيناه في جميع أفعال الصلاة وأقوالها بل في جميع ما كلفنا من الأعمال فأما عينه فهو ما انحصرت فيه الفاتحة وهي تسعة أقسام القسم الأول: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ الثاني: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ الثالث: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ الرابع: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ الخامس: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ السادس: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ السابع: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ الثامن: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ التاسع: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ١ ـ ٧]. فالخاسر الساهي عن صلاته من لم يحضر مع الله في قسم واحد من هذه التسعة الأقسام التي ذكرناها في الفاتحة وهي التي ذكرها الله في القبول من العشر إلى النصف، فمن رأى البسملة آية منها ولا يفصلها فالقسمة على ما ذكرناه في الفاتحة فإن حكم الله تعالى في الأشياء حكم المجتهد فهو معه في اجتهاده ومن أداه اجتهاده إلى الفصل ففصل البسملة من الفاتحة وجعلها ليست بآيةٍ منها جعل الله له الجزء التاسع ولا الضالين والبسملة أحق وأولى فإنها من القرآن بلا شك عند العلماء بالله وتكرارها في السور مثل ما تكرر في القرآن من سائر الكلمات وما زاد على التسعة فعقله في التلاوة على عدد حروف الكلمة فقد يعقل المصلي حرفاً من حروف الكلمة ثم يغفل عن الباقي فهذا معنى قوله العام: أنه لا يقبل منها إلا ما عقل، فالعاقل من أتى بها كاملة ليقبلها الله كاملة ومن انتقص منها شيئاً في صلاته جبرت له من قراءة الفاتحة في نوافله من الصلاة فليكثر من النوافل فإن لم تف قراءتها في النوافل فما نقصه من قراءة الفاتحة في الفريضة أكمل له من تلاوته بحضور في غير الصلاة المعينة وإن كان في جميع أفعاله في صلاة كمن هم على صلاتهم دائمون فاعلم ذلك.

وقال في الباب السابع والسبعين وثلاثمائة: اعلم أنه لا يلزم من شهود العبد ربه بقلبه أن يكون هو ذلك المطلوب له إلا بإعلام الله وجعله العلم الضروري في نفس العبد مثل ما يجد النائم في نومه من رؤية صورة رسول الله ﷺ أو الحق تعالى في النوم، فيجد في نفسه علماً ضرورياً من غير سبب ظاهر أن ذلك المرئي هو الرسول إن كان الرسول، أو الحق تعالى إن كان هو الحق، وذلك لوجد أنه حقاً في نفسه مطابقاً لما هو الأمر عليه فيما رآه هكذا العلم بالله فلا يدرك إلا هكذا، وأما النظر والفكر فلا.

وقال في قوله ﷺ: «فأقول سحقاً سحقاً»، يعني: في حق الطائفة

الذين أخذ بهم ذات الشمال إنما قال ﷺ وهو الرءوف الرحيم: «سحقاً سحقاً» لأن من كان عالماً بالأمور لا يزيد على حكم ما يقضي به الوقت ولذلك قالوا: الصوفي ابن وقته ثم إنه إذا زال الحال تلطف في المسألة وتشفع في كل موحد هوت به الريح من أمته في مكان سحيق.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ [الانشقاق: ٣]: اعلم أن مد الأرض هو تدكدك جبالها حتى تصير رضاً فما كان منها عالياً في الجو إذا انبسط زاد في بسط الأرض. قال: ولهذا جاء في الخبر «إن الله يمد الأرض يوم القيامة مَدَّ الأديم» فشبه مدها بمد الأديم لأن الإنسان إذا مد الأديم طال من غير أن يزاد فيه شيء لم يكن في عينه فما زاد إلا لما كان فيه من النقيض والنتوء فلما مد انبسط عن قبضه وفرش ذلك النتوء الذي كان فيه فزاد في سعة الأرض ورفع المنخفض منها حتى بسطه فزاد فيها ما كان من طول من سطحها إلى القاع منها كما يكون في الجلد سواء فلا ترى في الأرض هناك عوجاً ولا أمتاً فيأخذ البصر من المبصر جميع من في الموقف بلا حجاب من ارتفاع وانخفاض ليرى الخلق كلهم بعضهم بعضاً فيشهدون حكم الله في الفصل والقضاء في عباده، وأطال في ذلك.

وقال في الباب التاسع والسبعين وثلاثمائة: إنما سمي القرآن قرآناً لأنه جمع بين ما نزل في الكتب والصحف وما لم ينزل فيها ففيه كل ما في الكتب المنزلة وفيه ما لم ينزل في كتاب ولا صحيفة كما قيل في الفاتحة إن الله تعالى أعطاها نبيه محمداً ﷺ خاصة دون غيره من الرسل من كنز تحت العرش فلم توجد في كتاب منزل ولا في صحيفة إلا في القرآن خاصة.

وقال في قوله ﷺ: «إن ربكم واحد وإن أباكم واحد» إنما لم يقل ﷺ: إن أبويكم اثنان، يعني: حواء وآدم كما وقع في الظاهر، لأن حواء عين آدم إذ هي عين ضلعه فلم يكن إلا أب واحد في صورتين مختلفتين وليس أبوك إلا من أنت عينه فما ثم إلا أبٌ واحد وأطال في ذلك.

وقال في حديث: «حبب إليّ النساء والطيب»: لم يبين ﷺ من حبب إليه ذلك ولكن نحن نعلم يقيناً من وجه عصمته أن المراد تحبيب الله تعالى

إليه ذلك فإنه معصوم عن أن يحب لطمع أو طبع أو حذر، فعلم أن من أحب النساء والطيب بحكم الطبع مثلاً فليس بوارث للنبي ﷺ، في هذا المقام. وسيأتي معنى «وجعلت قرة عيني في الصلاة» في الباب الثامن والثمانين وثلاثمائة فراجعه.

وقال في قوله ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء»: اعلم أنه ليس المراد بالعلم هنا ما تستقل العقول والحواس بإدراكه دون الأخبار فإن ذلك ليس بوراثة وإنما المراد به هنا ما لا تستقل العقول بإدراكه من حيث نظرها بل تحكيه بأدلتها فاعلم ذلك.

وقال في الباب الأحد والثمانين وثلاثمائة: إنما كان أكابر الرجال لا مقام لهم معروف لأن مشهودهم الحق تعالى ومن كان كذلك فلا غاية لمشهوده ولا لشهوده بخلاف أصحاب المقامات من الصوفية فإن هممهم منحصرة إلى غايات ونهايات فكلما وصلوا إلى تلك الغايات تجددت لهم في قلوبهم غايات أخر تكون تلك الغايات التي وصلوا إليها بدايات لهذه الغايات الأخر فتحكم عليهم الغايات بالطلب لها، ولا يزال هذا الأمر لهم دائماً بخلاف الكمل من الرجال.

وقال فيه: اعلم أن للخيال سلطاناً عظيماً على الطبيعة حتى إنه يجسد ما ليس من شأنه التجسد فيريك الإسلام قبة والقرآن سمناً وعسلاً والقيد ثباتاً في الدين، قال: ومن أراد نجابة ولده فليقم في نفسه عند الجماع صورة من شاء من أكابر العلماء وإن أراد أن يحكم ذلك فليجامع وهو ينظر ذلك العالم مثلاً من وراء حجاب ويتأمل في جماله ويذكر ذلك الجمال أيضاً لامرأته ويستفرغان في النظر إلى حسنه فإنه إن وقع للمرأة حمل من ذلك الجماع أثر في ذلك الحمل ما تخيلاه بقدرة الله تعالى فيخرج المولود بتلك المنزلة ولا بد فإن لم يخرج كذلك فإنما هو لأمرٍ طرأ في نفس الوالدين عند نزول النطفة في الرحم أخرجهما ذلك الأمر عن مشاهدة تلك الصورة في الخيال من حيث لا يشعران، قال: ويعبر عما ذكرناه عند العامة بالتوحم وقد يقع بالاتفاق عند الوقاع في نفس أحد الزوجين صورة كلب أو أسد أو حيوان ما فيخرج الولد من ذلك الوقاع في أخلاقه على صورة ما تخيلاه حسناً وقبحاً. وأطال في

ذلك، ثم قال: وتأمل كيف أثر الخيال في زكريا حين دخل على مريم المحراب ورآها بتولاً؛ يعني: منقطعة عن الرجال فطلب من عند الله أن يهبه ولداً من لدنه ولياً؛ أي: من عندية الله من حيث الرحمة واللين والعطف، وكانت مريم في خياله من حيث مرتبتها فجاء يحيى على صورتها حصوراً؛ أي: منقطعاً عن مباشرة النساء وهو العنين عندنا كما كانت مريم منقطعة عن مباشرة الرجال. قال: واسمها حنة ومريم لقب لها.

وقال في الباب الثاني والثمانين وثلاثمائة في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]: اعلم أن الحق تعالى ختم على كل قلب أن تدخله ربوبية الحق تعالى فلا أحد قط من الخلق يجد في نفسه أنه رب إلٰه بل كل أحد منهم يعلم من نفسه أنه عبد ذليلٌ مفتقر محتاج فلذلك طبع الله على كل قلب متكبر جبار أن لا يدخله كبر إلٰهي أبداً لختمه على باطن كل عبد أن يدخله تأله، وأما الألسنة فلم تعصم من التلفظ بدعوى الألوهية كما لم تعصم الأنفس أن تعتقد الألوهية في غيرها فعصمت أن تعتقدها في نفسها دون أمثالها. وأطال في ذلك، وقال: من أراد الدخول إلى فهم كلام ربه فليترك عقله ويقدم بين يديه شرعه ويقول لعقله: أنت عبدٌ مثلي كيف أترك ما نسبه الحق إلى نفسه لعجزك عن تعقله مع أنك قاصر عن معرفة ربك ولو ألزمت نفسك الإنصاف للزمت حكم الإيمان والتلقي وجعلت النظر والاستدلال في غير ما لم يرد عن ربك وأطال في ذلك.

ثم قال في قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]: اعلم أنه لا يلزم من حدوث الأمر عندك أن يكون حادثاً في نفسه لا عقلاً ولا عرفاً ولا شرعاً، فإنك تقول: حدث عندنا اليوم ضيف وهو صحيح حدوثه عندك لا حدوثه في نفسه ذلك الوقت بل كانت عينه موجودة من قبل بنحو سبعين سنة وأكثر وأطال في ذلك. وقد ذكرنا ذلك أيضاً في أجوبة شيخنا والله أعلم.

وقال في قوله تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧]: اعلم أن المحكم من الآيات كله عربي والمتشابه كله موسوي لأنه أعجمي والعجمية عند أهل العجمية عربية والعربية عند الإسلام عجمية

وما ثم عجمة إلا في الاصطلاح والألفاظ والصور الظاهرة، وأما المعاني فلا عجمة فيها بل كلها عربية فمن ادّعى علم المعاني وقال بالتشابه به فلا علم له أصلاً بما ادّعى أنه علمه من ذلك فإن المعاني كالنصوص عند أهل الألفاظ لأنها بسائط لا تركيب فيها والعجمة من شرطها التركيب فلولا التركيب ما ظهر للعجمة صورة في الوجود.

وقال في الباب الثالث والثمانين وثلاثمائة معنى قوله ﷺ لبلال يستفهمه: «بِمَ سبقتني إلى الجنة؟» مع أنه ﷺ، يعلم أن السبق له هو: أي بِمَ صرت مطرقاً بين يدي في الجنة كالمطرقين في الدنيا بين يدي الملوك؟ قال: فأفهمنا ﷺ، أن من فعل مثل بلال من أنه كلما أحدث توضأ وصلى ركعتين كان كذلك مطرقاً بين يدي رسول الله ﷺ، ولبلال الأولية وغيره تبع له.

وقال في الباب الخامس والثمانين وثلاثمائة، في قوله ﷺ للسوداء: «أين الله؟»: اعلم أنه قد دل الدليل العقلي استحالة حصر الحق في أينية ولكن الشارع ﷺ لما علم أن الجارية المذكورة ليس في قوتها أن تعقل موجدها إلا على ما صورته في نفسها خاطبها بذلك ولو أنه خاطبها بغير ما تصورته في نفسها لارتفعت الفائدة المطلوبة ولم يحصل القبول فكان من حكمته ﷺ، أن سأل مثل هذه الجارية بمثل هذا السؤال وبهذه العبارة ولذلك لما أشارت إلى السماء قال فيها: إنها مؤمنة. يعني: مصدقة بوجود الله، ولم يقل إنها عالمة لأنها صدقت قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الأنعام: ٣] ولو كانت عالمة لم تقيده بالسماء، فعلم أن للعالم أن يصحب الجاهل في جهله تنزلاً لعقله والجاهل لا يقدر على صحبة العالم بغير تنزل. قال: وإيضاح ما قررناه في الأينية أن الشرائع كلها إنما نزلت بحسب ما وقع عليه التواطؤ في ألسنة الأمم قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]. ثم إن التواطؤ قد يكون على صورة ما هي الحقائق عليه وقد لا يكون والحق تعالى تابع لهم في ذلك ليفهم عنه ما أنزله من أحكامه وما وعد به وأوعد عليه فما جاء الشارع بلفظ الأينية في حق الحق إلا من أجل التواطؤ الذي عليه بلسان المرسل إليهم، قال: ولو أن غير

الرسول قالها لشهد الدليل العقلي بجهل القائل فإنه لا أينية لله تعالى فلما قالها الرسول وبانت حكمته وعلمه علمنا أنه تنزل للجارية والله أعلم.

وقال في الباب الثامن والثمانين وثلاثمائة في قوله ﷺ: «جعلت قرة عيني في الصلاة»: ليس المراد به المناجاة وإنما المراد به شهود من ناجاه فيها قال: ولهذا قال ﷺ: «إن الله في قبلة أحدكم»، وقال: «اعبد الله كأنك تراه» خطاباً لمن ليس في مقامه ﷺ، فإنه ﷺ كان يراه في عبادته ما كان كأنه يراه. وأطال في ذلك.

وقال في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]: سألت شيخنا عن هذه الزيادة فقال: ما لا يخطر بالبال وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ﴾ [السجدة: ١٧] فنكر ونفى العلم بما أخفى لهم من قرة أعين، فعلمنا على الإجمال أنه أمر مشاهد لكونه قرنه بالأعين ولم يقرنه بالأذن ولا بشيء من الإدراكات وفي الحديث: «إن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر». فلا بد أن يكون غير معلوم للبشر ولا بد أن يكون للبشر صفة غير معلومة ولا معينة ليحصل لذلك الشخص الجزاء الذي لم يخطر على قلب بشر موازنة مجهول لمجهول. وقال: كل عمل لم يظهر له الشارع تعليلاً من جهته فهو تعبد محض، والعبادة مع عدم معرفة العلة أظهر من العمل المعلل فإن العمل إذا علل ربما يكون الباعث للعبد على ذلك العمل حكمة تلك العلة وإذا لم يعلل لم يقمه إلى ذلك العمل لا العبادة المحضة امتثالاً لأمر الله لا غير. وقال: ثم مقام للأنبياء يطلب منهم أن يطلبوا رؤية الحق تعالى ولذلك طلب موسى الرؤية وأطال في ذلك والله أعلم.

وقال في الباب التاسع والثمانين وثلاثمائة: من أراد فهم المعاني الغامضة في الشريعة فليتعمل في تكثير النوافل في الفرائض، وإن أمكنه أن يكثر من نوافل النكاح فهو أولى إذ هو أعظم نوافل الخيرات فائدة لما فيه من الازدواج والإنتاج فيجمع بين المعقول والمحسوس فلا يفوته شيء من العلم الصادر عن الاسم الظاهر والباطن فيكون اشتغاله بمثل هذه النافلة أتم وأقرب لتحصيل ما يرومه فإنه إذا فعل ذلك أحبه الحق وإذا أحبه صار من أهل الله

كأهل القرآن وإذا صار من أهل القرآن كان محلاً لإلقائه، وعرشاً لاستوائه وسماءً لنزوله، وكرسياً لأمره ونهيه، فيظهر له منه ما لم يره فيه مع كونه كان فيه. وأطال في ذلك.

وقال في قوله تعالى: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: ١٨]: اعلم أن الأنبياء لا تنهزم ولا تقتل في مصاف وقد وصف الحق رسول الله ﷺ، بالانهزام وقول الله صدق لكن لم يكن توليه لرؤية أجسامهم لأنهم أناس مثله وإنما توليه من شهود أمر يهوله مما قام بهم. قال: وقد رأيناهم في سياحتنا وما ملئنا منهم رعباً لأنا ما شهدنا منهم إلا صور أجسامهم فرأيناهم أمثالنا مع أنه ﷺ، رأى ليلة الإسراء أموراً مهولة، ولم يتأثر مثل ما كان يتأثر لو اطلع على أهل الكهف وروى البيهقي أن رسول الله ﷺ، قال: «لما تدلى لنا الرفرف ليلة عرج بي غشي على جبريل ولم يغش عليّ من ذلك فعلمت فضل جبريل عليّ في العلم بذلك». قال: وهنا نكتة وهي أن الله تعالى ما ذكر إلا رؤية عينهم بذكر الاطلاع عليهم فهم أسفل منه بالمقام ومع ذلك خاف أن يلحق بهم فينزل عن مقامه فامتلأ بذلك رعباً لئلا يؤثروا فيه تأثير الأدنى في الأعلى الرضا عنه والسخط عليه، فلذلك كان حقيقاً أن يولي منهم فراراً كما يفر الإنسان من الوقوف على مهواة خوف السقوط. وأطال في ذلك فراجعه.

وقال في الباب التسعين وثلاثمائة: لقد طفت بالكعبة مع قوم لا أعرفهم فأنشدوني بيتين حفظت واحداً ونسيت الآخر:

لقد طفنا كما طفتم سنينا ... بهذا البيت طراً أجمعينا

وقال لي واحد منهم: أما تعرفني؟ فقلت: لا. قال: أنا من أجدادك الأول. قلت له: كم لك منذ مت؟ قال لي: بضعة وأربعين ألف سنة فقلت له: ليس لآدم عليه السلام هذا القدر من السنين، فقال لي: عن أي آدم تقول؟ عن هذا الأقرب إليك، أو عن غيره؟ فتذكرت حديثاً روي عن رسول الله ﷺ: «إن الله قد خلق مائة ألف آدم». فقلت: قد يكون ذلك الجد الذي نسبني إليه من أولئك والتاريخ في ذلك مجهولٌ مع حدوث العالم بلا شك فإن العالم لا يصح له مرتبة الأولية لأنه مفعول الله تعالى.

وقال في الباب الأحد والتسعين وثلاثمائة في قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ﴾ [الأنفال: ١٧]: اعلم أن في هذه الآية إثبات القتل والرمي لمن نفاه عنه ثم إنه لم يثبت على الإثبات بل أعقب الإثبات نفياً كما أعقب النفي إثباتاً بقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ﴾ [الأنفال: ١٧] وبقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ﴾ [الأنفال: ١٧] فما أسرع ما نفى وما أسرع ما أثبت لعين واحدة، قال: وإيضاح ذلك أن الله تعالى قال: ﴿فَاقْتُلُوهُمْ ۗ﴾ [البقرة: ١٩١] فأظهر أمراً وآمراً ومأموراً في هذا الخطاب فلما وقع الامتثال وظهر القتل بالفعل من أعيان المحدثات؛ قال: ما أنتم الذين قتلتموهم بل أنا قتلتهم فأنتم لنا بمنزلة السيف لكم أو أي آلة كانت للقتل فكما أن القتل وقع في المقتول بالآلة ولم يقل فيها: إنها القاتلة من الضارب هو القاتل كذلك الضارب بالنسبة إلينا ليس هو القاتل بل هو مثل السيف بالنسبة إليه هو فافهم.

وقال في الباب الثاني والتسعين وثلاثمائة في قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ﴾ [الشورى: ٤٠] الآية: اعلم أن كل من غضب من العالم وانتقم فقد رحم نفسه بذلك الانتقام لكونه شفاء له مما يجده من ألم الغضب وصدقة الإنسان على نفسه من أفضل الصدقات، ثم إذا رحم نفسه وزال الغضب لا بد أن تعقبه الرحمة وهو الندم الذي يجده الإنسان في نفسه إذا عاقب أحداً ويقول: لو شاء الله كان العفو عنه أحسن لا بد أن يقول ذلك إما دنيا أو أخرى يعني: في انتقامه لنفسه لئلا يتخيل أن إقامة الحدود من هذا القبيل فإن إقامة الحدود شرع من عند الله ما للإنسان فيها تعمل. وأطال في ذلك، ثم قال: واعلم أنه لم يأت في القرآن قط أن الله خير الآخذين ولا خير الباطشين ولا المعذبين ولا المنتقمين وإنما جاء خير الراحمين خير الفاصلين، خير الشاكرين، خير الغافرين. وأما خير الماكرين فلحكمة لا ينبغي أن تذكر إلا بين أهل الله تعالى، فتأمل ما تحته.

وقال في الباب الثالث والتسعين وثلاثمائة في قول الله تعالى ﴿وَإِنَّ مِنْهَا﴾ [البقرة: ٧٤]، أي: الحجارة ﴿لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ٧٤]: هذا دليل سمعي شهد للحجارة بالخشية ولا يخشى إلا حي دراك. قال: وقد

أخذ الله بأبصار الإنس والجان عن إدراك حياة الجماد إلا من شاء الله تعالى كنحن وأضرابنا، فإنا لا نحتاج إلى دليل في ذلك لكون الحق تعالى قد كشف لنا عن حياتها عيناً وأسمعنا تسبيحها ونطقها. قال: وكذلك اندكاك الجبل لما وقع التجلي إنما كان ذلك منه لمعرفته بعظمة الله عز وجل فلولاه ما عنده من العظمة لما تدكدك لأن الذوات لا تؤثر في أمثالها ذلك وإنما يؤثر في الأشياء معرفتها بقدر من تجلّى لها ومنزلته لا غير فالعلم بالمنزلة هو الذي أثر لا الذات التي لها المنزلة الكامنة فيها. قال: وانظر الملك إذا دخل السوق في صورة العامة ومشى بينهم وهم لا يعرفون أنه الملك كيف لا يقوم له وزن في نفوسهم ثم إذا لقيه في تلك الحالة من يعرفه قامت بنفسه عظمته وقدره وأثر فيه علمه فاحترمه وتأدب وخضع له فإذا رأى الناس الذين يعرفون قرب ذلك الخاضع من الملك وأن منزلته تعطي أنه لا يظهر منه مثل هذا الفعل إلا مع الملك حارت إليه أبصارهم، وخشعت له أصواتهم، وأوسعوا له وتبادروا لرؤيته واحترامه فهل أثر فيهم إلا ما قام بهم من العلم فما احترموه حينئذ لصورته لأنها كانت مشهودة لهم حين لم يعلموا أنه الملك فإن كونه ملكاً ليس هو عين صورته وإنما هي رتبة نسبة أعطته التحكم في العالم الذي تحت بيعته فتأمل ذلك فإنه نفيس.

وقال في الباب السادس والتسعين وثلاثمائة: مراد الحق تعالى من عباده بجميع ما خلق وأنزل من العلوم أن يجمعهم بذلك عليه ومن أتعب نفسه في جميع العلوم من غير أن ينظر في دلالتها على الحق تعالى فإنه المقصود الأعظم، وحجب عن موضع الدلالة التي فيها على الحق حتى علوم الحساب والهندسة والمنطق ونحوها فما منها علم إلا وهو طريق للعلم بالله تعالى، ولكن أكثر الناس لا ينظر فيه من حيث ذلك الوجه الدال على الله فوقع الذم من العارفين على أصحاب هذه العلوم حيث حجبتهم عما فيها من الدلالة. وأطال في ذلك.

وقال في الباب السابع والتسعين وثلاثمائة: إنما ظهر الشيخ عبد القادر الجيلي بالتصريف في الوجود والتأثير والدعاوى العريضة لأن مشهده من الحق تعالى كان حضرة الاسم الظاهر فأعطاه مقام الصولة والهمة والشطح

وإظهار العلو على أمثاله وأشكاله، بل على من هو أعلى منه في مقامه؛ قال: وهذا المقام وإن كان رفيعاً فثم ما هو أرفع منه وهو مقام الأدب وإظهار الذل والمسكنة؛ قال: ومن شطح على أحكام الله أكثر أدباً ممن شطح على عباد الله لأن الله تعالى يقبل الشطح لوسعه بخلاف المخلوق لضيقه؛ قال: وثم أقوام يشطحون على أهل الله من شهود في حضرة خيالية فهؤلاء لا كلام لنا معهم لأنهم مطرودون عن باب الله وعلامتهم أنهم لا يرفعون بالأحكام الشرعية رأساً ولا يقفون عند حدود الله تعالى مع وجود عقل التكليف عندهم. وأطال في ذلك.

وقال في الباب الثامن والتسعين وثلاثمائة، في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ [سبأ: ٤٦]: الواحدة أن يقوم الواعظ من أجل الله إما غيرة وإما تعظيماً وقوله: مثنى أي: بالله ورسوله فإنه من أطاع الرسول فقد أطاع الله فيقوم صاحب هذا المقام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لا عن هوى نفس ولا تعظيم كوني ولا غيرة نفسية وقوله: فرادى أي: بالله خاصة أو برسوله خاصة.

وقال: لا يجوز لأحد المبادرة إلى الإنكار إذا رأى رجلاً ينظر إلى امرأة في الطريق مثلاً فربما يكون قاصداً خطبتها أو طبيباً فلا ينبغي المبادرة للإنكار إلا فيما لا يتطرق إليه احتمال. قال: وهذا يغلط فيه كثير من المتدينين لا من أصحاب الدين لأن صاحب الدين أول ما يحتاط على نفسه ولا سيما في الإنكار خاصة وقد ندبنا الحق تعالى إلى حسن الظن بالناس لا إلى سوء الظن بهم، فصاحب الدين لا ينكر قط مع الظن لأنه يعلم أن بعض الظن إثم ويقول: لعل هذا من ذلك البعض وإثمه أن ينطق به وإن وافق العلم في نفس الأمر، وذلك أنه ظن وما علم فنطق فيه بأمرٍ محتمل وما كان له ذلك. قال: ومعلوم أن سوء الظن بنفس الإنسان أولى من سوء ظنه بالغير وذلك لأنه من نفسه على بصيرة وليس هو من غيره على بصيرة فلا يقال في حقه: إن فلاناً أساء الظن بنفسه لأنه عالم بنفسه وإنما عبرنا بسوء الظن بنفسه اتباعاً لتعبيرنا بسوء ظنه بغيره فهو من تناسب الكلام. قال: وإلى الآن ما رأيت أحداً من العلماء استبرأ لدينه هذا الاستبراء فالحمد لله الذي وفقنا

لاستعماله.

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥] يعني: في حق راكب البحر إذا اشتد عليه الريح ويرد فيما في ذلك من النعمة يطلب منه الشكر وبما في ذلك من الشدة والخوف يطلب منه الصبر قال: ومما يغفل عنه كثيرٌ من الناس عدم شهودهم ما في النعم من البلايا وما في البلايا من النعم وذلك أنه ما من نعمة ينعمها الله على عباده إلا وهي محتفة ببلاء وذلك أن الله يطالبه بالقيام بحقها من الشكر عليها وإضافتها إلى من يستحقها بالإيجاد وصرفها في الموضع الذي أمره الحق أن يصرفها فيه ومن كان مكلفاً بفعل هذه الأمور متى يتفرغ للالتذاذ بها حتى تكون في حقه نعمة خالصة وكذلك القول في البلايا والرزايا هي في نفسها مصائب وبلايا وهي محتفة ببلاء يطلب الصبر عليها ورجوعه إلى الحق في رفعها عنه ووجوب تلقيها بالرضا أو بالصبر الذي هو حبس النفس عن الشكوى لغير الله مطلقاً ووجه النعمة في المصائب ما فيها من الأجر في الآخرة وتوضع النفس في الدنيا للخاص والعام، فإن البلايا تذل نفوس الجبابرة.

وقال في الباب السادس عشر وأربعمائة: اعلم أن كل من تكلف دليلاً على كون الصفات الإلٰهية عيناً أو غيراً فدليله مدخول هكذا كان شيخنا أبو عبد الله الكناني إمام المتكلمين بالمغرب يقول.

وقال في الباب السابع عشر وأربعمائة في قوله تعالى في نوح عليه السلام: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [يونس: ٧٢]: إنما كان أجرهم على الله لأنه تعالى هو الذي استخدمهم في التبليغ، وأطال في ذلك ثم قال: ولا يخفى أن أجر كل نبي في التبليغ يكون على قدر ما ناله من المشقة الحاصلة من المخالفين له وعلى قدر ما يقاسيه منهم ولا يعلم ذلك إلا الله، فصح طلب الأجر المجهول عند الرسول من الله لأن الله تعالى يعلمه بخلاف طلب الأجر المجهول من الخلق لا بد من تقديره قبل الطلب. قال: فكل من يرد رسالة نبي ولم يؤمن بها أصلاً فإن لذلك النبي أجر المصيبة وللمصاب أجرٌ على الله بعدد من رد رسالته من أمته بلغوا ما بلغوا، فله أجر الهداية وأجر المصيبة وعلى هذا فلا يكون أحد أكثر أجراً من نبينا محمد ﷺ، فإنه لم يتفق لنبي

من الأنبياء ما اتفق له ﷺ، في كثرة طائعي أمته إجابته ولا في كثرة عصاة أمته دعوته خارجين عن الإجابة. وأطال في ذلك.

وقال في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]: المراد بالإصلاح هنا أن يحسن إلى من كان أساء عليه زيادة على العفو عنه ولو علم الناس قدر أجرهم عند الله إذا عفوا ما جازى أحدٌ أحداً بإساءة وما كان في العالم إلا عفواً مصلحاً ولكن الحجب التي على أعين بصائر غالب الناس كثيفة وليست سوى الأغراض واستعجال التشفي والمؤاخذة، ومن أحسن إلى من أساء إليه فقد أزال ما قام به من الموجب للإساءة ولا شك أن ذلك محبوبٌ والله يحب المحسنين ولو لم يكن في إحسانه المعبر عنه بإصلاح سوى حصول حب الله له الذي لا يعدله شيء لكان فيه كفاية في الترغيب فيه لكنه شديد ما كل أحد يقدر على فعله كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ [فصلت: ٣٥]، أي: حبسوا نفوسهم عن مجازاة المسيء بإساءته إساءة. وأطال في ذلك، ثم قال: واعلم أن الملائكة الكتاب لا يكتبون على العبد من أفعال السوء إلا ما يتكلم به وهو قوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]. وهو الكاتب فهم وإن كانوا يعلمون ما يفعلون لا يكتبونه.

قلت: يرد على كلامه رضي الله تعالى عنه، قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]. إلا أن يكون الشيخ حمل الاستنساخ على خلاف الكتابة والله أعلم. انتهى فليتأمل ويحرر.

وقال في الباب الثامن عشر وأربعمائة، في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾ [فصلت: ٥] وفي قوله: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ [المطففين: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤] ونحو ذلك: اعلم أن المراد بالكن أن يكون العبد في بيت الطبيعة مشغولاً بأمه ما عنده خبر من أبيه الذي هو الروح فلا يزال هذا في ظلمة الكن وهو حجاب الطبيعة المشار إليه بقوله: ﴿وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت: ٥]. ومن كان في حجاب كن وظلمة فلا يسمع كلام دعاة الشرع ولا يفهم، وأما الوقر فهو ثقل الأسباب الدنياوية التي تصرفه عن الاشتغال بما ينفعه في

الآخرة، وأما الران فهو صدأ أو طخاء في مرآة القلب يحدث من النظر ما لم يأمره الله بالنظر إليه، وجلاؤه يكون بذكر الله وتلاوة كلامه وأما القفل فهو لأهل الاعتذار يوم القيامة من الموحدين فإنهم يقولون: ربنا إننا لم نقفل على قلوبنا وإنما وجدناها مقفلاً عليها ولم نعرف من قفلها فرمنا الخروج فخفنا من فك الختم والطبع فبقينا ننتظر الذي قفل عليها عسى يكون هو الذي يتولى فتحها فلم يكن بأيدينا من ذلك شيء. قال: وكان عمر بن الخطاب وأضرابه ممن أسلم من الصحابة من أهل تلك الأقفال فلما تولى الله فتحه وأسلم شيد الله به الإسلام وعضده رضي الله عنه.

وقال: من أوتي الفهم في القرآن فقد أوتي الحكمة ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً إنما كثرها لما فيها من الوجوه؛ قال: وإيضاح ذلك أن الفهم في الكلام على قسمين: قسم مكتسب من مادة وقسم مكتسب من غير مادة فالذي يكتسب من غير مادة لا يقال فيه فهم، وإنما يقال فيه علم. وأما المكتسب من المادة فهو الذي يقال فيه فهم وهو تعلق خاصّ في العلم، فإذا علم السامع اللفظة من اللافظ بها أو رأى الكتابة ففيه تفصيل فإن علم مراد المتكلم من تلك الكلمة مع تضمنها في الاصطلاح معاني كثيرة خلاف مراد المتكلم بها فهو الفهم وإن لم يعلم مراد المتكلم من تلك الكلمة على التفصيل واحتمل عنده فيها وجوه كثيرة مما تدل عليه الكلمة ولا علم مراد المتكلم من تلك الوجوه هل أرادها كلها أو أراد بعضها فمثل هذا لا يقال فيه: إنه أعطي الفهم في القرآن وإنما أعطي العلم بمدلولات تلك الألفاظ بالاصطلاح الذي عرفه وأطال في ذلك .ثم قال: واعلم أن كلام الله تعالى قد أنزل بلسان العرب فإذا اختلفوا في الفهم عن الله ماذا أراد بكلامه مع اختلاف مدلولات تلك الكلمة أو الكلمات كان كلام الله يقبل جميع الوجوه التي فهموها، وذلك لأن الله تعالى عالم بجميع تلك الوجوه فما من وجه منها إلا وهو مقصود لله تعالى من تلك الكلمة بالنظر إلى من يفهم منه ذلك الوجه المقصود ومقصود أيضاً لذلك الشخص المتكلم ما لم يخرج عن اللسان فإن خرج عن لسان العرب فلا فهم، ولا علم. قال: وليس هذا الحكم الذي قررناه لكلام أحد من المخلوقين فقد يكون بعض الوجوه غير

مقصود لصاحب ذلك الكلام فليتأمل ويحرر والله تعالى أعلم.

وقال في الباب التاسع عشر وأربعمائة في قوله ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بي»: اعلم أن من التوفيقات الإلٰهية المبشرات وهي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له، قال: وله العمل بما فيها من الحكم في حق نفسه فقط بشرط أن يرى رسول الله ﷺ على الصورة المجسدة التي كان عليها في دار الدنيا كما نقل إليه من الوجه الذي صح عنده حتى أنه يرى رسول الله ﷺ مكسور الثنية العليا فإن لم يره بهذه العلامة فما هو ذاك وإن تحقق أنه رأى رسول الله ﷺ في رؤيا لكن رآه شخصاً أو شاباً مغايراً للصورة التي كان عليها في الدنيا، ومات عليها أو رآه في حسن أزيد مما وصف له أو في أقبح صورة أو وقع منه سوء أدب مع رسول الله ﷺ، فذلك راجع إلى الرائي، لا إليه ﷺ، فلا يجوز له الحكم بصحة ما رآه ولا يجوز له العمل بما أخبره به لا سيما إن خالف نصاً صريحاً في الشريعة أو اقتضى نسخ حكم ثابت ونحو ذلك. قال: وقد رأيناه على الصورة التي كان عليها وسألناه عن عدة أحاديث قيل بضعفها فأخبرنا ﷺ بصحتها فعلمنا بها، وقد ذكر الإمام مسلم في صدر كتابه عن شخصٍ أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام فعرض عليه ألف حديث كان في ذهنه أنها صحيحة فأثبت له ﷺ من الألف ستة أحاديث وأنكر ﷺ ما بقي، فعلم أن من رآه ﷺ في المنام فقد رآه في اليقظة ما لم تتغير عليه الصورة فإن الشيطان لا يتمثل على صورته أصلاً، فهو معصوم الصورة حياً وميتاً فمن رآه فقد رآه في أي صورة لكن منها ما هو أوضح. وقد تقدم الكلام على الرؤيا في الباب الثامن والثمانين ومائة فراجعه.

قلت: وكان شيخنا سيدي محمد المغربي الشاذلي رحمه الله يقول في رؤية النبيّ ﷺ يقظة كما يقول به بعضهم: المراد باليقظة هنا يقظة القلب لا يقظة الحواس الجسمانية وذلك لأن من بالغ في كمال الاستعداد والتقرب صار محبوباً للحق وإذا أحبه كان نومه من كثرة اليقظة القلبية كحالة اليقظة لغيره قال: وحينئذ فما رآه ﷺ إلا بروحه المتشكلة بشكل الأشباح من غير انتقال ذاته الشريفة ومجيئها من البرزخ إلى مكان هذا الرائي لكرامتها وتنزيهها

عن كلفة المجيء والرواح هذا هو الحق الصراح انتهى والله أعلم.

وقال في الباب الحادي والعشرين وأربعمائة في قوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]: يعني من كل عين من أعين الوجوه وأعين القلوب، فإن القلوب ما ترى إلا بالبصر وأعين الوجوه لا ترى إلا بالبصر، فالبصر حيث كان هو الذي يقع به الإدراك لكن يسمى البصر في العقل عين البصيرة ويسمى في الظاهر بصر العين إذ العين في الظاهر محل البصر كما أن البصيرة في الباطن محل لبصر العين التي في الوجه فاختلف الاسم عليه وما اختلف هو في نفسه فكما لا تدركه العيون بأبصارها كذلك لا تدركه البصائر بأعينها.

قلت: وقد أخبروا سيدي الشيخ عبد القادر الجيلي رضي الله عنه، أن شخصاً يزعم أنه رأى ربه بعين بصره، فقال: هذا شخص ملبس عليه وهو أنه خرق من عين بصيرته خرقٌ إلى باصر عين وجهه، فرأى ربه حينئذ فظن أنه رآه بعين بصره انتهى. ففي هذه الحكاية إشارة إلى صحة الرؤية بالبصيرة في دار الدنيا فليتأمل مع كلام الشيخ محيي الدين فإني حاولت جمعاً فلم يحصل لي سوى أن المتفق عليه جواز الرؤية بنفس البصيرة لا بعين البصيرة ولا بعين الوجه، ولا بعين القلب، فتكون البصيرة على هذا قدراً زائداً عن الجميع وفي الجميع إنما يتأتى إذا قرنا الكلام على رؤيته تعالى في دار الدنيا ولغيره ﷺ، أما رؤيته في الآخرة ورؤيته في الدنيا لرسول الله ﷺ، فنؤمن بأن ذاك بعين الرأس قطعاً والله أعلم.

وقال في الباب الثاني والعشرين وأربعمائة: قد عفا الله عن جميع الخواطر التي لا تستقر عندنا إلا بمكة كما مر إيضاحه في الباب التاسع والستين وثلاثمائة.

وقال في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠﴾ [القارعة: ٦ ـ ١٠]: اعلم أن الميزان يوم القيامة يظهر بصورة نشأة الخلق من الثقل لأنهم إنما يحشرون وينشرون في الأجسام الطبيعية فمن

ثقلت موازينه فهو السعيد فإن الحسنة بعشر أمثالها إلى مائة ألف فما فوق ذلك، وقد فعل هذا حسناً في ظاهر بدنه وأراد حسناً في باطنه وأما الذي خفت موازينه وهو الشقي فلأنه فعل سيئاً والسيئة بواحدة فخفت موازينه بالنسبة إلى ثقل ميزان السعيد قال: ولم يعتبر الحق تعالى في الوزن إلا كفة الخير لا كفة الشر، فهي الثقيلة في حق السعيد الخفيفة في حق الشقي، مع كون السيئة غير مضاعفة ومع هذا فقد خفت كفة خيره، فالكفة الثقيلة للسعيد هي بعينها الخفيفة للشقي لقلة ما فيها من الخير أو عدمه بالكلية مثل الذي يخرجه الله من النار وما عمل خيراً قط، فميزان هذا ليس في كفة اليمين منه شيء أصلاً وليس عنده إلا ما في قلبه من التوحيد الحاصل من العلم الضروري وليس له في ذلك تعمل مثل سائر الضروريات فلو اعتبر الحق في الثقل والخفة الكفتين معاً كفة الخير وكفة الشر لكان يزيد بياناً في ذلك، فإن إحدى الكفتين إذا ثقلت خفت الأخرى بلا شك خيراً كان أو شراً، هذا حكم وزن الخير والشر، وأما إذا وقع الوزن للعبد فيكون هو في إحدى الكفتين وعمله في الأخرى فذلك وزن آخر فمن ثقل ميزانه نزل عمله إلى أسفل وذلك لأن الأعمال في الدنيا من مشاق النفوس والمشاق محلها النار فتنزل كفة عمله تطلب النار وترتفع الكفة التي هو فيها لخفتها فيدخل الجنة لأنها العلو والشقي تثقل كفة الميزان التي هو فيها وتخف كفة عمله فيهوي في النار وهو قوله: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٩] . فكفة ميزان العمل هي المعتبرة في هذا النوع من الوزن الموصوفة بالثقل في السعيد لرفعه صاحبها والموصوفة بالخفة في حق الشقي لثقل صاحبها وهو قوله: يحملون أوزارهم على ظهورهم، وليس إلا ما تعطيهم من الثقل الذي يهوون به في نار جهنم. وحاصل ذلك أن وزن الأعمال بعضها ببعض يعتبر فيه كفة الحسنات ووزن الأعمال بعاملها يعتبر فيه كفة العمل. انتهى فليتأمل ويحرر.

وقال في الباب الرابع والعشرين وأربعمائة: العبد المسلم محبٌّ لله ومحبوب لله ولكن الابتلاء لا يكون إلا من وجه كونه محباً لله لا من وجه كونه محبوباً وذلك ليظهر بالابتلاء الصادق في المحبة من الكاذب وأطال في ذلك، ولا يرد على الشيخ قوله ﷺ: «إذا أحب الله عبداً ابتلاه»، لأنا نقول:

محبة العبد لله عزّ وجلّ من لازم محبة الله العبد وحيث كان ذلك فقد صح كلام الشيخ.

وقال في الباب الرابع والثلاثين وأربعمائة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣]: ففيه نفي تعلق العلم لا نفي العلم مع أن نفي العلم علم لمن فهم.

وقال في الباب الخامس والثلاثين وأربعمائة في حديث: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير»: إنما عوقب هذا بالكفارة لأن فيه حثاً على فعل مكارم الأخلاق واليمين على ترك فعل الخير من مذام الأخلاق فعوقب بالكفارة وفي هذا إشارة إلى أن لنا إخلاف الوعيد إذا لم يكن حداً مشروعاً وكان لنا الخيار فيه وعلمنا أن تركه أولى من فعله عند الله قلنا أن لا نفي به وأن نتصف بالخلف فيه. وأطال في ذلك، ثم قال: وهنا دقيقة وهو أن من أساء إلينا قد أعطانا من خير الآخرة ما نحن محتاجون إليه حتى لو كشف الغطاء لقلنا: إنه لم يحسن إلينا أحد مثل ما أحسن إلينا ذلك المسيء ومن كان هذا مشهده فلا ينبغي أن يكون جزاء المسيء إليه الحرمان بل يعفو عنه ولا يجازيه ويكفيه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]. أو يحسن إليه بما عنده من الفضل على قدر ما تسمح به نفسه كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾ [النور: ٢٢] الآية. فتأمل ذلك والله أعلم.

وقال في الباب السادس والثلاثين وأربعمائة: للعبد أن يدعو على من آذاه بحصول العقوبات والأنكاد والموت بقصد أن لا يريد التشفي فيه وإنما يكون ذلك خوفاً عليه أن يزداد طغياناً وكفراً فيزداد من الله مقتاً ولكن الدعاء لمن آذاه بالإصلاح أولى من أن يدعو عليه بالهلاك والله سبحانه وتعالى أعلم.

وقال في الباب الثامن والثلاثين وأربعمائة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ﴾ [البقرة: ٢٤٨] الآية: كانت السكينة في بني إسرائيل خارجة عنهم وجعلها الله في هذه الأمة

في قلوبهم فلم تكن في قلوب بني إسرائيل والسكينة هي الطمأنينة كما قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]. فعلوم هذه الأمة كلها وأسرارهم في قلوبهم لا يكاد يظهر للناس منه إلا ما كان فيه إقامة حجة أو فتح باب للاتباع والاقتداء ولذلك كان الناس ينكرون على أهل الله كل ما لم يظهر عليهم فيه أثر، وتأمل قصة الإسراء لما خرج ﷺ بكرة تلك الليلة، وذكر لأصحابه ما وقع له في تلك الليلة كيف أنكر عليه بعضهم لكونهم لم يروا لذلك أثراً في الظاهر وموسى عليه السلام، لما جاء من عند ربه كساه نوراً على وجهه يعرف الناس به صدق ما ادعاه فما رآه أحد إلا عمي فكان يمسح الرائي إليه وجهه بثوب مما عليه فيرد الله عليه بصره من شدة نوره، ولذلك كان يتبرقع حتى لا يتأذى بذلك الرائي له عند رؤية وجهه. قال الشيخ: وكان شيخنا أبو يعزى بالمغرب موسوي المقام فكان لا يرى أحد وجهه إلا عمي وممن رآه شيخنا أبو مدين فعمي فمسح أبو مدين عينيه بالثوب الذي على أبي يعزى فرد الله عليه بصره، قال: وكان أبو يعزى في زماني وما اجتمعت به لما كنت عليه من الشغل. وأطال في ذلك، ثم قال: فمن جعل الله نوره في قلبه فقد ملأ يديه من الخير فتأمل والله أعلم.

وقال في الباب التاسع والثلاثين وأربعمائة: ما تولى الله عز وجل عبداً من عبيده إلا وأسمعه كلامه من قلبه نثراً ونظماً كما أشار إليه قوله ﷺ لحسان لما أراد أن يهجو قريشاً نصرة لرسول الله ﷺ: «قل يا حسان فإن روح القدس يؤيدك ما دمت تنافح عن رسول الله ﷺ» فلم يجعل ﷺ للشيطان على حسان سبيلاً وأطال في ذلك.

وقال: نشأة الآخرة تشبه في بعض الأحكام النشأة البرزخية فترى نفسها وهي واحدة في صور كثيرة وفي أماكن مختلفة في الآن الواحد فيدخل الإنسان من أبواب الجنة الثمانية في آن واحد من غير تقدم ولا تأخر ويجد الإنسان نفسه داخلاً من كل باب كما قال أبو بكر: فما على من يدخل منها كلها يا رسول الله بأس، الحديث قال: ولذلك يطلب الناس رسول الله ﷺ في مواطن القيامة، فيجدونه من حيث طلبهم في كل موطن يقتضيه ذلك الطلب في الوقت الذي يجده الطالب الآخر فيه وأطال في ذلك.

وقال في الباب الحادي والأربعين وأربعمائة: اعلم أن العلم والمعرفة والفهم في الاصطلاح بمعنىً واحد لكن بينهما تميز معقول في الدلالة كالتميز الواقع في ألفاظهم فيقال في الحق: إنه عالم ولا يقال فيه: عارف ولا فهيم ويقال هذه الثلاثة ألقاب في الإنسان، قال: ولما أثنى تعالى على من اختصه من عباده بالعلم أكثر مما أثنى به على من أعطاه المعرفة علمنا أن اختصاصه بمن شاركه في الصفة أعظم عنده وأطال في ذلك.

وقال في الباب الثالث والأربعين وأربعمائة في قول الصديق رضي الله عنه «ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله»: أثبت رضي الله عنه أنه يرى انفعال الأكوان عن الحق وحده ليس للكون فيه أثر البتة وليس هذا المشهد لغير مقام الصديق فافهم.

وقال في الباب الثامن والأربعين وأربعمائة، في قول موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣] إلى قوله: ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]: اعلم أن مراده بقوله: تبت إليك أي: لا أطلب رؤيتك على الوجه الذي كنت طلبتها أولاً فإني علمت عند تدكدك الجبل ما لم أكن أعلمه منك يا رب وأنا أول المؤمنين أي: بقولك: لن تراني لأنك ما قلت ذلك إلا لي وهو خبر فلذلك ألحقه بالإيمان لا بالعلم، ولولا أن المراد بالإيمان الإيمان بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ما صحت الأولية فإن المؤمنين كانوا قبله ولكن بهذه الكلمة لم يكن مؤمن. وأطال في ذلك والله أعلم.

وقال في الباب السادس والخمسين وأربعمائة: لا ينبغي للأشياخ أن يسلموا للمريد حركة الوجد الذي يبقى معه الإحسان بمن في المجلس ولا تسلم له حركته إلا إن غاب ومهما أحسن بمن في المجلس تعين عليه أن يجلس إلا أن يعرف الحاضرين أنه متواجد لا صاحب وجد فيسلم له ذلك على أن هذه الحالة غير محمودة بالنظر إلى ما فوقها.

وقال في الباب الموفي ستين وأربعمائة في حديث مسلم في تجلي الحق يوم القيامة في الصور حين يقع الإنكار من قوم: اعلم أن صاحب مقام الإحسان هو الذي لا ينكره تعالى في تجلٍّ من التجليات لأنه جاوز مقام

الإسلام والإيمان وصاحب مقام الإيمان ينكره في تجليه في مقام الإحسان وصاحب مقام الإسلام ينكره في تجلي مقام الإيمان والإحسان، فإن كل إنسان إنما ينكر ما لم يذقه في دار الدنيا ولا يخفى أن الإسلام عمل والإيمان تصديق والإحسان رؤية أو كالرؤية فشرط الإسلام الانقياد وشرط الإيمان الاعتقاد وشرط الإحسان الإشهاد.

قلت: رأيت في كلام سيدي علي بن وفا رضي الله تعالى عنه، أن وراء مقام الإحسان مقام الإيقان، ولم أر ذلك في كلام أحد غيره والله أعلم.

وقال في الباب الثاني والستين وأربعمائة: اعلم أنه لا ذوق لنا في مقامات الرسل لنتكلم عليها وإنما غاية ذوقنا في الوراثة خاصة. فلا يتكلم في الرسل إلا رسول، ولا في الأنبياء إلا نبي، ولا في الأولياء إلا ولي، هذا هو الأدب الإلٰهي.

وقال: لا بد في كل إقليم أو بلد أو قرية من ولي لله عز وجل به يحفظ الله تلك الجهة سواء كان أهل تلك الجهة مؤمنين أو كفاراً.

وقال في الباب الثالث والستين وأربعمائة: ما ورد في تفضيل بعض السور والآيات على بعض راجع إلى التالي لا إلى المتلو لأن المتلو لا تفاضل فيه لأنه كله كلام الله تعالى فالتفاضل راجع إلى ما هي الآية عليه من حيث كونها متكلماً بها لا في الكلام فليتأمل ويحرر.

وقال في قوله ﷺ: «يؤتى بشيخ يوم القيامة بين يدي الله عز وجل فيقول له: ما فعلت من الحسنات؟ فيقول: يا رب فعلت كذا وكذا والله يعلم أنه كاذب، فيأمر الله به إلى الجنة فتقول الملائكة: يا رب إنه كاذب، فيقول الله تبارك وتعالى: قد علمت ذلك ولكني استحييت منه أن أكذب شيبته»: اعلم أن في هذا الحديث حثاً لنا أن نظهر لمن كذب علينا بصورة من نصدقه من غير أن نتركه يلحق بنا فإن الشارع ما أخبرنا بذلك إلا لنكون بهذه الصفة مع الناس.

وقال: سأل بعض الأقطاب ربه عز وجل أن يعطي مقامه لولده فقال له الحق تعالى في سره: مقام الخلافة لا يكون بالوراثة إنما ذلك في العلوم أو

الأموال. وقال: وقد يفتح الله تعالى على الطالب على لسان شيخه بعلوم لم تكن عند الشيخ لحسن أدبه مع الله ومع شيخه، قال: وقد وقع لي ذلك وأفدت الطالب علوماً لم تخطر لي قط على بال قبل سؤاله.

وقال: من رأى محمداً ﷺ في اليقظة فقد رأى جميع المقربين لانطوائهم فيه ومن اهتدى بهديه فقد اهتدى بهدي جميع النبيين.

وقال: قد أجمعنا على أنه لا موجد إلا الله وأنه حكيم يضع الأمور كلها في مواضعها ومن شهد هذا علم يقيناً أن كل ما ظهر في العالم فهو حكمه وضعه في محله لكن مع هذا المشهد لا بد من الإنكار لما أنكره الشارع فإياك والغلط.

وقال: كنت من أبغض خلق الله تعالى للنساء وللجماع في أول دخولي للطريق وبقيت على ذلك نحو ثمان عشر سنة حتى خفت على نفسي المقت لمخالفة ما حبب لرسول الله ﷺ فلما أفهمني الله معنى حبب علمت أن المراد أن لا يحبهن طبعاً وإنما يحبهن بتحبيب الله عز وجل فزالت تلك الكراهة عني، وأنا الآن من أعظم الخلق شفقة على النساء لأني في ذلك على بصيرة لا عن حب طبيعي. وأطال في ذكر قوله تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ﴾ [التحريم: ٤] الآية.

قلت: وتقدم الكلام على هذه الآية أيضاً في الباب الثاني والعشرين من «الفتوحات» فراجعه تر العجب والله أعلم.

وقال: إنما نسب الحق تعالى الخلق إلى عباده في قوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] فإنه ثبت أن ثم خالقين ولكن الله تعالى أحسنهم خلقاً وذلك أنه تعالى إذا خلق شيئاً يخلقه عن شهود في علمه فيكسوه الخلق حلة الوجود بعد أن كان معدوماً في شهود الخلق بخلاف العبد إذا خلق الله على يديه شيئاً لا يخلقه إلا عن تقدم تصور أي تصور من أعيان موجودة يريد أن يخلق مثلها أو يبدع مثلها فحصل الفرق بين خلق الله وخلق العباد وأكثر من هذا لا يقال.

وقال في الباب الخامس والستين وأربعمائة: «أعل هبل، أعل هبل» هو

صنم كان يعبد في الجاهلية وهو الحجر الذي يطؤه الناس في العتبة السفلى من باب بني شيبة وهو الآن مكبوب على وجهه، ويلط الملوك فوقه البلاط.

وقال في الباب السابع والستين وأربعمائة: أعلى المحامد عندنا بلا خلاف عقلاً وشرعاً قولنا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] لأنه لا يصح أن يثنى على الله تعالى مما لا يعقله العبد فما بقي إلا أن يثني عليه بما يتعقله والحق تعالى وراء كل ثناء للعبد فيه شرف فمتى علمت شيئاً أو عقلته كان صفتك ولا بد فحقيقة التسبيح عن التسبيح مثل قولهم التوبة هي التوبة من التوبة إذ التسبيح تنزيه ومعلوم أنه لا نقص في جانب الحق. قال: وإذا كان كل شيء يسبح بحمده، فسبح بعد ذلك أو لا تسبح فإنك مسبح شئت أم أبيت علمت أو جهلت. وأطال في ذلك، ثم قال: واعلم أنا لا نحمد الله إلا بما أعلمنا أن نحمده به فإن حمده مبناه على التوقيف إذا التلفظ بالحمد على جهة القربة لا يصح إلا من جهة الشرع، ومن هنا كان لا ينبغي للعبد أن يثني على الله تعالى بخلقه المحقرات عرفاً والمستقذرات طبعاً وإن كان ذلك داخلاً في قول العبد: الحمد لله خالق كل شيء، ولكن لا ينبغي في الأدب التعيين للمحقر لئلا ينسب العبد إلى سوء العقيدة مع أن ذلك صحيح لو قاله العبد. قال: ولا أمثل به لأني أستحيي أن يقرأ في كتابي مع أني ما أرى شيئاً في الوجود حقيراً من حيث إن الله تعالى اعتنى به وأبرزه في الوجود والله أعلم.

وقال في الباب الحادي والسبعين وأربعمائة في قوله ﷺ عن الله عز وجل: «ما تقرب المتقربون إليَّ بمثل أداء ما افترضت عليهم ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه» الحديث: اعلم أن عبادة الفرض عبادة اضطرار وعبادة النفل عبادة اختيار فيها رائحة دعوى لأنها كالتواضع ومعلوم أن التواضع تعمل لا يقوم إلا ممن له سهم في الرفعة، والعبد ليس له سهم في السيادة؛ ولهذا قالوا: العبد من لا عبد له فنقص النفل عن درجة الفرض وإيضاح ذلك أن علم العبد بربه ينقص بقدر ما اعتقده من النفل بل من أول قدم يضعه في النفل يتصف بالنقص في العلم بما هو الأمر عليه، وأطال في ذلك ثم قال: فعلم أن حب الله لصاحب الفرائض أكمل من حبه لصاحب

النوافل كما أشار إليه حديث: «إذا قال العبد لأخيه أنا أحبك فأحبه الآخر فإنه لا يلحقه في درجته في الحب أبداً لأن حب الأول ابتداءً وحب الثاني جزاءً فلم يكافئه أبداً كما أن حب العناية من الله للأنبياء أعلى من حب الكرامة للأولياء».

قلت: ومن هنا كان الملامتية الذين هم أكابر القوم لا يصلون من الفرائض إلا ما لا بد منه من مؤكدات النوافل خوفاً أن يقوم بهم دعوى أنهم أتوا الفرائض على وجه الكمال الممكن وزادوا على ذلك، فإنه لا نفل إلا عن كمال فرض. ونعم ما فهموا ولكن ثم ما هو أعلى وهو أن يكثر من النوافل توطئة لمحبة الله لهم ثم يرون ذلك جبراً لبعض ما في فرائضهم من النقص والله أعلم.

وقال في الباب الثاني والسبعين وأربعمائة في قوله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٤٨] :في هذه الآية نفي للمحبة أن يكون متعلقها الجهر بالسوء من القول مع أن الجهر بالسوء قد يكون قولاً وقد يكون فعلاً فيكون المراد بهذا السوء القولي، وأما السوء الفعلي فقد وقع التصريح بالنهي عنه في آيات أخر وربما كان ذلك يؤخذ من هذه الآية بطريق الأولى والمراد بالجهرية ظهور الفحشاء من العبد كما في حديث «من بُلِيَ منكم بشيء من هذه القاذورات فليستتر» يعني لا يجهر بها وأطال في ذلك. ثم قال: فعلم أن السوء على نوعين سوء شرعي وسوء يسوؤك وإن حمده الشرع ولم يذمه فهذا السوء هو سوء من حيث كونه يسوؤك لا أن السوء فيه حكم الله كما في السيئة الثانية في قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠] فإن السيئة الأولى في الآية شرعية لأن صاحبها تعدى حدّ الله والسيئة الثانية التي هي جزاء ليست بشرعية وإنما سميت سيئة لأنها تسوء المجازى بها، فإن الله لا يشرع البداءة بالسوء ولكن لما أطلق في الاصطلاح في اللسان على السيّىء والحسن نزل الشرع من عند الله بحسب التواطؤ فإنهم سموا سوءاً وقالوا: إن ثم سوءاً فأخبرنا الله تعالى أنه لا يحب الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم أي لا يحب السوء الذي سميتموه أنتم سوءاً لكونه لا يوافق أغراضكم فما ثم إلا حسن بنسبة سيىء بالنسبة في الحقيقة ولكن كل

ما وافق الأغراض من القول فهو حسن كما أن كل شيء من الله حسن ساء ذلك أم سرّ فليتأمل ويحرر.

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم: ٢٤]: اعلم أن من الأدب أن تمشي حيث مشى بك الشرع وتقف حيث وقف بك فتعقل فيما قال لك فيه اعقل، وتؤمن فيما قال لك فيه آمن وتنظر فيما قال لك فيه: انظر يعني تفكر وتسلم فيما قال لك فيه سلم وذلك لأن الآيات وردت في القرآن متنوعة فـ﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾، و﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٩]، و﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢٣]، و﴿لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [الروم: ٢٣]، و﴿لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢]، و﴿آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾، و﴿آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠] وآيات ﴿لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ [طه: ١٢٨] و﴿لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] وآيات ﴿لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٤] ففصل كما فصل لك الحق ولا تتعد إلى غير ما ذكر لك ونزل كل آية وغيره موضعها وانظر فيمن خاطبه بها واجعل نفسك مخاطباً بها فإنك مجموع ما ذكر فإنك منعوت بالعقل والإيمان والتفكر والتقوى والعلم والسمع واللب والأبصار وغير ذلك، فانظر بنظرك في تلك الصفة الذي نعتك بها وأظهرتها تكن ممن جمع له القرآن وأعطي الفرقان.

وقال في الباب الثالث والسبعين وأربعمائة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ١١٦] اعلم أن الشريك عدم لا وجود له هذا يتيقنه المؤمن بإيمانه وإذا كان عدماً فالإشراك عدم وإذا كان الإشراك عدماً فلا يغفره الله إذ الغفر الستر ولا يستر إلا من له وجود والشريك عدم فما ثم من يستر فهي كلمة تحقيق فمعنى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ١١٦] أنه لا وجود له ولو وجده لصح وكان للمغفرة عين تتعلق بها. وأطال في ذلك.

وقال في الباب الخامس والسبعين وأربعمائة في قوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٣٦]: اعلم أن شعائر الله أعلامه، وأعلامه الدلائل عليه الموصلة إلى معرفته، ويا عجباً كيف يصل إليه من هو عنده. قال: ولما كانت البدن من شعائر الله لهذا كانت تشعر أي تجرح ليعلم

أنها من شعائر الله وما وهب لله لا رجعة فيه إلا تراها أنها إذا ماتت قبل الوصول إلى البيت الحرام كيف ينحرها صاحبها ويخلي بينها وبين الناس ولا يأكل منها شيئاً. قال: واعلم أن الشعائر جمع شعيرة وكل شعيرة دليل على الله وأطال في ذلك.

وقال في الباب السادس والسبعين وأربعمائة: ثم من العلوم علم بعلم ولا يعتقد ولا ينطق به ولا يجري على لسان عبد مختص إلا في مضايق الأحوال لا غير.

وقال في الباب الثامن والسبعين وأربعمائة في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]: اعلم أن الحق تعالى لا بد أن يوصل لكل مخلوق رزقه الذي قسمه له؛ قال: وليس ذلك من إهانته عليه ولا كرامته فإنه تعالى يرزق البر والفاجر والمكلف وغير المكلف وغاية اعتنائه تعالى بالعبد أن يقسم له حلالاً لا شبهة فيه قال تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [هود: ٨٦] أي ما أحل لكم تناوله من الشيء الذي تقوون به على طاعة ربكم قال: وليس رزق العبد إلا ما تقوم به نشأته وتدوم به قوته وحياته لا ما جمعه وادخره فقد يكون ذلك لغيره وحسابه على جامعه. وأطال في ذلك.

وقال في الباب الثمانين وأربعمائة في قوله ﷺ في الغيث: «إنه حديث عهد بربه»: أي قريب التكوين وكذلك عيسى عليه السلام لما لم يكن عن أب عنصري لم يحل بينه وبين إدراك قربه من الله حائل لبعده عن عالم الأركان في خلقه فلم يكن ثم ما يغيبه عمن صدر عنه فقال وهو صبي في المهد مخبراً عما شاهده من الحال ما قال من جهة براءة أمه وبرأها الله بنطقه عما كانوا افتروا عليها فكان نطقه أحد الشاهدين، وتحنين الجذع إليه هو الشاهد الثاني وقد اكتفي بالشاهدين العدلين في الحكومات ولا أعدل من هذين، قال: وكان نطقه أن قال: «إني عبد الله» فحكم على نفسه بالعبودية لله، وما قال: ابن فلان؛ لأنه لم يكن ثَمَّ «آتاني الكتاب» فحصل له الحكمة قبل بعثه فكان على بينة من ربه «وجعلني نبياً» فحكم بأن النبوة بالجعل «وجعلني مباركاً» أي خصني بزيادة لم تحصل لغيري وتلك الزيادة هي ختمه لدورة الولاية ونزوله آخر الزمان وحكمه بشرع محمد ﷺ وذلك ليرى ربه

يوم القيامة في المرآة المحمدية التي هي أكمل المرايا أينما كنت دنيا وأخرى ﴿وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ [مريم: ٣١]، يعني: المفروضة في أمة محمد أن أقيمها إذا نزلت لأنه جاء بالألف واللام فيها ﴿وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ كذلك ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ زمان التكليف وهو الحياة الدنيا ﴿وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي﴾ [مريم: ٣٢] لأنها محل تكوينه ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣٢] وذلك لا يكون إلا من الجهل والأنبياء تُنَزَّهُ عن ذلك ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ﴾ [مريم: ٣٣] ومعناه: السلامة من إبليس الموكل بطعن الأطفال عند الولادة حين يصرخ الولد إذا خرج من طعنته فلم يصرخ عيسى بل وقع ساجداً لله حين خرج ﴿وَيَوْمَ أَمُوتُ﴾ تكذيباً لمن افترى عليه إنه قتل لأنه لم يقل: ويوم أقتل ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣] في القيامة الكبرى فكان في إتيانه الحكم صبياً رضيعاً في المهد بيان تمام وصلته بربه وأنه أتم من يحيى ابن خالته لأن عيسى سلم على نفسه بسلام ربه ولهذا ادعي فيه أنه إله ويحيى سلم عليه ربه تعالى. وأطال في ذلك.

ثم قال: واعلم أن الناس إنما كانوا يستغربون الحكمة من الصبي الصغير دون الكبير، لأنهم ما عهدوا إلا الحكمة الحاصلة عن الفكر والرؤية وليس الصبي في العادة بمحل لذلك فيقولون: إنه منطق بها فتظهر عناية الله بهذا المحل الطاهر فزاد يحيى وعيسى بأنهما على علم بما نطقا به علم ذوق لأن ظهور مثل ذلك الزمان والسن لا يصحّ إلا ذوقاً فإن الله آتاه الحكم صبياً وهو حكم النبوة الذي لا يكون إلا ذوقاً. قال الشيخ: وقد قلت مرة لابنتي زينب وهي في سن الرضاعة قريباً عمرها من سنة: ما تقولين في الرجل يجامع مع حليلته ولم ينزل؟ فقالت: يجب عليه الغسل فتعجب الحاضرون من ذلك؛ ثم إني فارقت تلك البنت وغبت عنها سنة في مكة وكنت أذنت والدتها في الحج، فجاءت مع الحاج الشامي فلما خرجت لملاقاتها رأتني من فوق الجمل وهي ترضع، فقالت بصوت فصيح قبل أن تراني أمها: هذا أبي، وضحكت ورمت بنفسها إلي. قال: وقد رأيت من أجاب أمه بالتشميت وهو في بطنها وكان اسمه الشيخ عبد القادر بدمشق. وكذلك ذكره أيضاً في الباب الثالث وثلثمائة. وقال: شهد عليّ الثقات بذلك ولم يذكر أنه سمعه وهو في بطنها حين عطست وسمع الحاضرون كلهم صوته من جوفها.

(قلت): وقد تقدم في الباب الثاني والخمسين نحو ذلك فتزاد هذه القصة على ما نظمه الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله بقوله:

تكلم في المهد النبي محمد ... وموسى وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف ... وطفل لدى الأخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالأمة التي ... يقال لها تزني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها ... وفي زمن الهادي المبارك يختم
وبنت لمحيي الدين قدس سره ... وعم بنا جمعاً وذلك متمم

وقال في الباب الأحد والثمانين وأربعمائة: الإحسان هو العمل على استحضار ما أمكنه من عظمة الله وجلاله حتى يصير كأنه في حضرة الحق ومشاهدته في العبادة في ذلك تنبيه عجيب فإنه بتلك الرؤية يبصر أن العامل هو الله لا هو وأن العبد إنما هو محل لظهور ذلك العمل لا غير.

وقال في الباب السادس والثمانين وأربعمائة في قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]: اعلم أنه لم يرد من يعص الرسول فقد عصى الله وذلك لأن طاعة المخلوق لله ذاتية ومعصيته عارضة لأنها بالواسطة فلو أنزل هنا الرسول كما أنزله في الطاعة لم يكن تعالى إلٰهاً وهو إلٰه فما عصى من عصى ما إلا الحجاب وليس الحجاب سوى الواسطة بيننا وبين الله، قال: فنحن اليوم أبعد من معصية الرسول ﷺ من أصحابه إلى من دونهم إلينا لأنا ما عصينا إلا أولي أمرنا في وقتنا وهم العلماء منا بما أمر الله به ونهى عنه فنحن أقل مؤاخذة وأعظم أجراً، لأن للواحد منا أجر خمسين ممن يعمل بعمل الصحابة كما في الحديث «للواحد منهم أجر خمسين يعملون مثل عملكم» فاجعل بالك لكونه لم يقل منكم.

وقال في الباب السابع والثمانين وأربعمائة في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]: من الحياة الطيبة أن يبدل الله سيئات العبد حسنات حتى أنه يود أن لو كان أتى بسائر المعاصي الواقعة من الخلق حين يشاهد التبديل. قال: ورأيت من أهل هذا المقام في عمري كله رجلين أحدهما: شيخنا أبو العباس العريني بغرب الأندلس والثاني: رجل بمكة.

وقال في الباب الثامن والثمانين وأربعمائة في قوله تعالى: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١]: اعلم أن رزق ربك هو ما أعطاك مما أنت عليه في وقتك وما لم يعطك فإن كان لك فلا بد من وصوله إليك وما ليس لك فلا يصل إليك قط فلا تتعب نفسك في غير مطمع. قال: والمراد بقولنا إن كان لك أن تأخذه على الحد الإلٰهي الذي أباحه الشارع لك فإن ما أخذ من حرام لا ينبغي إضافته إلى الله أدباً وإنما يضاف إلى الطبع. وأطال في ذلك.

وقال في الباب التاسع والثمانين وأربعمائة في حديث: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له»: المراد بهذا العلم المذكور في الحديث هو ما سنه من السنن الحسنة كما عليه الأئمة المجتهدون والمراد بالصالح المسلم والصدقة الجارية مثل حفر الآبار ونحو ذلك.

وقال في الباب التسعين وأربعمائة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ ـ ٣] الآية: اعلم أن للمقت درجات بعضها أكبر من بعض، ومن قال قولاً ولم يفعل هو به مقت نفسه عند الله أكبر المقت إذا اطلع على ما حرمه من الخير بترك الفعل ولا سيما إذا رأى غيره قد انتفع به عملاً؛ قال: والناس يأخذون في هذه الآية غير مأخذها فيقولون إن الله مقتهم وما يتحققون قوله تعالى عند الله أي تمقتون أنفسكم أكبر المقت عند الله إذا رجعتم إليه في الدنيا أو الآخرة. وأطال في ذلك، ثم قال: وملخص القول أن الحق تعالى كأنه يقول: يا أيها الذين آمنوا لم تقولون إن الفعل لكم وما هو كذلك فإنه لي فكيف تضيفون إلى أنفسكم ما لا تفعلون، إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً أي يقاتلون من ينازع الحق في إضافة الأفعال، ويقول: إن الفعل للخلق كالمعتزلة حتى يرجع عن نزاعه، ويضيف الأفعال كلها إلى الله؛ قال: فالمراد بالعندية عنا هو شهود الحق فاعلاً وحده ومقته نفسه هو الرجوع عن إضافة الفعل لنفسه إلا على وجه ما وبذلك يسعد ويلحق بالعلماء فليتأمل ويحرر.

وقال في الباب الثاني والتسعين وأربعمائة: العلم المأخوذ عن رسول

الله ﷺ بواسطة أو غيرها أوثق من العلم الذي يأخذه العبد من الله بلا واسطة من الوجه الخاص الذي هو الإلهام على أنه ليس لنا علم الآن يؤخذ عن الله إلا وهو من باطنية محمد ﷺ لقوله: «فعلمت علم الأولين والآخرين» وأنت يا أخي من الآخرين بلا شك فلا تقل: قد حجرت واسعاً لأني ما حجرت عليك العلم مطلقاً وإنما حجرت عليك أن لا يأتيك إلا بواسطة وهذا ليس بتحجير فتأمل. قال: وقد وافقنا على ما قلناه أبو القاسم بن قسي وما رأيت هذا النفس لغيره.

وقال في الباب الخامس والتسعين وأربعمائة في قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ﴾ [المائدة: ٤٨]: أي أيها الأنبياء ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] فالضمير في منكم للأنبياء عليهم السلام لا للأمم إذ لو كان المراد به الأمم لم يبعث قط رسول في أمة قد بعث فيها رسول إلا أن يكون مؤيداً لمن قبله فقط لا يزيد ولا ينقص وما وقع الأمر كذلك، قال: وقد تكلف في التأويل شططاً من جعل الضمير في منكم للأمم والرسل جميعاً، فكون الضمير راجعاً إلى الرسل أقرب إلى الفهم، وأوصل إلى العلم. وأطال في ذلك.

وقال في الباب السابع والتسعين أربعمائة في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]: أي يشركون نفوسهم في الإيمان فيرون أنهم آمنوا بنظرهم واستدلالهم ولم يروا أن الله تعالى هو الذي مَنَّ عليهم بالإيمان هنا هو المراد بالشرك هنا فافهم، فإن المراد بالإيمان هنا هو الإيمان بالوجود لا التوحيد إذ لو كان المراد به التوحيد لم يصح قوله إلا وهم مشركون مع ثبوت الإيمان.

قلت: وقال بعضهم: المراد بالشرك هنا هو الاعتماد على الأسباب انتهى فتأمل وحرر.

وقال في الباب الموفي خمسمائة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٢٩]: اعلم أن من جعل نفسه إلهاً فقد ادعى جعل نفسه في غاية القرب فلذلك أخبر أن هذا جزاء هذا القائل أن يكون في غاية الشقاوة التي هي غاية البعد عن طريق السعادة الذي هو رد

إلى أصله فلذلك كان جزاؤه جهنم فينزل في قعرها لكونه طغى إلى مقام الألوهية التي لها الاستواء على العرش يقال: بئر جهنام إذا كانت بعيدة القعر. قال: واعلم أنه لم يبلغنا أن أحداً وقع في هذا القول سوى فرعون حين استخف عقل قومه فقال: يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري ثم إنه جعل ذلك ظناً بعد شك في قوله: لعلي أبلغ الأسباب أسباب السمٰوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً. وأطال في ذلك.

وقال في الباب السادس وخمسمائة في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ٥٠]: واعلم أن كل من شعر بالمكر فليس بممكور به إلا في حال واحد وهو أن يشعر بمكر الله في أمر أقامه فيه ثم إنه إن داوم عليه بعد علمه بأنه مكر من الله فهذه المداومة مكر من الله فهو كقوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣]. وأطال في ذلك بكلام نفيس.

وقال في الباب السابع والعشرين وخمسمائة في قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨] الآية: اعلم أن كل خطاب خاطب الله تعالى به نبيه ﷺ مؤدباً له قلنا فيه اشتراك لا بد من ذلك فهو ﷺ المقصود لله تعالى بالأدب أصالة ونحن المقصودون بالتأسي به قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]. وقد كان ﷺ بعد نزول هذه الآية إذا لقي أحداً من أهل الصفة أو قعد في مجلس يكونون فيه لا يزال يحبس نفسه معهم ما داموا جلوساً حتى يكونوا هم الذين ينصرفون وحينئذ ينصرف ﷺ، ولما عرفوا ذلك من رسول الله ﷺ كانوا يخففون الجلوس والحديث معه ﷺ. قال: وإنما قيد تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾ [الأنعام: ٥٢] لأنه زمان تحصيل الرزق في المرزوقين وهو الصبوح والغبوق عند العرب، وأطال في ذلك.

قلت: إنما أمر ﷺ بالصبر مع من ذكر لأن الكامل تصير عبادته روحانية لا جسمانية فرجوعه إلى الكثائف من أصعب الأمور عليه إلا أن يؤمر بذلك هكذا شأن المقربين وإلى ذلك الإشارة بقوله: «لي وقت لا يسعني فيه

غير ربي» أي لا يسعني فيه الالتفات لغيره من ذكر أو غيره والله أعلم.

وقال في الباب التاسع والعشرين وخمسمائة: لا بد من الفترة لكل داخل طريق أهل الله عز وجل ثم إذا حصلت فإما أن يعقبها رجوع إلى الحال الأول من العبادة والاجتهاد وهم أهل العناية الإلٰهية وإما أن لا يعقبه رجوع فلا يفلح بعد ذلك أبداً فيصير من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل.

وقال: للدنيا أبناء، وللآخرة أبناء وللمجموع أبناء فالكامل من جمع بينهما فكان ابناً للدنيا والآخرة انتهى.

ولا يخفى أن من طلب الدنيا للآخرة فهو ابن لمجموعهما وهو أكمل ممن يريد الآخرة فقط كأهل الصفة والله أعلم.

وقال في الباب السابع والثلاثين وخمسمائة في قوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]: اعلم أن الرجل الكامل واقف مع ما يمسك عليه المروءة العرفية حتى يأتيه أمر الله الحتم فيمتثله. قال: وكان وقوع ما ذكر للنبي ﷺ مكان قوله: «لو كنت موضع يوسف لأجبت الداعي» يعني: داعي الملك لما دعاه إلى الخروج من السجن فلم يخرج يوسف حتى قال: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٥٠] يعني: العزيز الذي حبسه ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٥٠] ليثبت عنده براءته فلا تصح له المنة عليه في إخراجه من السجن والرسول يطلب ثبوت عدالته عند أمته ومن هنا كانت خشية رسول الله ﷺ للناس حتي لا يرد الناس دعوته لما وقع في نكاح زوجة من تبناه إذ كان ذلك مما يقدح في المروءة عند العرب فلذلك أبان الله عن العلة في ذلك بقوله: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠] الآية فرفع الحرج عن المؤمنين في هذا الفعل فكان من الله تعالى في حق رسوله ما كان من يوسف حين لم يجب الداعي سواء أولئك الذين هدى الله فهداهم اقتداه أي فلو كان رسول الله ﷺ مكان يوسف ما أجاب الداعي ولقال مثل ما قال يوسف فعلم أنه ليس مراده ﷺ بقوله: «لو كنت مكان يوسف لأجبت الداعي» إلا تعظيم يوسف كما قال: «نحن أولى بالشك من إبراهيم» وقد تقدم بسطه في الكتاب فليتأمل ويحرر.

(قلت): ويحتمل أن يكون المراد من قوله عليه السلام «لأجبت الداعي» ولم أراع الناس على حد ما راعاهم يوسف عليه السلام وإن ندبت إلى مراعاتهم من وجه آخر كما يعرفه أهل الله تعالى لا سيما وقد ورد: «أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض» ويكون قوله عليه السلام: «نحن أولى بالشك من إبراهيم» حيث يتمشى على من يتبادر إلى الأذهان ومعاتبة الله تعالى له عليه السلام في الآية المذكورة قبل أن يوقفه الله من مقامه الشريف على ما هو الأرفع، والله أعلم.

وقال في الباب الرابع والأربعين وخمسمائة في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ١١]: ليس المراد بهؤلاء الملائكة هم الحفظة وإنما المراد بهم ملائكة التسخير وهم ملائكة يكونون مع العبد بحسب ما يكون العبد عليه يحفظونه عن أن يعرض عليه أمر خلاف ما هو مسخر له فهم تبع له. وأطال في ذلك.

وقال في الباب الخامس والخمسين وخمسمائة: قد أطلعني الله على جميع الأولياء المتقدمين والمتأخرين إلى يوم القيامة وما يمنعني أن أعين للناس الأقطاب والأبدال وغيرهم من أهل زماننا إلا خوف الإنكار عليهم وعدم التصديق لهم، فأكون بذلك سبباً في مقتهم؛ على أن الله لم يكلفنا بإظهار مثل هذا حتى نكون عصاة لو تركناه وبسط الرحمة على كافة المسلمين أولى من اختصاصها.

قلت: وقد فعل مثل هذا القشيري رحمه الله في رسالته فإنه ذكر الأوائل من الرجال في أول الرسالة وما ذكر فيهم الحلاج للخلاف الذي وقع فيه حتى لا تتطرق التهمة لمن ذكره من رجال الرسالة ثم إنه لما ذكر عقائد الرجال على الكتاب والسنة ذكر عقيدة الحلاج أولاً وصدر بها الكلام ليزيل بذلك ما في نفوس بعض الناس منه من سوء الطوية رضي الله عنه.

وقال في الباب السادس والخمسين وخمسمائة: كان شيخنا أبو مدين أحد الإمامين ثم قطب بعد ذلك إلى أن مات سنة تسع وثمانين وخمسمائة ويدل على إمامته أنه كان يقول سورتي من القرآن تبارك الذي بيده الملك

وهي مختصة بالإمام الواحد من الإمامين والله أعلم.

وقال في الباب التاسع والخمسين وخمسمائة، وهو باب جمع فيه أسرار «الفتوحات» كلها من أولها إلى آخرها: اعلم أن التنزيه يرجع إلى التحديد المنزه، والتشبيه يرجع إلى تثنية المشبه، والكمال الجمع بين المرتبتين كما ورد. وقال: إن العالم علامة بدؤه ممن فهو علامة على من ما ثم إلا الله وحبله وما لا يسع جهله. وقال: وما نشأ الخلاف إلا من عدم الإنصاف. وقال: كل علم أنتجه الفكر فلا يعول عليه لأن النكير يسارع إليه. وقال: لا ضلال إلا بعد هداية كما أنه لا عزل إلا بعد ولاية. وقال: لا يشترط في المجاورة الجنس لأنه علم في لبس فالله جار عبده بالمعية وإن انتفت المثلية. وقال: لولا الشبه ما كان الشبه. وقال: من أعجب ما ورد أنه لم يلد وعنه ظهر العدد فله تعالى أحدية العدد وما بالدار من أحد. وقال: من تعبدته الإضافات فهو صاحب آفات. وقال: لو كانت العلة مساوية للمعلول لاقتضى وجود العالم لذاته ولم يتأخر عنه شيء من محدثاته. وقال: الكثرة معقولة وما ثم علة إلا وهي معلولة. وقال: من الأمر الكبار خوف النار بالنار لأن الشيطان المرجوم محروق بذات النجوم. وقال: علوم النظر أوهام عند علوم الإلهام. وقال: الزمان ظرف المظروف كالمعاني مع الحروف وليس المكان بظرف فلا يشبه الحرف. وقال في التنزيه: عين التشبيه فأين الراحة التي أعطتها المعرفة وأين الوجود من هذه الصفة. وقال: إذا استقصيت الحقوق حوسب الإنسان على ما اخترته في الصندوق.

وقال في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٦]: اعلم أن ما كل كل في كل موضوع ترد فيه تكون للحصر لأنها قد تأتي ويراد بها القصر مثل قوله في الريح العقيم: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الأحقاف: ٢٥] وفي آية أخرى ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [الذاريات: ٤٢] وقد مرت على الأرض وما جعلتها كالرميم.

وقال: الشهيد يشبه الميت فيما اتصف به من الموت ولذلك يورث ماله وتنكح عيانه فطلاقه قد يشبه تطليق الحاكم على الغائب وإن كان حياً قد أبعد في المذاهب. وقد ثبت عن سيد البشر: «لا ضرر ولا ضرار» وقد علم أن

الشهيد بدار الخلود لا سبيل إلى رجعته ولا إلى إنزال من رفعته مع كونه حياً يرزق وما هو عند أهله ولا طلق وهذه حالة الأموات وإن كانوا أحياء عند ربهم فعظامهم عندنا رفات وما لنا إلا ما نراه ولا نحكم إلا بما شهدناه فاستمع تنفع.

وقال: الاشتراك بالأجسام من الأوهام لأن الكامل مع الله على كل حال في أهل ومال. وقال: المال مالك وصاحبه هالك إن أمسكه أهلكه البخل وإن منحه أضر به البذل وقد جبل بخلقه من نطفة أمشاج على الفاقة والاحتياج لا يمتحن إلا صاحب دعوى، فمن ادعى فقد تعرض للبلوى. وقال: ليس الوقوف خلف الباب بحجاب إذا كان يستحيل على من خلفه الوصول فإذن الباب عين المطلوب. وقال: من اتقى الله في موطن التكليف على كل حال حاز درجة الكمال عند الارتحال. وقال: إنما لم يجب الخليل الآفل لأنه رآه يطلب السافل وهمته كانت في الدنو لصاحب العلو. وقال: إذا حققت الأصول فلا زهد إلا في الفضول وأما ما تدعو الحاجة إليه فذلك المعول عليه. وقال: لو تعطلت الأجور لالتبست الأمور. وقال: المباح أتم شرع شرع للإنسان وعليه جميع الحيوان، ألا ترى أن لهم الكشف التام في اليقظة والمنام، ولهم الكتم فيما يرونه من عذاب القبر الحتم. وقال: كل جزء في العالم فقير إلى العظيم والحقير، فالكل عبيد النعم ومن النعم الأمان من حلول النقم والأمر إضافي ونسبي وإلا فأين حال قوله ﷺ: «نورٌ أَنَّى أراه» وقوله: «إنكم سترون ربكم» فأثبتها لنا ونفاها عنه لما علم منه.

وقال: ليس من شرط البيان حركة اللسان فإن لسان الأحوال أفصح وميزانها في الإبانة عن نفس صاحبها أرجح ومن سكت ربما رمي بالخرس وقام له مقام الجرس فظهر سره وإن جهل أمره وكثرت فيه المقالات وتطرقت إليه الاحتمالات ففتح بصممه أبواب الألسنة وعمر بملازمة بيته جميع الأمكنة ما شرف موسى عليه السلام إلا مما نسب إليه من الكلام وبالكلام وجد العالم وظهر على أتم نظام وكل قول برز فهو بحسب حقيقة القائل فمنه الدائم ومنه الزائل ومنه ما يكون إلا بحرف وهو لمعنى القول كظرف ومنه ما لا حرف فيه فيزول فقد أبنت لك عن الأصول.

وقال: إن أردت أن تكون من الخدام فالتزم الأدب التزام الألف واللام.

وقال: صاحب علم سر القدر لا يقول قط: أنا الله حاشاه من هذا القول حاشاه، بل يقول: أنا العبد الذليل في المسير والمقيل.

وقال: الإيمان برزخ بين الإسلام والإحسان، فله من الإسلام ما يطلبه عالم الأجسام وله من الإحسان ما يشهد به المحسان فمن آمن فقد أسلم وأحسن، ومن جمع الطرفين فقد فاز بالحسنيين الإسلام صراط قويم والإيمان خلق كريم والإحسان شهود القديم إذا صح الانقياد كان علامته خرق المعتاد المسلم لا يحتاج إلى تأويل فهو معرس في حسن مقيل.

وقال: من مال إلى الآمال اخترمته الآجال؛ ليس بالمواتي من اشتغل بالماضي والآتي؛ والحليم الأواه من كان مشتغلاً بالله ومن كان عبداً لغير الله فما عبد إلا هواه لأن العدو أخذ به عن طريق هداه.

وقال في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ﴾ [محمد: ٣١]: من علم الشيء قبل كونه فما علمه من حيث كونه العلم يتغير بتغير المعلوم ولا يتغير المعلوم إلا بالعلم فقولوا لنا: كيف الحكم هذه مسألة حارت فيها العقول وما ورد فيها منقول.

وقال: لا تقل نحن إياه لقوله: ﴿فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] فأنت الترجمان، والمتكلم الرحمٰن فقيده كلامِ الله بالأمكنة بكونه في المصاحف والألسنة، يقول القارىء قال الله، ثم إنه يتلو الحروف ظروف والصفة غير الموصوف عند أهل الكشف والشهود وهو عين المقصود فإذا نطقت فاشهد بمن تنطق التنزيه تحديد فلا تقل بالتجريد.

وقال في حديث: «شتمني ابن آدم»: من اشتكى إلى غير مشتكى فقد حال عن الطريق وعرج عن مناهج التحقيق ولولا اقتدار العبد على دفع الأذى ما شكا الحق إليه ذا فالخلق مشتكي الحق والحق مشتكي الخلق ومن شكا إلى جنسه فما شكا إلا إلى نفسه.

وقال: من ذل لله فقد أشبه الفروع ومن تكبر فقد أشبه الأصول فالرجوع إلى الفروع أولى من الوصول إلى الأصول.

وقال: إذا أراد الحق تعالى بعبده أن يقطع أمله أشهده أجله وإذا بدل

الله سيئات عبده حسنات يود أنه لو كان أتى بقراب الأرض خطايا أو حمل ذنوب جميع البرايا لما يعاينه من حسن التحويل وجميع صور التبديل ففاز هذا في الدنيا باتباع الهوى وفي الآخرة بجنة المأوى وعلى هذا جزاء بعض المذنبين أعظم من جزاء بعض المحسنين فيبدو للمذنبين من الخير ما لم يكونوا يحتسبون وأكثر الناس في الدنيا بهذا لا يشعرون فحسنوا يا إخوتي ظنكم بربكم تفوزوا بقربكم.

وقال: الأخذ بالعزائم نعت الرجل الجازم؛ أولو العزم من الرسل هم الذين لقوا الشدائد في تمهيد السبل؛ ما جمح إلى الرخص إلا من يقع في الغصص؛ من سلك هنا ما توعر تيسر له في آخرته ما تعسر، فما أثقل ظهرك سوى وزرك فهنا تحط الأثقال أثقال الأعمال والأقوال، فاحذر من الابتداع في حال الاتباع.

وقال: التخلق بالأسماء الإلٰهية على الإطلاق من أصعب الأخلاق لما فيها من الخلاف والوفاق، فإياك أن يظهر مثل هذا عنك قبل أن تشهد مشهد من قال: أعوذ بك منك، فممن استعاذ وإلى من لاذَ انظر.

وقال: موافقة الأمثال من شأن الرجال ومن ألزم نفسه بحال فهو شديد المحال فإن الرباط ملازمة والملازمة في الإلٰهيات مقاومة.

وقال: جنة النعيم لأصحاب العلوم وجنة الفردوس لأصحاب الفهوم وجنة المأوى لأهل التقوى وجنة عدن للقائمين بالوزن وجنة الخلد للمقيمين على الود وجنة المقامة لأهل الكرامة. وقال: الاعتدال وبال لا يكون مع الاعتدال إلا دوام الحال، انظر في وجود الخلق تجده عن إرادة الحق والإرادة انحراف بلا خلاف فأين الاعتدال والأصل ميال فما ثم إلا ميل عن ميل لطلب النيل لو كان؛ ثم اعتدال ما هوى إنسان ولا مال التنزيه ميل والتشبيه ميل والاعتدال هو ما بين هذين وهذا لا يصح في العين؛ لو كان ثم اعتدال لكان في الوقفة ولم يكن يميل من الميزان كفة من قال بالاستواء أو الزوال قال بالانحراف والاعتدال ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ١٣] وما ثم ساكن في الأغيار لا في البصائر ولا في الأبصار لا تراه جعله عبرة

لأولي الأبصار فانظر واعتبر. وقال الحق في الاعتدال: فمن جار أو عدل فقد مال، لكن إن مال لك فقد أفضل وإن مال عليك فقد أبخس.

وقال: إنما اشترك الزوجان في الالتحام لأنه نظام التوالد فإن لم وإلا فالأولى التباعد إذ التباعد فيه التنزيه، والانتظام فيه التشبيه، وإنما حمدناه فيمن تولد عنه به وقربناه. من قال إنه وحد فقد ألحد، إذ الأحدية لله لا تكون بتوحيد أحد ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] عجباً في تنزيهه عن الصاحبة والولد حتى لا يكون معه أحد وعنه وجد ما وجد من العالم من ذي روح، وجسم وجسد، ثم إن ولادة البراهين الصحاح عن نكاح عقول، وشرائع ما فيه جناح، وأما ما تولد عن نكاح الشبه في العقول والأشباح فهو سفاح وهذا الباب مقفل وقد رميت إليك بالمفتاح.

وقال: لما دعا الله تعالى الأرواح من هياكلها بمشاكلها حنت إلى ذلك الدعاء وهان عليها مفارقة الوعاء فكان لها الانفساخ بالسراح من هذه الأشباح ثم إذا وقعت الإعادة عادت إلى ما كانت عليه روحاً وجسماً هذا معنى الرجوع.

وقال اسوداد الوجوه من الحق المكروه وكالغيبة والنميمة وإفشاء السر فهو مذموم وإن كان صدقاً فلذلك قال الله تعالى: ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْۚ﴾ [الأحزاب: ٨] أي هل أذن لهم في إفشائه أم لا فما كل صدق حق. واعلم أنه لو كان نسبتنا إليه حقاً ما ذم أحد خلقاً ولو ذمه لكفر ولو كان ما استتر فهو تعالى المعروف بأنه غير معروف، والحق الذي يقال: ما قبح وذم فمنا، وما حسن وحمد فمما خرج عنا.

وقال: العارف مسود الوجه في الدنيا والآخرة، لكن اسوداد السيادة لما كان عليه من العبادة فإن وجه الشيء كونه وذاته وعينه. وقال في قوله: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]: الإنسان مجبول على الطمع فلا يقال فيه يوماً إنه قنع فإن قنع فقد جهل وأساء الأدب ومن هنا كان العارف لا يزهد قط في الطلب وما أراد منك بذلك إلا دوام الافتقار في الليل والنهار ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٧ ـ ٨] ولا يتقبل الحق من

العباد إلا بما به عليهم جاد فمنه بدأ الجود وإليه يعود فيا من يطلب القديم أنت عديم فقل لربك إنما نحنِ بك ولك خلقتنا لنعبدك وفي عبادتنا نشهدك ثم على قدر ما سألناك من الشهادة تنقصنا من العبادة.

وقال: لا يؤثر الحرص في القدر إلا إذا كان من القدر وكم من حريص لم يحصل على طائل لعدم الأمر من القائل من قصرت همته في طلب المزيد فليس من كمل العبيد لا تستكثر ما وهبك فإنه لو وهبك كل ما دخل في الوجود لكان قليلاً بالنظر إلى ما دخل في خزائن الجود فإياك والزهد في المواهب فإنه سوء أدب مع الواهب فإنه ما وهبك إلا ما خلق لك.

وقال: لما علم الأكابر أن الأمور كلها في يديه اعتمدوا منه عليه فعلموا أن الحق لله وضل عنهم ما كانوا يفترون، ولو ارتفعت الحاجات وزالت الفاقات لبطلت الحكمة وتراكمت الظلمة ولاحت الأسرار وزال كل شيء عنده بمقدار فذهب الاعتبار وهذا لا يرتفع فلا بد من الاعتماد في العباد لأن العبودية تطلب بذاتها الربوبية حقيقة وخليقة.

وقال: ما حجب الرجال إلا وجود الأمثال ولهذا نفى الحق المثلية عن نفسه تنزيهاً لقدسه وكل ما تصورته أو مثلته أو خيلته فهو هالك والله تعالى بخلاف ذلك هذا عقد الجماعة إلى قيام الساعة.

وقال: كيف يصح المزيد بالتحميد والتمجيد والله تعالى قد أعطى كل شيء خلقه ووفاه حقه فعين الشكر هو عين النعم والناس في غفلة معرضون وأكثرهم لا يشكرون.

وقال: الدنيا متاع قليل وكل من فيها أبناء سبيل فما من جيل ولا قبيل إلا وهو مملوك للقطمير، والنقير، والفتيل. فأكثر الناس تائه، ولهذا قنعوا بالتافه. ليس في الكثرة زيادة إلا في عالم الشهادة وأما في عالم الغيب فما في التساوي ريب. من رضي بالقليل عاش في ظل ظليل وكل ما في الوجود قليل، ومن لم يأته غرضه طال في الدنيا مرضه قال تعالى: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ [البينة: ٨] فالرضا منا ومنه. وقال: لا يرضى بالقليل إلا من لا

يعرف دبيراً من قبيل اعتناء الحق بالنقير يدل على أنه كبير لا يخفى على ذوي عينين أن لله عناية بكل ما في الكونين وإخراج الشيء من العدم إلى الوجود برهان على أنه في منازل السعود. من طلب من الحق الوفاء فقد ناط به تعالى الجفاء وليس برب جاف بلا خلاف وإذا كان الكل منه فما معنى ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ [البينة: ٨]. كل ما في العالم لديه وحاضر بين يديه لا يحب الله الجهر بالسوء من القول وما كل فريضة تقتضي العول كما لا ينكح الأمة إلا من لم يجد الطول.

وقال: ما حال بينك وبين حقك إلا عجلتك بنطقك، فإن الرزق مقسوم ولا ينقص، ولا يزيد بسؤال أحد من العبيد مع أن طلب المزيد مركوز في الجبلة في كل نحلة وملة، وما جعل القضاء يتأخر إلا القضاء المقدر. لو كانت العلة في الأزل لكان المعلول لم يزل فلا معلول ولا علة وقد تظهر الشبه في صورة الأدلة البراهين لا تحظى فإنها قوية السلطان وإنما الخطأ راجع إلى المبرهن وإذا كان الدليل لا يعرف إلا بالدليل فما إلى علمه من سبيل. من علمت به معلوماً وما جهلته فما علمته لأنك أعلمته به فانتبه.

(وقال): الموت للمؤمن تحفة، والنعش له محفة لأنه ينقله من الدنيا إلى محل لا فتنة فيه ولا بلوى، فليس بخاسر ولا مغبون من كان أمله المنون فاز فيه اللقاء الإلٰهي، والبقاء الكوني.

وقال: الحصاد في القبر والبيدر في الحشر والاختزان في الدار الحيوان ذبح الموت، وإن كان حسرة ففيه بشرى بانقطاع الكرة. أين الرد في الحافرة من قوله: ﴿وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الواقعة: ٦١]. ذبح الموت علامة للخلود في النحوس والسعود، وفي ذبحه ثبوت عزله وانتقاض غزله.

وقال: إن لله تعالى رجالاً يساقون إلى الجنة بالسلاسل لعناية سبقت وكلمة حقت وصدقت فدخلوا الجنة بلا تعب ولا نصب ولا جدال ولا شغب.

وقال: من أعجب ما في البلاء من الفتن قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ [محمد: ٣١] وهو العالم بما يكون منهم فافهم، وإذا فهمت فاكتم، وإن

سئلت فقل: الله أعلم. العالم في أوقات يتجاهل وعن الجاهل يتغافل والله ليس بغافل وهو معكم في جميع المحافل فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين.

وقال: إذا ربط تعالى مشيئته بـ«لو» فهو لو شاء الله كذا وما يشاء ولو نشاء لصح المشاء، و«لو» حرف امتناع لامتناع فكيف يستطاع ما لا يستطاع. إذا تنوع الواحد فليس بواحد ولا بد من أمر زائد وليس العجب عند العليم إلا تنوع إرادة القديم.

وقال: دليل العقول قد يخالف ما صح عندها من المعقول. إياك واتباع المتشابه أيها الواله فما يتبعه إلا الزائغ وما يترك تأويله إلا العاقل البالغ فإن جاءه من ربه في ذلك الشفا فهو المعبر عنه المصطفى.

وقال: لو راقب الناس مولاهم في دنياهم لأمنوه في أخراهم، ومن ارتفع في هذه الدار سقط وهنا وقع الغلط.

وقال: ذبح النفوس أعظم في الألم من الذبح المحسوس، ومخالفة الآراء أعظم في الشدة من مقابلة الأعداء، ومجانبة الأعراض غاية الأمراض، ومن فاز بمخالفة نفسه سكن حضرة قدسه.

وقال: السيد خادم فهو في طاعة عبده قائم السيد أحق باسم الخادم من الغير لأن بيده جميع الخير يحكم في عبده لعبده فهو يحكم عبده لو حكم لنفسه لبقي في قدسه. لا تكن من الملوك لأن الملك مملوك من صحت سيادته صح تعبه وكبر والله نصبه هم لازم وغم دائم فإنه لو ترك خدمة عبده انعزل، وكان ممن عصى المرتبة فزل، كلكم راع ومسؤول عن رعيته.

وقال: إذا مزجت فقلل ولا تعلل، ومازح العجوز وذا النغير ولا تقل إلا الخير كما قال الشارع: «يا أبا عمير ما فعل النغير» وقال: «العجوز لا تدخل الجنة» لرده تعالى عليها شبابها وإن لم يكن المزح هكذا فهو أذى والإذاية من الكريم محال، ولولا صلابة الدين ما كان من المازحين لأنه يذهب بالهيبة والوقار عند المطموسين الأبصار؛ ألا تنظر إلى رب العباد في قصة هناد حين أخرجه واستدرجه إلى أن قال له: أتهزأ بي وأنت رب

العالمين فأضحكه، وهذا القول كان المقصود من الله به ولهذا ما أهلكه بل أعطاه وخوله وملكه، فسرت هذه الحقيقة في كل طريقة ولو لم يصح بها النعيم ما اتصف بها النبي الكريم.

وقال: لا تفرط في الرخاوة تكن غشاوة وهي مذمومة كالقساوة مع أن الرخاوة في الدين من الدين ولهذا امتن الله تعالى على نبيه بجعله من أهل اللين في قوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] ولهذا فضلهم ولو كان فظاً في فعله وقوله «لانفضوا من حوله» وإذا كانوا مع العفو واللين لا يقبلون، فكيف مع الشدة والفظاظة لا ينفرون. الأفعى يتقى ضيرها مع أنه يرجى خيرها إذ هي من حملة عقاقير الترياق الذي يرد النفس إذا بلغت التراق ومع ذلك فما قام خيرها بشرها فاعتبروا يا أولي الأبصار.

وقال: ومن استحيا أمات، وأحيا من لا يكون إلا ما يريد لا يستحي من العبيد وإن استحيا في حال ما فلطلب الاسم المسمى. لولا التكليف ما ظهر فضل العفيف وإذا كانت القوة مخصوصة باللطيف فكيف يحجبه الكثيف.

وقال: الرفيق رقيق، وصحبة الرفيق الأعلى أولى، وقد اختار هذا الرفيق من أبان الطريق فإنه خير فاختار ورحل عنا ومار وذلك ليلحق بالمتقدم السابق، ويلتحق به المتأخر اللاحق ولعلمه أنه لا بد من الاجتماع اختيار الخروج من الضيق إلى الاتساع، ألا ترى يونس لما نادى ربه نجّاه من الغم وكان في بطن الحوت فقذفه على ساحل اليم وأثبت عليه اليقطين لنعومته ونفرة الذباب عن حومته، فهذا الغزل الدقيق من إشفاق الرقيق.

وقال: الحادث لا يخلو عن الحوادث لو حل بالحادث الذكر القديم لصح قول أهل التجسيم القديم لا يحل ولا يكون محلاً ذكر القرآن أمان وبه يجب الإيمان أنه كلام الرحمٰن مع تقطع حروفه في اللسان ونظمها فيما رقمه باليراع البيان فحدثت الألواح والأقلام وما حدث الكلام، وحكمت على العقول الأوهام بما عجزت عن إدراكه الأحلام.

وقال: الذكر القديم هو ذكر الحق وإن نطق به الخلق كما أن الذكر

الحادث ما نطق به لسان الحق وإن كان هو كلام الخلق إذا كان الحق تعالى لسان العبد فالذكر قديم ومزاجه بالعبد من تسنيم إن الله تعالى قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده فافهم.

وقال: لولا الحواس ما ثبت القياس ولا شك أن الأمور كلها معلولة، والكيفية من الله مجهولة. انفرد بعلم العلل فأصله الأبد من الأزل. حلت المثلات بأهل التفكر في المحدثات لأنه لا بد من وجه جامع بين الدليل والمدلول في قضايا العقول، والحق لا يدرك بالدليل فليس إلى معرفته سبيل؛ وقد دعانا إلى معرفته وما دعانا إلا لصفته فلا بد من صفة تتعلق بها المعرفة، وما تم في العقل إلا صفة تنزيه والنقل ضم معها صفة التشبيه فعلى ما هو المعول الآخر أو الأول.

وقال: الفتى لا يقول قط متى بل يبادر الوقت خوف المقت. لا فتى إلا عليّ لأنه الوصي، والولي الفتى من كان على قدم حذيفة في علم السر. وقال: ما فتى من زعم أنه فتى، الفتى هو الكليم، ولكن أين رتبة كلام الحق له من اتباعه الخضر طلباً للتعليم؟ الفتى من لا يزال طالباً ومن الجهل هارباً.

وقال: الغيور سريع النفور فيخطىء أكثر مما يصيب والحق أغير منه فكيف لا تأخذ عنه فرق تعالى بين النكاح والسفاح حتى تتميز الأرواح. والزنا لا بد في الوجود منه وقد قال لصاحبه: استتر منه وصنه، هذا مع أنه يعلم به ويراد وقدره وأمضاه ثم مع ذلك نهاه فهو وإن استتر عن أبناء جنسه فما تستر عمن هو أقرب إليه من نفسه.

وقال: الأمر بين قرنين و﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤] لكن جعل لكل قلب وجهين لأنه تعالى خلق ﴿مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [هود: ٤٠] فبنى الجمع على الشفع وما ثم إلا وتر به الحق وهذه أسرار ما عليها غبار وإن عميت عنها الأبصار وإليها الإشارة بنعم عقبى الدار وأنت الدار وعليك المدار.

وقال: القرآن أحق بالتعظيم من السلطان لأن القرآن لا يجور والسلطان قد يجور، فلا يحجبك عما قلناه إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن فإن

ذلك إنما هو من حيث أن السلطان ناطق، والقرآن صامت فاعلم الفرقان تفهم القرآن.

وقال: الإخبار يعرب عن الإسرار والإخبار كما يشهد للمؤمن بالإيمان كذلك يشهد عليه بالبهتان والدليل على ذلك خبر الهدهد فيما أخبر به سليمان: ﴿۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [النمل: ٢٧] فإن شهد له العيان أو الضرورة من الجنان وقع الإيمان وإلا لحق بالبهتان. لو كان مطلق الإيمان يعطي السعادة لكان المؤمن بالباطل في أكبر عبادة ومن آمن بالباطل أنه باطل فحاله غير عاطل.

وقال: قسم الشارع سبله إلى ثلاثة أقسام: إسلام، وإيمان، وإحسان، فبدأ بالإسلام وقرن به عمل الأجسام من تلفظ شهادتين وصلاة وزكاة وحج وصيام وثنى بالإيمان وهو ما يشهد به الجنان من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره حلوه ومره والبعث الآخر إلى الدار الحيوان وثلث بالإحسان وهو إنزال المعنى منزلة المحسوس في العيان وليس إلا عالم الخيال.

وقال: التروك وإن كانت عدماً فهي نعوت فالزم السكوت. الأمر بالشيء نهي عن ضده فهو ترك وهذا شرك. لا يترك الأغيار إلا الأغيار ولو ترك الحق تعالى الخلق من كان يحفظه ويقوم به ويلحظه، فمن كمال التخلق بأسماء الحق الاشتغال بالله وبالخلق. لو تركت الأغيار لتركت التكاليف التي جاءت بها الأخبار ولو أنك تركت التكاليف لكنت معانداً عاصياً أو جاحداً.

وقال: نصرة القوي محال فكيف الحال في قوله: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧] وإن لم تنصروه يخذلكم وإذا خذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فنصرته من جملة ما أخذ عليكم في عهده فيا أهل العهود أوفوا بالعقود ما أمركم الله بنصره إلا وأعطاكم الاشتراك في أمره فمن قال: لا قدرة لي ويعني الاقتدار فقد رد الأخبار وكان ممن نكث وألحق تكليف الحق بالعبث.

وقال: أصدق الأخبار ما كان بالحال. من أثنى على نفسه بالكرم

توقف السامع فيه حتى يتكرم فإذا كان العطاء ارتفع الغطاء.

وقال: إن الله عند لسان كل قائل وما تكلم إلا اللسان والقائل في الشاهد هو الإنسان وفي الإيمان الرحمٰن لقوله: «كنت سمعه الذي يسمع به، ولسانه الذي يتكلم به» الحديث. فمن كذب العيان كان قوي الإيمان ومن تردد في الإيمان تردد في العيان فلا إيمان عنده ولا عيان، ومن صدق العيان وسلم الإيمان كان في أمان اللسان ترجمان الجنان، وما وسع الرب إلا القلب وأنت ترجمان الحق إلى الخلق فأين الكذب عند هذه المشاهدة، وما ثم ناطق إلا الحق الصمد والواحد.

وقال: الروح واسطة وهو بين الرسول البشري والحق رابطة يوحى به إليه إذا نزل بالوحي عليه وقد أمر بالأدب معه حتى يجمعه لأنه ما عجل به حتى كشفه وما نطق به حتى عرفه فقيل له: اكتم السر حتى لا يعلمه الملك بما لك.

وقال: إذا كان الرسول حسن الصورة فذلك إشارة إلى جمال المرسل إليه وقد حصل إدراك البغية بنزول جبريل في صورة دحية أين صورة مالك من صورة رضوان؟ أين النار من الجنان؟

وقال: النفث في الروع من وحي القدس وهو عين الإلهام لكن ما هو مثل وحي الكلام ولا وحي الإشارة والعبارة وما ثم إلا ملهم وهو الخاطر الخاطر من السحاب الماطر ويسمى الخاطر الأول لأن النفث لا يكون له مكث فحلوله انتقاله ووروده زواله.

وقال: من احتج عليك بما سبق فقد حاجك بالحق ومع هذا فهي حجة لا تنفع صاحبها ولا تعصم جانبها ومع كونها ما نفعت سمعت وقيل بها وإن عدل الشرع من مذهبها فإنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ولكن أكثر الناس لا يشعرون ومثل هذه المسألة لا يكون جهاراً ولا يكلم بها إلا إشعاراً مع أنه لو جهر بها كانت علماً ونقحت فهما وأورثت في الفؤاد كلما دونه نجز القمم لما يؤدي إليه من دروس الطريق الأمم الذي عليه جميع الأمم وإن كان كل دابة مأخوذاً بناصيتها.

وقال: إنما ذهب بعض أهل الكلام إلى انعدام العرض لنفسه لا الأجسام ليكون الخالق خلافاً على الدوام، والعالم مفتقر إليه ومعول في وجوده عليه، وأما أهل الحسبان فقالوا بتجدد جميع الأعيان في كل زمان وما خصوا عيناً من عين ولا كوناً من كون، وأما من يعلم أن المتحيز هو كل ما قام من الأعراض فهو جامع بين المذاهب والأغراض.

وقال: الطلب من الأدب لأنه تعالى ما أوجدك إلا لتسأل فإنك الفقير الأول فاسأل من كريم ولا تبخل فإنه ذو فضل عميم ومن اتبع هواه لم يبلغ مناه.

وقال: معنى قول العارفين من وحد فقد ألحد أي مال إلى الحق لأن الملحد هو المائل في لغة كل قائل. وقال: إلا الإلحاد لا بد منه، ولا محيص لمخلوق عنه، ألا ترى أصحاب الأعراف لما تساوت كفتا ميزانهم كيف وقفوا بين الجنة والنار فلا هم مع الأشرار ولا مع المصطفين الأخيار فلولا ما تفضل الحق عليهم من السجود إليه ما برحوا عليه فلما سجدوا انفكوا من أسر السور والتحقوا بدار السرور.

وقال: الحال المرتحل من يكرر تلاوة ما أنزل فانتهاؤه عين ابتداؤه ولكن من تكرر عنده المعنى في تلاوته فما تلاه حق تلاوته وكان ذلك دليلاً على جهالته ومن زادته تلاوته في كل مرة علماً وأفادته حكماً فهو التالي لمن هو في وجوده له تالي.

وقال: من استدان من غير حاجة مهمة فهو ناقص الهمة وإنما كان من عرف نفسه عرف ربه لأن علم قلبه وسع ربه لا تعلم الذات إلا مقيدة وإن أطلقت هكذا عرفت الأشباه وحققت فالإطلاق تقييد في حق العادات والعبيد، فإن الخلق مع الأنفاس في خلع ولباس ولا يشعر بذلك إلا القليل من الناس. الذات مجهولة فما هي علة ولا معلولة ولا للدليل مدلولة فإن وجه الدليل يربط الدليل بالمدلول والذات لا ترتبط ولا تختلط.

وقال: الأحباب أرباب، والمحبوب خلف الباب، وإنما كان المحب صاحب بلوى لأنه رب دعوى ولذلك اختبر بخلاف المحبوب.

وقال في قوله: «اللهم صلِ على محمد كما صليت على إبراهيم»: أين هذا من قوله: «أنا سيد ولد آدم» فداخل الخليل. كان لآدم السجود ولمحمد المقام المحمود، فيا ليت شعري هل تقوم الحلة مقام كون رسالة محمد تعم كل ملة محمد صاحب الوسيلة في جنته ما نالها إلا بدعاء أمته أين أمته منه في الفضيلة ومع هذا بدعائهم كانت له الوسيلة المدعو له أرفع بيقين من الداعي فلتكن لقولنا: كما صليت على إبراهيم الحافظ الواعي.

وقال: الشوق يزول باللقاء والاشتياق يزيد بالالتقاء لا يعرف الاشتياق إلا العشاق، من سكن باللقاء قلقه فما هو عاشق عند أرباب الحقائق.

وقال: من قام بالخدمة عند طرح الحرمة والحشمة، فقد خاب وما نجح وخسر وما ربح الخادم في مقام الإذلال فما له وللدلال وما له وللسؤال. إن لم يكن الخادم كالميت بين يدي الغاسل لم يحظ من مخدومه بطائل. إذا دخل الخادم على مخدومه واعترض ففي قلبه مرض ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠] وهم لا يشعرون فبالحرمة تنال الرغائب في جميع المذاهب.

وقال: إذا كانت حركة المتواجد نفسية فليست بقدسية وعلامتها الإشارة بالأكمام، والمشي إلى خلف وإلى قدام، والتمايل من جانب إلى جانب، والتفريق بين راجع وذاهب، وقد أجمع الشيوخ على أن مثل هذا محروم مطرود السماع لا يتقيد بالنغمات المعهودة في العرف إذ في ذلك الجهل الصرف فإن الكون كله سماع عند صاحب الاستماع والإيقاع أوزان والله تعالى وضع الميزان فالوجود كله موزون فلا تكن المحروم المغبون. ما أشبه الليلة بالبارحة عند صاحب السماع بالقلب والجارحة.

وقال: كل كرامة لا تتصل بالقيامة فليس هي كرامة فاحذر من الاستدراج في المزاج. القرآن كله: «قال الله» وما فيه قط تكلم الله فلو جاء فيه تكلم الله ما كفر به أحد ولا أنكر فضله ولا جحد ألا ترى قوله: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] كيف سلك به نهجاً قويماً فأثر فيه كلامه وظهرت عليه أحكامه فإذا أثر القول فما هو لذاته، فافهم وفرق بين القول

والكلام تكن من أهل الجلال والإكرام، كما تفرق بين الوحي والإلهام في اليقظة والمنام.

وقال: لو تكرر شيء في الوجود لضاق النطاق ولم يصح الاسم الواحد بالاتفاق وبطل كون الممكنات لا تتناهى ولم يثبت ما كان به بنياها من قال بالرجعة بعد ما طلق فما طلق وكان صاحب شبهة وما تحقق الطرق الرجعي رحمة بالجاهل الغبي. لو قلنا في الرجال برجعة الطلاق لما وقع عليه الاتفاق فإنه نكاح جديد فمذهب أهل الأشرار أن لا تكرار مع ثبوت العادة والإيمان بالإعادة.

وقال: ما من آية في القرآن إلا وهي أكبر من أختها وإن تولدت عنها وقامت لها مقام بنتها فقد يكون الولد أعظم في القدر من الوالد ولكن في الشاهد لا في الغائب إلا في موضع واحد وهو ما تولد عندك من العلم بربك عن معرفتك بنفسك وإن كان ليس من جنسك فذلك العلم لهذا العلم كالولد وهذا الولد أعظم من هذا الولد عند كل أحد وما سوى هذا في الغائب فليس بصائب فلا تقس الغائب على الشاهد فإنه مذهب فاسد فرحم الله أبا حنيفة ووقاه كل خيفة حيث لم يحكم على الغائب.

وقال: حكم وحي النائم المحفوظ حكم اليقظان بالدليل والبرهان، وهو بمنزلة الصاحب في الاستماع عند أهل الاتباع لكن لا ينبغي له أن يتخذ ذلك شرعاً يتعبده وإن كان بحمده وهذه فائدة سرجها متوقدة من شجرة مباركة من تشاجر الأسماء ويكفيك هذا الإيماء.

وقال: السفر قطعة من العذاب لما يتضمنه من فراق الأحباب. وقال: إنما كان المسافر فرداً شيطاناً لبعده عن الجماعة والاثنان شيطانان لعدم الناصر وتوقع ما تقوم به الشفاعة، والثلاثة ركب محفوظ وهو بعين الله ملحوظ فهم أهل الأمان غالباً في السفر لما عليهم من الخفر. التثليث من أجل المحدِث والمحدَث والحديث. ما كفر القائل بالثلاثة وإنما كفر بقوله: ﴿ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] فلو قال: ثالث اثنين لأصاب الحق وزال المين. «ما ظنك باثنين الله ثالثهما» يريد أن الله تعالى حافظهما يعني: في الغار في زمان هجرة الدار.

وقال: البقاء لا يصح على شأن واحد لما في المحدثات من طلب الزائد إذ الأمر شؤون فلا يزال يقول للأشياء: كن فتكون. الوجود له كله نصب وتعب ولهذا قال: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ [الشرح: ٧] فما فرغ إلا اشتغل، ولا قضى منه عمل إلا استعمل وقد كان في العمل صاحب راحة لأنه استراحة إذا كان الرحمٰن كل يوم في شأن فما ظنك بالأكوان، فما قال بأن العدم شر إلا من جهل الأمر فليس الشر إلا العدم الذي ما فيه عين ولا يجوز على المتصف بدر كون وليس هذه إلا المحال الذي هو شر محض على كل حال وبخلاف العدم الذي يتضمن الأعيان.

وقال: الشطح فتح، فمن شطح بحق فما شطح، وهذا من أعظم الملح إلا أنه يلتبس على السامع فلا يعرف الجامع من غير الجامع ولهذا الالتباس جعله نقصاً بعض الناس من باب سد الذريعة لما فيه من نطق المخلوق بألفاظٍ شنيعة لا تجيزها الشريعة، فمن تقوى في فتح الفتح لم يظهر عليه شيء من الشطح، ألا ترى ما قال صاحب القوة والتمكين في إنفاذ الأمر: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» فانظر إلى أدبه في تحليه كيف تأدب مع أبيه وما ذكر غير إخوته.

وقال: ما أصعق الكليم إلا الذي دك الجبل العظيم وما أفاق الكليم من صعقته إلا لما بقي عليه من أداء نبوته ولا يلزم من كون خلق السمٰوات والأرض أكبر من خلق الناس أن يكون أقوى من الناس فسلم تسلم واعرف الأمر واكتم.

وقال: من كان جميع أمرك بيده فأنت لديه ما برحت منه حتى تسأل عنه. لم يرد خبر بالصفات لما فيها من الآفات بخلاف الأسماء، ألا ترى من جعله موصوفاً كيف يقول إن لم يكن كذلك كان مؤوفاً ولفظ المؤوف شنيع عند أهل التشريع وما علم من جعله موصوفاً أن الذات إذا توقف كمالها على الوصف حكم عليها بالنقص الصرف، ومن لم يكن كماله لذاته افتقر كماله إلى صفاته والحق بإجماع كل واحد ليس بأمر زائد.

وقال: لولا الأغيار ما كانت الأسرار والسر ما كان بينك وبينه وأخفى

من السر ما ستر عنك عينه.

وقال: ما أعجب ما يعتقده أهل التوحيد وصفه بالقريب البعيد قريب ممن؟ بعيد عمن؟ هو أقرب ﴿مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] إلى جميع العبيد.

وقال: الاتصال ليس من مقامات الرجال كيف يتصل به أجنبي لا يقول بهذا إلا غبي ففي الكتاب المنزل المثلية وإنما الأعمال بالنية.

وقال: ما كان بالحلول فهو معلول وهو مرض لا دواء لدائه ولا طبيب يسعى في شفائه من فصل بينك وبينه فقد أثبت عينك وعينه ألا ترى قوله: «كنت سمعه الذي يسمع به» فأثبتك بإعادة الضمير إليك ليدل عليك وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد وأما القائلون بالحلول فهم أهل الجهل والفضول فإنهم أثبتوا حالاً ومحلاً وعينوا حراماً وحلاً فمن فصل فنعم ما فعل ومن وصل فقد شهد على نفسه بأنه فصل والشيء الواحد لا تصل نفسه إلا إذا تجزأ والواحد لا يصح فيه انقسام إلا بأمر زائد على ذاته وما ثم إلا مصنوعاته.

(قلت): فكذب والله من افترى على الشيخ رحمه الله بأنه يقول بالحلول والاتحاد فتأمل والله أعلم.

وقال: لو انقطع الأصل لانقطع النسل للتواصل سبب التناسل سواء كان من نكاح أو من سفاح.

وقال: إن نظرت بغير عينه بعظيم بينه وبينه هو فضله ووصله على هذا وقع الاصطلاح عند الشراح فهو من أسماء الأضداد كالقرء في الطهر والحيض المعتاد.

وقال: ليس من الملة القول بالعلة إذا لحق عند أهل الملة لا يصح أن يكون لنا علة لأنه تعالى قد كان ولا أنا فلماذا العنا؟ من كان علة لم يفارق معلوله كما لا يفارق الدليل مدلوله ولو فارقه ما كان دليلاً ولا كان الآخر عليلاً، وما قال بالعلة إلا من جهل ما تعطيه الأدلة القول بالعلة معلول بواضح الدليل وليس إلى مخالفته سبيل فإن أحكام الحق في عباده لا تعلل وهو المقصود المؤمل.

وقال: ما أظهر الشتاء والقيظ إلا تنفس جهنم من الغيظ، فغيظها علينا في العاجل دليل على الآجل أكل بعضها بعضاً فأقرضها الله فينا قرضاً فنرجو أن يكون ما يصيب المؤمن هنا من حرورها وزمهريرها يحول في القيامة بينه وبين سعيرها وقد جازت من اقترضها في الدنيا بالخمود عنه في الأخرى فتقول: جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي. فالأدباء الأعلام يعتقدون القضاء ويحاسبون نفوسهم على ما مضى.

وقال: لا يلزم من الإيمان بالوقفية للحق تعالى الجهة ولا إلزام الشبه الجهة ما وردت والفوقية قد ثبتت فانظر ما ترى وكن مع أهل السنة من الورى.

وقال: التلوين دليل على التمكين، نزل في سورة الرحمٰن ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] إنما كان الثلث الآخر من الليل فيه البركة لأن فيه الحركة فلا يصغى لقول من قال: كل يوم تتلون غير هذا بك أحسن.

وقال: جميع ما في الوجود أفعاله مع أنه حرم الفواحش فسلم ولا تناقش.

وقال: إن الله لا يمل حتى تملوا فارتحلوا أو حلوا؛ قيد نفسه تعالى في عقدكم فقال: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] تنبيهاً لكم على الأدب وخروجاً لكم عن الريب.

وقال: من نظر في ظله علم أن حكمه في الحركة والسكون من أصله فتحرك بحركته لا بتحريكه فإياك والابتداع.

وقال: من قام بالحق صدق في كل ما نطق من قام السيف وإن عدل صاحب حيف وإذا كان الأصل معلول فصاحبه مخذول لأنه أصل فاسد يحرم العبد الفوائد.

وقال: الطريق ساقة وقادة إما إلى شقاوة أو سعادة فاعرف الطريف وتخير الرفيق تنج من عذاب الحريق.

وقال: لا تكثر الوارد إلا على باب الأجواد فإن البخيل بابه مغلقٌ والجواد جواده مطلق. إذا فني الكريم عن شهود جوده في حال جوده فهو

الدليل على صحة وجده ووجوده، فإنه ما أعطى للخلق إلا ما كان لهم في خزائن الحق ومع هذا فله الأجر في استعماله في هذا الأمر ومن تكرم وجاد وتخيل أن له فضلاً على العباد فما جاد إذ المنة أذى فاعلم ذا.

وقال: لا يتعدى قط حكيمٌ ما رتبه العليم فما حكم به الولي في الخلق يمضيه الحق وإن رده الحاكم الجائر فلا يلتفت إلى رده فإنه من صدق وعده وهو لا يخلف الميعاد فلا بد من رد أهل الإلحاد.

وقال: قد كان الحق ولا شيء معه فهو السابق وهو الذي يصلي علينا فهو اللاحق، تارة يتجلى في اسمه الأول وتارة في اسمه الآخر.

وقال: من كان سهل القياد خيف عليه الفساد ولكنه أمن من العناد. ما يسعد المنقاد إلا بحكم الاتفاق فليس مطلق الانقياد من مكارم الأخلاق فمن حكم العلم سلم وغنم.

وقال: من كانت همته عالية لم يظهر لهمته تأثير في هذه الدار الفانية فإنها تفنى بفنائها وترحل عن فنائها.

وقال: المشكور قد يمكر به فإن من أوصل حقاً إلى مستحقه فقد أدى إليه واجب حقه فعلام وقع الشكر ولا بدل ولا فضل، وقد قرن الله الزيادة بالشكر لما علم فيها من المكر.

وقال: عطاء الله كله بدل وإن كان منعاً ومن آثر على نفسه من المؤمنين فهو الخاسر وإن نجا، فإن المؤمن قد باع نفسه من الله والمبيع لمن اشتراه وحق الله، لكن الدعوى أوقعت العبد في البلوى. ابدأ بنفسك مقدماً لها على أبناء جنسك.

وقال: من رأى الكون عيناً مستقلة فهو صاحب علة؛ ما قال بالعلل إلا القائل بأن العالم لم يزل وأتى للعالم بالقدم وما له في الوجود الوجوبي قدم؛ لو ثبت للعالم العدم لاستحال عليه العدم والعدم ممكن بل واقع عند العالم الجامع لكن أكثر العبيد في لبس من خلق جديد فما عرف تجدد الأعيان إلا أهل الحسبان وأثبت ذلك الأشعري في العرض وتخيل الفيلسوف فيه أنه صاحب مرض لجعله بسواد الزنجي وصفرة الذهب.

وقال: الوقت سيف ومنه الخوف. كل الخوف زمانك حالك وفي إقامتك ارتحالك، فسيرك يا هذا كسير سفينة بقوم جلوس والقلوع تطير. وقال: ولو كتم العبد سراً لما قيل له: لقد جئت شيئاً إمراً ولا نكراً ولو ترك السر مخزوناً ما كان الكليم مغلوباً إن هي إلا فتنتك من شدة الشوق عن ذوق.

وقال: العذاب الحاضر تعلق الخاطر. من يئس استراح وخرج من القيد، وراح الأنس لا يكون إلا بالمشاكل والمشاكل مماثل والمثل ضد والضدية بعد الأنس بالأنس لا يكون إلا المفتون والكتاب المكنون لا يمسه إلا المطهرون.

وقال: إنما حرمت الخمرة في هذه الدار لأنها تبدي الأسرار وترفع الأستار فحرمت في الدنيا لقوة سلطانها وهي لذة للشاربين حيث كانت، لكنها في الدنيا محرمة وفي الآخرة مكرمة وهي ألذ أنهار الجنان ولها مقام الإحسان.

وقال: لا يقطع العبد على ربه بأمر لأنه يفعل ما يريد وما عصى إلا بعلمه وما خولف إلا بحكمه، وكذلك حكم من أطاعه إلى قيام الساعة.

وقال: ليس لأهل الجنان عقلٌ يعرف إنما هو شهوة وهوى يتصرف العقل في أهل النار مقيله وبه يكثر حزن الساكن بها وعويله العقل من صفات الخلق ولهذا لم يتصف به الحق العقل آلة التكليف، فإذا زال التكليف تأثر العقل.

وقال: الحق نزوله سرى إلى السماء التي تلي الورى فيسامرهم بالسؤال والنوال ويسامرونه بالأذكار والاستغفار ويقول ويقولون ويسمع ويسمعون؛ هذا معنى النزول عند أرباب العقول. المخلوق ضعيف ولولا المصالح ما نزل التكليف فخذ منه ما استطعت ولا يلزمك العمل بكل ما جمعت فإن الله ما كلف نفساً إلا ما أتاها وجعل لها بعد العسر يسراً حين تولاها وشرع في أحكامه المباح وجعله سبباً للنفوس إلى السراح والاسترواح. ما قال في الدين يرفع الحرج إلا من على منهج الشارع. درج الله يسر فما يمازحه

عسر، ومن شدد على هذه الأمة بعث يوم القيامة في ظلمة.

وقال: ما العجب إلا من قوله: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣] كيف قيل: يرجع إليه وهو ما برح لديه ولم تزل في يديه ستور مسدلة وأبواب مقفلة وعبارات موهمة وهي شبهات من أكثر الجهات.

وقال: إذا لمح القلب شهود الحق فهو حينئذ ضيف نازل يتعين على المؤمن القيام بحقه والكرامة تكون على قدر القلب لا النازل عليه وفي العموم عل النازل لا المنزل عليه، فلا يحجبنك أنزلوا الناس منازلهم لأننا لو عاملنا الحق بهذه المعاملة لم يصح بيننا وبينه مواصلة.

وقال: حقيق على الخلق أن لا يعبدوا إلا ما اعتقدوه من الحق ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة: ٤٠] فالكل من عندكم دليل الله أكبر إلى تحوله يوم القيامة في الصور. وقال: لا تسكن إلا السهل إن أردت أن تكون من الأهل، لا تدخل بين الله وبين عباده ولا تسع عنده في خراب بلاده، هم على كل حال عباده وقلوبهم بلاده ما وسعه سواها وما حوته ولا حواها ولكنها نكت تسمع وعلوم مفرقة تجمع وقل كما قال العبد الصالح: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨] الآية.

وقال: ذهب بعض الأماثل أن العالم بجملته أبداً نازل يطلب بنزوله من أوجده والحق تعالى لا ينتهي إليه فكان ينبغي من أول حركة أن يعتمد عليه لأنه جل وعز أن تقطع دونه المفازات الحال يحيل العلم به فأين تذهبون يقول العارف لأبي يزيد: الذي تطلبه تركته ببسطام فدل على هذا المقام.

وقال: كلما خبثت السريرة عميت البصيرة ويرفع الالتباس بتفاضل الناس. وقال: ما من شخصٍ إلا ويخاطبه الحق من قلبه ويحدثه من لبه وهو لا يعرفه إنما يقول خطر لي كذا وكذا ولا يدري ذلك من أين لجهله بالعين، فما فاز أهل الله إلا بشهوده لا بوجوده مع أن شهود الحق لا ينضبط وهو مع العالم مرتبط ارتباطاً عبد بسيد ومملوك بمالك ومقهور بقاهر.

وقال: الجنين في كبد إلى أن يولد هو في ظلمة غمه ما دام في بطن أمه، ولما علم أنه في أمر مريج أراد الخروج والعروج فأخرجه على الفطرة

التي كان عليها أول مرة، فالشقي هو الشقي في بطن أمه لما هو عليه من غمه والسعيد سعيد في بطن أمه لما خصه به من علمه فلقد رأيت من شمت أمه وهو في بطنها حين عطست وحمدت فهذا واحد خصه الله بعلمه وهو في بطن أمه فلا يحجبنك قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨] فإن ذلك مثل من رد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً فلا يلزم من العالم حضوره دائماً مع علمه وهكذا حال الجنين إذا خرج من بطن أمه.

وقال: العجب كل العجب من رؤية الحق في القدم أعياناً لها حالها العدم، ثم إذا أبرزهم إلى وجودهم تميزوا في الأعيان بحدودهم انظر وحقق ما أنبهك عليه واستر، أوجد الله في عالم الدنيا الكشف والرؤيا فيرى الأمور التي لا وجود لها في عينها قبل كونها ويرى الساعة في مجلاها والحق يحكم فيها بين عباده حين جلاها وما ثم ساعة وجدت ولا حالة مما رآها شهدت فتوجد بعد ذلك في مرآها كما رآها فإن تفطنت فقد رميت بك على الطريق وهذا منهج التحقيق.

وقال في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ١]: اعلم أن من علم الخبير تأديب الصغير بالكبير أدب الأمة بتأديب رسولها لتبلغ باستعمال ذلك الأدب إلى تحصيل مأمولها، فخاطب الرسول والمراد من أرسل إليه فابحث عليه. وقال: قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ [الروم: ٤١] فأخبر تعالى أن ذلك جزاء ما هو ابتداءٌ فما ابتليت البرية وهي برية هذه مسألة صعبة المرتقى لا تنال إلا باللقاء اختلفت فيها طائفتان كبيرتان فمنعت واحدة ما أجازت الأخرى والرسل بما اختلفوا فيه تترى وما تحقق أحدٌ منهم ما جاءت به الرسل ولا سلك فيه سواء السبيل بل كان واحد ينصر ما قام في غرضه وهو عين فرضه إلا الطبقة العليا فإنهم علموا الأمور في الدنيا فلم يروا أمراً في الدنيا مؤلماً إلا وهو جزاء ما هو ابتداء بقول الطبيب إذا تألم المريض ما قصدت إلا نفعه بما أمرته به من الأدوية المؤلمة وكذلك يقول الحق تعالى للطبيب إذا مرض ولم يدر من أي باب دخل عليه المرض: آلمك هذا إنما هو جزاء لما آلمت به المرضى فخذ

جزاء ما فعلته.

وقال: أصدق القول ما جاء في الكتب المنزلة والصحف المطهرة ومع تنزيهها الذي لا يبلغه تنزيه تنزلت إلى التشبيه الذي لا يماثله تشبيه فنزلت آياته بلسان رسوله وبلغ رسوله بلسان قومه وما ذكر صورة ما جاء به الملك هل هو أمر ثالث ليس مثلهما أو مشترك، وعلى كل حال فالمسألة فيها إشكال لأن العبارات لحننا والقرآن كلام الله لا كلامنا فما التنزل والمعاني لا تتنزل إن كانت العبارات فما هو القول الإلٰهي وإن كان القول فما هو اللفظ الكياني وهو اللفظ بلا ريب فأين الشهادة والغيب إن كان دليلاً فكيف هو أقوم قيلاً، وما ثم قيل إلا من هذا القبيل، وهو معلومٌ عند علماء الرسوم فتحقق ولا تنطق.

وقال: لما أقام الشارع العصمة مقام الحرس لم يحتج ﷺ إلى العسس وطالما كان يقول: «من يحرسنا الليلة»؟ مع علمه بأن المقدر كائن والحارس ليس بمانع ما قدر ولا صائن لكن المعبود طلب بذل المجهود وهو يفعل ما يشاء وهذا مما يشاء وما يشاء إلا ما علم وما علم إلا ما هو ثم فللّه الحجة البالغة فافهم.

وقال: كيف للخلق أن يردوا دعوة الحق لولا أن صنعته ردت عليه وبضاعته ردت إليه، ما أشبه ذلك بالصدى إذا قهر بدا، يتخيل المصوت أنه غيره وما ثم إلا أمره. الحق واحد والاعتقادات تنوعه وتفرقه وتجمعه وهو في نفسه لا يتبدل وهو في عينه لا يتحول كما أنه يحصره الأين ويحده الانقلاب من عينٍ إلى عين فلا يحاز فيه إلا النبيه ولا يتفطن إلى هذا التنبيه إلا من آمن بما ورد من التنزيه والتشبيه وأما من نزه فقط أو شبه فقط فهو صاحب غلط لأن التشبيه تنزل للعقول وتمهيد للقبول.

وقال: السيد يستخدم العبد بمقاله والعبد يستخدم سيده بحاله ولسان الحال أفصح من لسان المقال، إذ الأحكام التي تتضمنها الأحوال إنما تعرف بقرائن الأحوال والاصطلاح قد لا يكون له في كل باب مفتاح.

وقال: مقاومة الأقدار للحق والمصابرة فيها فيها رائحة النزاع للأقدار

فالسعيد من العبيد من كان مع الله كما يريد فإن أراد منه النزاع نازع لكن هو نزاع بحكم الشرع لا بحكم الطبع. لولا الفرج الإلٰهي ما تاب التائب ولولا التبشبش الرباني ما اتصف آتي المسجد بالذاهب.

وقال: لما أراد الحق تعالى المناجاة في مسجد الجماعات أمر بإعلان الأذان لأصحاب الآذان، فمن أجاب الداعي فهو صاحب السمع الواعي وما للأحدية في النداء أثر ولا في شجرتها ثمرٌ فالله أكبر مفاصلة ولا إلٰه إلا الله مفاصلة والشهادة بالرسالة مفاصلة عن مواصلة الحيعلتين مقابلة والنداء مؤذن بالبعد والأذان لنا دليل على عدم عموم الرشد فإن رعاة الأوقات عارفون بالميقات، فالأذان لا يكون إلا لمن هو مشغول بالأكوان مأثم إلا مشتغل لأنه بالأصالة منفعل وإن كان الفاعل منفعلاً للمنفعل فهو فضل منه ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠] . وقال: على قدر دعوى الإيمان يكون الامتحان فالمؤمن ليس في أمان إلا في أكدار الحيوان.

وقال: الإيثار ليس هو من صفة علماء الأسرار لأن ما هو لك لا تقدر على دفعه وما هو لغيرك فلا تقدر على منعه فأين الإيثار؟ فالأمر أمانة فأدها وإلا سلب عنك اسمها.

وقال: ليس العجب ممن ساء سبيلاً إنما العجب ممن اتخذ مستخلفه وكيلاً ولولا ورد بذلك الأمر الرباني لرده الأدب الكياني ما أجهل أكثر الناس بمواطن الأدب وهو الذي أداهم إلى العطب وقد يكون ترك الأدب أدباً كما يكون ترك السبب سبباً، ومن قال: برفع الأسباب فلا بد له من الابتلاء فاعتبروا يا أولي الألباب.

وقال: لا تبلغ الأعاجم مع امتلائها في سمائها مبلغ الأعراب دليلنا الخيل العراب؛ الإعجام إبهام والإعراب إبانة الكلام. اختص الإعجاز بالقرآن وإن كانت جميع الكتب كلام الرحمٰن. وقال: المنزلة الرفيعة في التزام الشريعة فلا تشرع من عند نفسك قط حكماً ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٤]. وقال: المشاورة وإن نبهت على ضعف الرأي فهي من الرأي لا يطلع على مراتب العقول إلا أصحاب المشاورة فإنها أجمع للفهم والفكر. وقال:

لا تقل وصلت فما ثم نهاية ولا تقل لم أصل فإن ذلك عماية ليس وراء الله مرمىً وهناك يستوي البصير والأعمى.

وقال: باب التشريع قد ضاع مفتاحه وقيد سراحه، فصباحه لا ينبلج وبابه لا ينفرج وإن خوطب به الكامل فهو تعريف بما ثبت وإعلام بما عنه سكت. عليك بالصفوف الأول فمنها تشاهد الأزل وإياك أن تتأخر فتؤخر وأنت ذو ورا مما ترى.

وقال: إذا خاطبك الحق بلسان لا تعرفه فقف ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] ولا تمش فيه بالفكر وعليك بالعمل بالقرآن تطلع على الفرقان والقرآن المطلق يعطي ما لا يعطي القرآن المقيد وقيد الله قرآنه بالعظمة والمجد والكرم.

وقال: لا تعجب ممن وصف الجواد بالعطاء ولكن اعجب ممن وصفه بالإمساك، وأعجب منه من وصف الحق بما لا يليق به مع أنه ما أطلق الألسنة عليه بذلك إلا هو.

وقال: «إياك وخضراء الدمن وهي الجارية الحسناء في منبت السوء» فإن الله تعالى يقول: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢] وهو ما يزينه الشيطان من الأعمال فإن كان لها وجه إلى الحق فالمعدن خبيث؛ جاء إبليس إلى عيسى عليه السلام فقال له: قل لا إله إلا الله فهذه كلمة طيبة من معدن خبيث فقال: أقولها لا لقولك فما قال: لا إله إلا الله التي أمر بها إبليس فهذه جارية حسناء في منبت سوء.

وقال: ما عصى آدم إلا بالأخذ بالتأويل ولا عصى إبليس إلا بالأخذ بالظاهر فما كل قياس يصيب ولا كل ظاهرٍ يخطىء فإن قست تعديت الحدود وإن وقفت مع الظاهر فإنك علم كثير فقس مع الظاهر في التكليف وقس ما عداه تحصل على فائدة عظمى وتخفف عن هذه الأمة فإن ذلك مقصود نبيها ﷺ.

وقال: لو أخذوا بالظاهر في كتابهم ما نبذوه وراء ظهورهم فما أضر بهم إلا التأويل فاحذروا من غائلته، فإن المكلف مخاطب بألسنة فصاح ولكن

العيب والسقم من الفهم.

وقال: إذا أيَّة الله بك في: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحجرات: ١٢] فكن أنت ذلك المؤيه به فإن أخبرك فافهم.

واعتبر وإن أمرك أو نهاك فامتثل وما ثم قسم رابع إنما هو خبر أو أمر أو نهي. وقال: أنزله تعالى في خطابه إياك منزلة الأم من الشفقة إن لم يمكنك الترقي إلى أعلى من أمك فإنه أشفق عليك منها بيقين وتلق منه بالقبول ما يورده عليك فإنه ما خاطبك إلا لينفعك.

وقال: لا تجعل زمامك إلا بيد ربك اختياراً لا اضطراراً، فإن ناصيتك بيده شئت أم أبيت وذلك لأن ثمرة الاختيار أرجح من ثمرة الاضطرار.

وقال: عليك بنسب التقوى فمن اتقى الله فقد صح نسبه، وإياك والنسب الطيب فإنه غير معتبر كما أشار إليه علي بن أبي طالب القيرواني بقوله:

الناس من جهة التمثيل أكفاء	أبوهم آدم والأم حواء
ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم	على الهدى لمن استهدى أدلاء

إلى آخر ما قال.

وقال: خشية الناس وهيبتهم منك على قدر خشيتك لله بظهر الغيب سواء. فإياك أن تطلب من الناس أن يهابوك مع وقوعك في الرذائل بينك وبينه وأنت أعرف بنفسك. وقال: لا تجعل لبيتك الذي هو قلبك سقفاً فيحول بينك وبين السماء فتحرم الرؤية ولا يصل إليك من غيث السماء شيء. والغيث رحمة من الله رحم بها عباده ولا تسكن من البيوت إلا أضعفها جداراً وذلك لأن الخراب يسرع إليها فتبقى في حفظ الله لا في حفظ البيت. وقال: مجالسة الرسل بالاتباع ومجالسة الحق بالإصغاء إلى ما يقول فكن سامعاً لا متكلماً.

(قلت): وقد منَّ الله علي في هذا المقام بلذةٍ لا يقدر قدرها حين أكون سامعاً وأما إذا كنت أنا التالي فلا أجد تلك اللذة وما ثم عندي الآن نعيم قط في دار الدنيا ألذ عندي من سماع القرآن فالحمد لله على كل حال.

وقال: كل ما سوى الله معلول والمعلول ممراض ضرورة فملازمته الطبيب فرض لازم.

وقال: كل عمل عملته من أعمال أهل النار فاختمه بالتوحيد يأخذ بيدك يوم القيامة لأن التوحيد يرجح على كل عمل ولو بعد وقوع العقوبات. وقال: احذر أن تقول كما قال العاشق: أنا من أهوى ومن أهوى أنا، فإنك أنت أنت وهو هو، وانظر هل قدر من قال ذلك أن يجعل العين واحدة؟ لا والله ما قدر لأنه جهل والجهل لا يستطاع. ولا بد لكل عارف من غطاء ينكشف فلا تغالط نفسك.

وقال: إذا سمعت القرآن فاسمع بسمع نفسك لا بسمع الحق في مقام المحبة لك فإن الحق لا يأمر نفسه ولا ينهاها وهذا من مزلات الأقدام لمن صار الحق سمعه من المحبوبين. وقال: لا سجود إلا عن قيام ولا قيام للكون فإن القيّوميّة لله وحده. قال: وما عرفنا نقصان مقام سهل بن عبد الله إلا من قوله بسجود قلبه وما أخبر أنه رآه ساجداً كما هو الأمر عليه وإنما أخبر أنه يسجد ولا سجود إلا عن شهود قيام قبل ذلك كما مر. وقال: إنما كان كل حزب بما لديهم فرحون لجهلهم بما لهم، ولو علموا ما لهم لحزن من ينبغي له أن يحزن.

وقال: كلام الحادث محدث وكلام الله له الحدوث والقدم فله عموم الصفة، لأن له الإحاطة وحدوثه وروده علينا كما يقال: حدث عندنا اليوم ضيف ولو كان عمره ألف سنة. وقال: لا يضاف الحدوث إلى كلام الله إلا إذا كتبه الحادث أو تلاه، ولا يضاف القدم إلى كلام الحادث إلا إذا تكلم به الله عند من أسمعه كلامه كموسى عليه السلام ومن شاء الله من عباده في الدنيا والآخرة.

وقال في حديث «أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق؟» إلى آخره: إن كان العماء؛ كالعرش فالسؤال باقٍ من السائل وإذا قصد بالخلق كل ما سوى الله فما هو العماء؛ قال: وهي مسألة في غاية الخفاء. وقال باستوائه تعالى على العرش: صح نزوله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا ومع هذا فهو مع

عباده أينما كانوا. وقال: لآدم على النساء درجة ولمريم على عيسى درجة لا على الرجال فالدرجة لم تزل باقية فما ثم مساواة.

وقال: الدنيا والآخرة أختان وقد نهى الله تعالى عن الجمع بين الأختين وجوز الجمع بين الضرتين، وما هما ضرتان حقيقة ولكن لما كان في الإحسان إلى أحد الأختين بالنكاح إضرار بالأخرى لذلك قيل فيهما ضرتان فافهم.

وقال: من علامة العلم المكتسب دخوله في ميزان العقول وعلامة العلم الموهوب أن لا يقبله ميزان إلا في النادر وترده العقول من حيث أفكارها. وقال: خزائن الله تعالى صدور المقربين وأبواب تلك الخزائن ألسنتهم فإذا نطقوا أغنوا السامعين إن كانت أعين أفهامهم غير مطموسة.

وقال في الكلام بعد الموت: هل هو بحرف أو صوت؟: اعلم أن الكلام بعد الموت يكون بحسب الصورة التي ترى نفسك فيها فإن اقتضت الحرف والصوت كان الكلام كذلك وإن اقتضت الصوت بلا حرف كان وإن اقتضت الإشارة أو النظرة أو ما كان فهو ذاك وإن اقتضت الذات أن تكون عين الكلام كان، فإن جميع ذلك تقتضيه حضرة البرزخ، قال: وإن رأيت نفسك في صورة إنسان حزت جميع المراتب في الكلام فإنه المقام الجامع لأحكام الصور. وقال: إنما جعل الله لنا النوم في هذه الدار لنألف حالنا في البرزخ بعد الموت فإن حال الميت كحال النائم لا أن علاقة تدبيره الهيكل باقية في النوم والموت لا علاقة له في التدبير.

وقال: إذا رأيت من يتبرأ من نفسه فلا تطمع في صحبته فإنه منك أشد تبرأ. وقال: إذا كنا نجهل ما سبق لنا في علم الله فلا ثقة لنا بحالٍ فيا لها من مصيبة. وقال: إياك والتأويل فيما أنت به مؤمن فإنك ما تظفر بطائل ومتعلق الإيمان إنما هو ما أنزل الله لا ما أوله عقلك ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥] الآية. وقال: إذا قرأت ﴿مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ﴾ [الأنعام: ١٢٤] فإن انقطع نفسك على الجلالة كان وإلا فاقصد ذلك ثم ابتدىء ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

وقال: احذر أن تفي بعهدك ليفي الحق تعالى لك بعهده بل أوف أنت بعهدك ودع الحق يفعل ما يريد فإن من وفى بعهده ليفي الحق له بعهده لم يزده على ميزانه شيئاً فاعمل على وفائك بعهدك من غير مزيد. وقال: إذا ناجيت ربك فلا تناجه إلا بكلامه واحذر أن تخترع من عند نفسك كلاماً فتناجيه به فلا يسمعه منك ولا تسمع له إجابة فتحفظ من ذلك فإنه مزلة قدم.

قلت: فلا يليق وضع الأحزاب التي يقرؤها المريدون إلا من الكمل الذين يأخذون عن الحق أو الرسول ﷺ من الوجه الخاص، كما قال سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: أخذت حزب البحر عن رسول الله ﷺ حرفاً بعد حرف والله أعلم.

وقال: الزم ذكر الاسم المركب وهو الرحمٰن الرحيم فإنه ببعلبك ورام هرمز.

وقال: خطاب الله بضمير المواجهة تحديد بضمير الغائب تحديد ولا بد منهما. وقال: ما أخبرنا الحق تعالى أنه ينزل إلى سماء الدنيا إلا ليفتح لنا باب التواضع بالنزول إلى ما هو دوننا في زعمنا. وقال: انظر بعقلك في سجود الملائكة لآدم ما صرفت وجوهها إلى التحت إلا وهي مشاهدة للحق تعالى فيه مشاهدة عين. وقال: لو وقفت النفوس مع ما عرفته من الحق لعرفت الأمر على ما هو عليه، لكنها أبداً تطلب أمراً غاب عنها فكان طلبها عين حجابها فلذلك قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] لشغلها بطلب الباطن الذي غاب عنها والله ما بطن عنها إلا ما ليس لها قدم في معرفته، فما خاطبنا تعالى بأنه الأول والآخر والظاهر والباطن إلا ليعلمنا أن الذي نطلبه في الباطن هو الظاهر فلا نتعب نفوسنا في التفكر فيه.

وقال: إذا أخبرك الحق تعالى في أمور فانظر إلى ما قدم منها في الذكر فاعمل به فإنه ما قدمه حتى تهمهم به فكأنه نبهك على الأخذ به ابدءوا بما بدأ الله به ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال: عطايا الحق كلها نعم وإن أعطانا المنع وخصها العامة بما وافق الغرض وذلك مرض ثبت بالشرع المطهر حكم الحاكم بالشاهد واليمين وقد

تكون اليمين فاجرة والشهادة زوراً فلا علم مع ثبوت الحكم مع أن الحاكم مصيب للحكم فهو صاحب علم لأن الله ما حكم إلا بما علم، وقد شرع للحاكم أن يحكم بما غلب على ظنه فهو عنده غلبة ظن وعند الله علم فافهم.

وقال: الخلافة حكم زائد على الرسالة فإن الرسالة تبليغ والخلافة حكم يقهر. وقال: إذا ابتلاك الحق تعالى بضر فاسأله في رفعه عنك ولا تقاوم قهره بالصبر تغلب وما سماك صابراً إلا من حيث حبسك الشكوى عن الخلق لا عن الحق فافهم. وما قص الله عليك قول أيوب: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣] إلا لتهتدي بهداه وإذا كان يقال لسيد البشر: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] فما ظنك بغيره. وقال: لا تقل قط إن الحق تعالى وصف نفسه بما هو لنا مما لا يجوز عليه كالنزول والإتيان والضحك ونحو ذلك، هذا سوء أدب وتكذيب للحق فيما وصف به نفسه دونك بل هو تعالى صاحب تلك الصفة من غير تكييف فالكل صفات الحق وإن اتصف بها الخلق بحكم الاستعارة إذ الممنوع إنما هو نسبتها إلى الحق على حد نسبتها إلى العبد. وقال: لا يلزم من الفوق إثبات الجهة كذلك لا يلزم من الاستواء إثبات المكان كما مر.

وقال: في حديث «إن أحدكم لا يرى ربه حتى يموت» أي يراه بعد موته لا في حال موته كما توهمه بعضهم فما نفى الشارع إلا رؤية الله في الحياة الدنيا لا غير. وقال: إنما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ٩٨] ولم يقل إذا قرأت الفرقان فاستعذ لأن القرآن جمع فهو يدعو إبليس إلى الحضور بخلاف الفرقان فإنه يطرده. وقال: من استفهمك فقد أقر لك بأنك عالم بما استفهمك عنه وقد يقع الاستفهام من العالم ليختبر به من في قلبه ريب فيمتاز من يعلم ربه ممن لا يعلمه نظيره ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الصف: ٢] فهذا مؤمن أمر أن يؤمن بما هو به مؤمن.

وقال في حديث: «والله أغير مني ومن غيرته حرم الفواحش» أي جعلها حراماً محرماً كما حرم مكة وغيرها فمن وقع فيها فقد أثم من جهة انتهاك حرمتها؛ قال: وقد تخيل الناس أن ذلك إهانة بالفواحش وليس كذلك وإنما هو تعظيم لها من حيث أنها شعائر الله وحرماته ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ

ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠] فتحريم الوقوع في المحرمات مثل تحريم التفكر في ذات الله فإن تحريم التفكر دليل على التعظيم انتهى فليتأمل في معناه.

وقال في قول علي رضي الله تعالى عنه: «ما من آية إلا ولها ظهر وبطن وحد ومطلع»: اعلم أن الظاهر من الآية ما أعطاك صورته والباطن منها ما أعطاك ما تمسك عليه الصورة والحد منها ما يميزها من غيرها والمطلع منها ما أعطاك الوصول إليه وأهل الكشف يميزون بين هذه المراتب.

وقال: من ليس كمثله شيء ما هو ذو حياة ولا موت والحياة فإن من خلق الموت والحياة لا ينعت بهما فقد كان ولا هما فهو الحي ما هو ذو حياة. قال: وكذلك له تعالى الأسماء ما له الصفات فتسمى الصفات أسماء لورودها في الكتاب والسنة؛ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٨٠] فتنزه عن الصفة لا عن الاسم.

وقال: الملائكة حجبة بين الله ورسله والرسل حجبة بين الملك والرعايا فبعد بذلك والله إسنادنا والمقصود من الرواية علو الإسناد وكلما قل رجاله علا وقد عرفنا الشارع بذلك فقال: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨] فزال جبريل أنا ومن اتبعني فزال الرسول ومنه قال أبو يزيد: حدثني قلبي عن ربي فعنه أخذ هذا قوله: يا أيها المنكر.

وقال: الأحكام تختلف باختلاف الأسماء فإن قلت في سمكة إنها خنزير البحر حرمت هذا حكم الاسم. وقال: كرم الكرم هو أن يتكرم العبد على الصفح والعفو بالوجود فيعفو ويصفح لأن العفو والصفح كرم واستعمالهما كرم الكرم وكذلك يقال في إساءة الإساءة فإن المسيء من أتى بما يسوء وإن كان جزاء إلا أن هذا الاسم مقصور حكمه على الخلق فلا يجوز على الحق تعالى أدباً أدبنا به الحق.

وقال: الإسلام والإيمان مقدمتا الإحسان، مع أن الإيمان له التقدم والإسلام تالٍ وإلا لم يقبل. وقال أيضاً: الإيمان تصديق فلا يكون إلا عن

مشاهدة الخبر في التخيل فلا بد من الإحسان والإسلام انقياد والانقياد لا يكون إلا لمن انقاد طوعاً وليس ذلك إلا لمن أحسّ بأن الحق آخذ بناصيته فإن لم يحس فما انقاد إلا كرهاً، والإحسان أن ترى أنه يراك على المشاهدة. وقال: ما أجهل من قال: إن الله لا يخلق بالآلة وهو يقرأ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] فكيف بما هو به مؤمن هذا هو العجب العجاب وقد تقدم قولنا: إن السيف آلة لك وأنت والسيف آلة له. وقال: الأولى أن يقال: الخلق يكون عند وجود الآلة حقيقة لا بالآلة والله أعلم.

وقال: التسبيح تجريح لأن المنزه لا ينزه إلا على سبيل الحكاية ونظير ذلك عدم العدم فإنه وجود فليس في الحق تقص حقيقة ينزه عنه وإيضاح ذلك أن التقديس الذاتي يطلب التبري من تنزيه المتنزهين فإنهم ما نزهوا حتى تخيلوا وتوهموا وما ثم متخيل ولا متوهم يتعلق به أو يجوز أن يتعلق به فينزه عنه بل هو القدوس لذاته وأطال في ذلك.

وقال: من قتله أعداء الله ما مات بل جمع له بين الحياتين فإن الله تعالى اعتنى بيحيى صغيراً وسلط عليه الجبار فقتله كبيراً وما حماه منه ولا يضره ذلك لأن الصغير إنما اعتنى به رحمة به لضعفه فإذا كبر وكل إلى نفسه فإن بقي في كبره بحكم صغره من الضعف صحبته الرحمة وإن ادعى القوة المجعولة ونسي ضعفه الذي كان له في صغره أضاعه الله في كبره برد الضعف إليه، وتأمل الصغير كيف يقبل ويضم إلى الصدر مع استقدار بدنه وثيابه ويشتهي والده حياته والكبير يستقدر ولا يقبل ويتمنى أهله موته.

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠]: والتمني من العمل فمن تمنى أنه لو كان له مال تصدّق به أعطاه الله ثواب من أنفق ذلك المال من غير كد ولا نصبٍ. وقال: لولا عرف طيب أنفاس الأحبة ما فاح المسك لمستنشق أما عرف مقدار طيب والأنفاس وما تعطيه من المعارف الإلٰهية إلا البهائم ألا تراها تشم بعضها بعضاً عند اللقاء ولا تمر بشيء إلا وتميل برؤيتها إليه تشمه وقال: إذا رأيتم العارف يثبت عند واردات الحق ولا يصعق ولا يفنى ولا يندك جبل هيكله فاعلموا أنه محبوب ولكن له علامة وهو أنه إذا كان حاله لا يراه خلق إلا صعق إلا أن يكون مثله

فما ثبت لتجلي الحق تعالى وأما من يغشى عليه في حاله ويتغير عن هيئته التي كان عليها أو يصعق أو يصيح أو يضطرب أو يفنى فاعلموا أنه غير محبوب وما عنده من الحق شمسه.

قلت: المراد بالواردات الأحوال الباطنة لا المحسوسة لقوله تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣] مع أنه محبوب بإجماع فافهم.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ﴾ [طه: ١٣٠]: اعلم أن المراد بأطراف النهار الصباح والمساء فالمساء ابتداء الليل والصباح انتهاء الليل والنهار هو ما بين الابتداء والانتهاء كما أن الليل كذلك ما بين الانتهاء والابتداء وقد أمرنا الحق تعالى بالتسبيح آناء الليل وأطراف النهار وما تعرض لذكر النهار في هذا الحكم لأنه قال: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلًا﴾ [المزمل: ٧] أي فراغاً فالنهار لك والليل وأطراف النهار لي، ومن كان مشتغلاً بالله في الليل وأطراف النهار كان الله له في النهار لأنه استعداد للتفرغ للحق في الليل والأطراف.

وقال: الشريعة لب العقل والحقيقة لب الشريعة فهي كالدهن في اللب الذي يحفظه القشر فاللب الذي يحفظ الدهن والقشر يحفظ اللب كذلك العقل يحفظ الشريعة والشريعة تحفظ الحقيقة ومن ادعى شرعاً بغير عقل لم تصح دعواه كما أن من ادعى حقيقة بغير شرع لا يقبل.

وقال: جمال صورتك في الآخرة يكون على قدر خواطرك المحمودة في الشريعة هنا وقبح صورتك في الآخرة يكون على قدر قبح خواطرك المذمومة فاجهد في نفسك قبل أن لا ينفعك الندم. وقال: مرتبتك عند الله في التعظيم على قدر تعظيمه في قلبك وحيائك منه فإن اعتنيت به اعتنى بك وإن استحييت منه استحيا منك وإن لم تبال به لم يبال بك فميزانك بيدك، فإن شئت أرجح وإن شئت أخسر لا تلم إلا نفسك.

وقال: العلم يقتضي العمل فمن قال: إن العلم يوجد بغير عمل فدعواه باطلة ومنزع ذلك دقيق جداً من أجل مخالفة المتعدين حدود الله من المؤمنين، فربما يقال: لو كانوا عالمين ما خالفوا، وهم عالمون بلا شك بأن

الله تعالى حد لهم حدوداً معينة حرم الله عليهم تعديها فعلمهم بذلك عمل بالعلم ضرورة وما هم عالمون بمؤاخذة الله تعالى من عصاه على التعيين، فما عصى إلا من ليس بعالم بالمؤاخذة فعلم أنه ما خالف عالم علمه قط بل هو تحت تسخير علمه فتأمل فإنه دقيق.

وقال: الأمر الإلٰهي لا يخالف الإرادة الإلٰهية أبداً لأنها داخلة في حده وحقيقته وإنما جاء الالتباس في تسميتهم صيغة الأمر أمراً وليست بأمر لمن تأمل، فإن الصيغة مرادة بلا شك وهذه الصيغ هي التي وردت على ألسنة المبلغين وعصيت فما عصى أحد قط أمر الله إلا بهذا الاعتبار. قال: بهذا علمنا أن النهي لآدم عن قرب الشجرة إنما كان بصيغة لغة الملك الذي أوحى إليه به فما وقع لعصيان إلا لصيغة المترجم عن أمر الله بلغة نفسه لا لحقيقة أمر الله فتأمل ذلك فإنه دقيق.

وقال: أخسر الأخسرين شاهد يشهد على نفسه كما أن أسعد السعداء من شهد لنفسه فهو في الطرفين مقدم على مرتبة من شهد عليه غيره وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين فأشقوا نفوسهم بشهادتهم ولو أنهم علموا الأمر على ما هو عليه لذبوا عن نفوسهم وشهدوا عليها بالفعل لا بالحكم الذي هو المعصية فإن الجوارح لا تعرف إذا شهدت إلا الفعل خاصة وأما الحكم فلا، فلو شهدوا بالفعل فقط لكان أقل فضيحة وأستر ممن شهد على نفسه بصريح المخالفة والكفر فافهم.

وقال في حديث «إن أصحاب الجنة محبوسون»: إنما حبسوا عن الجنة لخروجهم بالمال عن أصلهم الذي هو الفقر مع أن العبد كلما أنفق أخلف الله عليه أضعاف ما أنفق فزاده حجاباً ولو أنهم وقفوا مع صفة فقرهم ولم يطلبوا الغذاء بمضاعفة الحق لهم ما أنفقوه ما كان الحق تعالى يعطيهم إلا ما فيه قوامهم لا غير.

وقال: لما انتقل العلم من الكون إليه بظاهر قوله: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ [محمد: ٣١] سكت العارف على ما قيل وما تكلم وتأول عالم النظر هذا القول حذراً مما يتوهم ومرض قلب المتشكك وتألم وسربه العالم بالله ولكنه تكتم فقال

مثل قول الظاهري الله أعلم فالإلٰهي علم والمحدث سلم فاحمد الله الذي علمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً؛ وأطال في ذلك ثم قال: فعلم أن العلم المستفاد للعليم يعم الحديث على هذا والقديم وإن عاندت فافهم قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ [محمد: ٣١] وبما حكم على نفسه فاحكم كنظائره من آيات الصفات، وإن سئلت عن كيف ذلك فقل الله أعلم. وقال: الذي يظهر لي أن الحق تعالى إنما قال مثل ذلك امتحاناً لعباده ليتبين لهم مقامهم والإيمان هل يغلب إيمانهم على عقلهم فيؤمنوا بذلك من غير توقف أم يغلب حكم عقلهم على إيمانهم فيخسروا والله أعلم. وقال: للدنيا حكم ليس لأختها والأم لا تنكح على بنتها ومن اتبع المتشابه فقد ضل وزاغ وما على الرسول إلا البلاغ والله أعلم.

وقال في الباب الموفي ستين وخمسمائة وهو آخر الأبواب: اعلم أن يد الله التي هي القوة مع الجماعة وما غلبت قط جماعة إلا عند افتراقهم وكذلك جماعة القائمين بالدين لا يغلبون قط في أمرٍ قاموا فيه وكل من عارضهم خذل فإذا تفرقوا غلبوا وكذلك جماعة أعضاء الإنسان إذا اجتمعت لا يغلبها قط شيطان فإذا تفرقت غلبت.

وقال: إذا أشعرت قلبك ذكر الله دائماً في كل حال فلا بد أن يستنير قلبك بنور الذكر فيرزقك ذلك النور الكشف وإذا جاءك الكشف جاء الحياء يصحبه دليلنا على ذلك استحياؤك من جارك وممن ترى له حقاً وأطال في ذلك.

وقال في حديث «من هم بحسنة فلم يعملها فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعملها»: «ما» هنا ظرفية فكل زمان يمر على العبد وهو يحدث نفسه بعمل تلك الحسنة فإن الله يكتب له حسنة بلغت تلك الأزمنة من العدد ما بلغت فله بكل زمان حدث نفسه بعمل تلك الحسنة حسنة. قال: وكذلك القول إذا حدث نفسه بعمل سيئة فإن ما فيها ظرفية كما قلنا في الحسنة سواء من أنه يكتب عليه سيئة ما دام يحدث نفسه بعملها بالغاً ذلك الزمان ما بلغ؛ ثم إن العبد إذا عمل الحسنة التي حدث بها نفسه أو السيئة التي حدث بها نفسه فإن الله يكتب الحسنة بعشر والسيئة بواحدة عملاً بالعدل في الثانية والفضل في

الأولى.

وقال: أعلى المشاهد في السماع من الحق بالقلب أن تحضر بقلبك مع روح محمد ﷺ فتسمع ما يخاطب به الحق رسول الله ﷺ فإن خطابه لنبيه ليس كخطابه إياك وحدك لأن حضرة الربوبية ربما يسمع العبد فيها ما لا يقال فتكون في ذلك تبعاً لنبيك فإن قال فقل، وإن كتم فاكتم، وما من حضرة يكون فيها شخص أكبر من نبي أو ولي إلا وكلمة الحضرة مصروفة إليه. وقال: أكابر الرجال أغناهم العيان عن الإيمان لقوتهم على تحمل الأمانة ولو ضعفوا لحجبوا بالإيمان عن العيان ومن هنا كفّر الناس من أفشى أسرار الحضرة ونعم ما فعلوا.

وقال: من كمل في مقام العرفان شاهد الاسم الذي بيده الختم الإلٰهي الذي يختم به على قلوب أصحاب النبوات والرسالات والولاية أن يدخلها كون بعد أن شهدت جمال الحق إلا على وجه الخدمة والأمر ثم يخرج ذلك الكون بسرعة من القلب، ثم إن ما وقع بعد ذلك الختم من تعلق الخاطر بحب جارية مثلاً فإنما ذلك بحكم الطبع لا بمنزلة السر الرباني المختوم عليه الذي هو بيت. قال: وأما أسرار العامة فقد ختم عليها والظلمة والعمى فيها فلا تخلص لمحبة الله فهي تخبط خبط عشواء.

وقال: عليك بالبحث عن منازع الاعتقادات لتعرف مواطن تنكرات الحق إذا تجلى بخلاف معتقدك في الآخرة فإن كل من لا معرفة له بمراتب التنكرات والتجليات يخشى عليه من الفضيحة فيرجع يقر بما كان ينكره أولاً وهذه الحقيقة هي التي تمد المنافقين في نفاقهم والمرائين في ريائهم ومن جرى مجراهم.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ٥٤]: المراد بمكر الله هو مكر الله تعالى بهم فمكرهم هو العائد عليهم فللمكر مسالك يخرج عليها فافهم.

وقال في قوله ﷺ: «أصدق بيت قالته العرب ألا كل شيء ما خلا الله باطل»: اعلم أن الموجودات كلها وإن وصفت بالباطل فهي حق من حيث

الوجود ولكن سلطان المقام إذا غابت على صاحبه يرى أن ما سوى الله باطل من حيث أنه ليس له وجود من ذاته فحكمه حكم العدم. قال: وهذا من بعض الوجوه التي يمتاز الحق تعالى به من كونه موجوداً عن وجود خلقه مع أنه على الحقيقة ليس بينه وبين خلقه اشتراك بوجه من الوجوه.

وقال: لما كان الإنسان نسخة جامعة للموجودات كلها كان فيه من كل موجود حقيقة بتلك الحقيقة ينظر إلى ذلك الموجود وبها تقع المناسبة فمتى ما أوقفك الحق تعالى على عالم من العوالم أو موجود من الموجودات فقل لذلك الموجود بلسان تلك الحقيقة أنا معك بكليتي ليس أنا غيرك وأنا معك بالذات فإذا سمع ذلك اصطفاك وأعطاك جميع ما في قوته من الخواص والأسرار وهذا لا يتحقق به إلا من ذاق تجلي معية الحق مع كل شيء.

وقال: ما استكبر مخلوقٌ على آخر إلا لحجابه عن معية الحق تعالى مع ذلك المخلوق الآخر ولو شهدها لذل وخضع.

وقال: كل من قيده الظرف فهو محصور في قيد الأين محبوسٌ في ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً من عنده فما له من نور من ذاته. وقال: إذا عُوين الحق تعالى فلا يعاين إلا من حيث العلم والمعتقد والله أجل وأعز من أن يشهد على وجه الإحاطة. وقال: احذر أن تدعي الوصلة وجمع الشمل فإني أخاف عليك أن يكون جمعك بك لا به فتكون في عين الفصل والفراق فلا تغالط نفسك. قال: وعلامة صِحَّةِ الوصلة بمشاهدة الحق أنك إذا عكست مرآة قلبك إلى الكون عرفت جميع ما في ضمائر الخلق ويصدقك الناس على ذلك الكشف. وقال: من كان يأخذ معرفته للحق من الحروف فهو جاهل به فإن الحروف التي أخذ عنها معرفته تحجبه، قال: وهذا من الذين يعبدون الله على حرف وليس له رائحة من نفحات الجود بل أخذه من الحرف فهو من الكون إلى الكون يتردد بداية ونهاية، وإن لهذا أجر الاجتهاد والدرس، فالأجر كون أيضاً فما خرج هذا من رق الكون ووثاق الحرف.

وقال: من كان من أهل الكمال فهو محجوب عن غيب الأكوان حتى

إنه لا يعرف ما في جيبه ولا يفرق بين المحسوسات مع كونها بين يديه جهلاً بها لا غفلة عنها ولا نسياناً وذلك لما حققه الحق به من حقائق الوصال؛ قال سيد هذا المقام «أنتم أعرف بمصالح دنياكم».

وقال: إياكم أن تعترضوا على المجتهدين وتجعلوهم محجوبين على الإطلاق فإن لهم القدم الراسخ في الغيوب وإن كانوا يحكمون بالظنون فظنونهم علوم وما بينهم وبين أهل الكشف إلا اختلاف الطريق لكن أهل الكشف يدعون إلى الله على بصيرة لصدقهم في الاتباع بوقوفهم على حد ما ورد وأهل الاجتهاد يحكمون اليوم بحكم ثم يرجعون عنه غداً فليسوا على بصيرة إذ البصيرة لا يرتفع حكمها إلا بوٌرود أمر جديد من الشارع. وقال: من الأولياء من يتكلم على الخاطر وما هو مع الخاطر ومنهم من يطلع على الأقدار قبل نزولها إلى الأرض فإن القضاء يدور في الجو من مقر فلك القمر إلى الأرض ثلاث سنين وحينئذ ينزل، وهذا المقام يسميه القوم فهم الفهم.

وقال: الكامل لا يقول: اللّهم لا تفضح سرائرنا لاستواء سريرته وعلانيته وإنما يقول ذلك من لم يبلغ مقام الكمال. قال: ولقد بلغني عن الشيخ أبي الربيع المالقي الكفيف الأندلسي أنه سمع تلميذه أبا عبد الله القرشي المبتلى يقول: اللّهم لا تفضح لنا سرائرنا فقال له الشيخ: يا محمد، ولأي شيء تظهر للحق ما لا تظهر للخلق هلاّ استوى سرك وعلانيتك مع الله؟ فتنبه القرشي واعترف واستعمل ما دله عليه الشيخ وأنصف فرضي الله عنهما من شيخ وتلميذ.

وقال: إذا جمعك الحق به فرقك عنك فكنت صاحب تأثير في الوجود، وإذا جمعك بك فرقك عنه فقمت في مقام العبودية فهذا مقام الخلافة فاختر أي الجمعين شئت. قال: ولا يخفى أن جمعك بك أعلى من جمعك به، لأن جمعك بك يكون الحق مشهودك، وفي جمعك به غيبتك عنك باشتغالك به عن مقام عبوديتك فافهم.

وقال: احذر من لذة الأحوال فإنها سموم قاتلة وحجب مانعة، فإنها أي الأحوال تسيدك على أبناء الجنس فيستعبدهم لك قهر الحال فتسلط عليهم

بنعوت الربوبية وأين أنت في ذلك الوقت مما خلقت له فعليك بالعلم فإنه أشرف مقام لأنه لا يزيدك إلا معرفة بنقائصك، قال: والأحوال كالبروق فكما لا تفوتك فكذلك لا تفوتها أنت فإنها نتائج الأوراد وكل من طلب ما لا بد له منه فهو جاهل وما اتّخذ الله من ولي جاهل.

وقال: العارف لا يأمن مكر الله طرفة عين وقد يكون ممن صار يسمع نداء الحق فيرجع من ذلك المقام ويحجب عن سماع الحق بشهود الكون فيتولّد عنده صمم عن سماع نداء الحق فإذا نودي من الكون سمع فضل وأضل نعوذ بالله من ذلك.

وقال: إياك أن تدعي معرفة ذات خالقك فإنك في المرتبة الثانية من الوجود وإن فنيت، فما عرف الواحد تعالى إلا هو فجل معنى التوحيد عن الذوق وما لنا منه سوى التجريد وهو المعبر عنه عند القوم بالتوحيد. وقال: لو كان الحق تعالى علة لارتبط والمرتبط لا يصح له الكمال فهو تعالى خالق العلل.

وقال: اجتمعت روحي بالحلاج فقلت له: لم تركت بيتك يخرب؟ فتبسم، وقال: لما استطالت عليه أيدي الأكوان حين أخليته وخلفت هارون في قومي استضعفوه لغيبتي فأجمعوا على تخريبه فلما هدموا من قواعده ما هدموا وكنت قد فنيت رددت إليه بعد الفناء فأشرفت عليه وقد خلت به المثلات فأنفته نفسي وقلت: لا أعمر بيتاً تحكمت فيه يد الأكوان فانقبضت عن دخوله فقيل: مات الحلاج والحلاج ما مات ولكن البيت خرب والساكن ارتحل. وقال: ولما غاصت رجل جمل ابن عطاء، قال ابن عطاء: جلّ الله، فقال الجمل: جل الله عن إجلالك هذا فإنه كما يطلبه الرأس من فوق كذلك تطلبه الرجل من أسفل؛ وفي الحديث: «لو دليتم بحبل لهبط على الله». قال: فكان الجمل أعرف بالله من ابن عطاء وكان من مشايخه.

وقال: التوحيد الذي يستحقه الحق لا يعرفه إلا الحق فإذا وجدناه فإنما نوحده بتوحيد الرضا ولسانه فإن توحيد الاستحقاق لا يكون معه علمٌ ولا همٌّ ولا اختيار ولا شيء، والعاقل لا يدخل داراً لا يعرفها فربما كان فيها مهاوي ومهالك فيهلك لا يعرف الدار إلا بانيها وقد مناك الحق تعالى داراً له لتعمرها

به ما أنت بنيتها ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [الواقعة: ٥٨ ـ ٥٩] فقف عند باب دارك حتى يأخذ الحق بيدك ويمسك فيك.

وقال: كم ماش على الأرض والأرض تلعنه وكم ساجد عليها وهي لا تقبله، وكم داعٍ لا يتعدى دعاؤه لسانه ولا خاطره محله وكم من ولي حبيب في البيع والكنائس وكم من عدو بغيض في الصلوات والمساجد حقت الكلمة ووقفت الحكمة ونفذ الأمر، فلا زيادة ولا نقصان، لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه، انقطعت الرقاب وسقط في الأيدي وتلاشت الأعمال وطاحت المعارف وقصمت الظهور بقوارع الدهور وأهلك الكون السلخ والخلع يسلخ من هذا ويخلع على هذا.

وقال: أكثر من قول: لا إله إلا الله فإنها كلمة الإسلام وهي أفضل الذكر لما تحتوي عليه من زيادة العلم لجمعها بين النفي والإثبات. وقال: إياك ومعاداة أهل لا إله إلا الله فإن لهم من الله الولاية العامة، فهم أولياء الله وإن أخطأوا أو جاءوا بقراب الأرض خطيئة لا يشركون بالله شيئاً فإن الله يتلقاهم بمثلها مغفرة ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته وكل من لم يطلعك الله على عداوته لله فلا تتخذه عدواً، وأقل أحوالك إذا جهلته أن تهمل أمره فإذا تحققت أنه عدو لله وليس إلا المشرك فتبرأ فلا تعاد عباد الله بالإمكان ولا بما ظهر على اللسان وإنما تعاديهم بالعلم وأنى لك به. وأطال في ذلك، ثم قال: وعليك بالشفقة والرحمة لجميع خلق الله من حيوان ونبات وجماد، ولا تقل هؤلاء ما عندهم خبر بما نفعله معهم، نعم معهم الخبر، وأنت الذي ما عندك خبر. وقال: احذر أن تحتقر شيئاً من عملك فإن الله ما احتقره حين خلقه وأوجده وما كلفك بفعل أمر إلا وله بذلك الأمر اعتناء وعناية حتى كلفك به مع كونك أعظم في الرتبة عنده من حيث كونك محلاً لما كلفك به من الفعل وسبباً لوجوده فلولاك ما ظهر للعمل صورة عليك بمراعاة أقوالك كما تراعي أعمالك فإن قولك معدود من جملة أعمالك وفي الحديث: «إن الله عند لسان كل قائل» فما نهاك الله أن تتلفظ به فلا تتلفظ به وإن لم تعتقده فإن الله سائلك عنه وعليك بمراعاة الحق فيما أعطاك وفيما منعك فإنه ما منعك إلا لتصبر فيحبك فإنه يحب الصابرين، وما أعطاك إلا لتشكر فيحبك فإنه يحب الشاكرين.

وقال في حديث: «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم»: إنما قال: «ولجاء بقوم» وما اكتفى بإذهابهم لئلا تتعطل الأحكام الإلٰهية؛ فإنه تعالى ما قضى على عباده بالوقوع في الذنوب إلا ليستغفروه فيغفر لهم.

وقال: الاتباع في ترك تسنين ما سكت عنه الشارع ﷺ أولى من التسنين وأكثر أجراً وإن كان ذلك بدعة حسنة فإن من سن فقد كلف الأمة ما يشق عليها ولو كان ذلك محموداً لكان ﷺ أولى به فاجعل بالك لما ذكرته لك فعلم أن كل من لم يكلف الأمة بأكثر مما ورد فهو حكيم الزمان فإنه لا أعلى مما وضعه الكامل المكمل.

وقال: قم في الأسباب من غير اعتماد عليها فإن الله ما نهاك عن القيام في الأسباب وإنما نهاك عن الركون إليها والاعتماد عليها كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] يعني هذا الشرك الخفي الذي هو الاعتماد على الأسباب فإن رأيت نفسك يا أخي تسكن إلى الاعتماد على الأسباب فاتّهِمْ إيمانك وإن رأيت نفسك يتساوى عندها فقد السبب المعين وحالة وجود السبب، فاعلم أنك مؤمن حقاً وهناك يرزقك الله من حيث لا تحتسب فمن ادّعى كمال التوكل ورزق من حيث يحتسب فما هو ذلك الرجل. قال: ومن الرزق الذي لا يحتسبه العبد أن يأكل مما في خزائنه وتحت تصريفه وهو غير معتمد عليه ولأنه ليس في حسابه أن الله يرزقه ولا بد من الذي هو حاصل عنده فما رزق هذا إلا من حيث لا يحتسب، وقال: وهذا أمر دقيق لا يشعر به إلا أهل الله عز وجل فاعلم ذلك.

وقال: احذر أن تريد في الأرض علواً أو فساداً أو الزم الذل والانكسار والخمول، فإن أعلى الله تعالى كلمتك فما أعلاها إلا الحق وذلك بأن يرزقك الرفعة في قلوب الخلق وإيضاح ما قلناه أن الله تعالى ما أنشأك إلا من الأرض فلا ينبغي لك أن تعلو على أمك واحذر أن تتزهد وتتعبد وتتكرم وفي نفسك استحلاء ذلك لكونه يرفعك على أقرانك فإن ذلك من إرادة العلو في الأرض. وقال: إنما رغب الشارع أمته في ترك الجدال والمراء وإن كان محقاً خوفاً أن يسمع ذلك من لا فهم له فيعمل بذلك المذهب الباطل مثلاً

حين ترك صاحبه ظاهر الحجة والمغالبة على خصمه، ثم إن النفس ربما تخدع صاحبها وتقول له: إنما تجادل لنصرة الحق أو لتنقيح الذهن لنصرة الأقوال الواهية التي قام بها إمام مذهبه وما علم هذا أن الله عند لسان كل قائل بل المجادل في عين حضرة الحق وإن لم يشعر وإذا كنا نهينا عن رفع أصواتنا بحضرة الأكابر فكيف بحضرة الحق تعالى فافهم.

وقال: لما رأى أهل الله أن العبد لا يقدر أن يأتي بخلقٍ كريم يوافق مزاج كل الناس أشغلوا نفوسهم بما يرضي الله عز وجل فقط، فالمؤمن يرضيه ما يرضى به الله، والمنافق لا يبالي إذا سخط علينا في ذلك لأنه عدو الله.

وقال: عليك بمشاركة جميع أصحاب الهموم والرزايا في أنفسهم وأموالهم وأولادهم وإخوانهم إن أردت أن تثبت لك أخوة الإيمان فإن الله قد واخى بين المؤمنين كما واخى بين أعضاء الإنسان الواحد، واحذر من الاكتراث بما يصيبك من الرزايا في هذه الدار فإن الله ما ابتلاك بها إلا تمحيصاً لذنوبك حتى تلقاه طاهراً مطهراً من الذنوب فاشكر الله على ذلك.

وقال: عليك بتلاوة القرآن ولو ثلاثة أحزاب كل يوم ولا تهجره كما يفعل ذلك طلبة العلم وبعض المتصوفة زاعمين أنهم قد اشتغلوا بما هو أهم من ذلك وهو كذب وزور فإن القرآن مادة كل علم في الدنيا فلا تكن ممن يهجر تلاوته بل اتله إن استطعت آناء الليل وأطراف النهار واستنبط منه ما شئت من العلوم، كما كان عليه الأئمة المجتهدون وانظر في تلاوتك يا أخي إلى كل صفة مدح الله بها عباده فافعلها أو اعزم على فعلها وكل صفة ذم الله تعالى عباده على فعلها فاتركها أو اعزم على تركها فإن الله ما ذكر ذلك ونزَّله في كتابه إلا لتعمل به فإذا حفظت القرآن عن تضييع العمل به كما حفظته تلاوة فأنت الرجل الكامل. وقال: حياة الذاكر لله عز وجل متصلة دائمة لا تنقطع بالموت فهو حي وإن مات كانت حياته أحيا وأتم من حياة الشهيد في سبيل الله إلا أن يكون الشهيد من الذاكرين الله كثيراً فإن له حينئذ حياتان حياة الشهادة وحياة الذكر، فالذاكر لله حي وإن مات وتارك الذكر ميتٌ وإن كان في الدنيا حياً بحياته الحيوانية. وفي الحديث «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر

ربه مثل الحي والميت» فيخرج من ذلك أن حياة الذاكرين من حياة الشهيد إذا لم يكن من الذاكرين. وفي الحديث: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فيضرب رقابكم وتضربوا رقابهم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «ذكر الله» فذكر ضرب الرقاب وهو الشهادة.

وقال: عليك بعلم الشريعة فإن الشريعة هي سفينتك التي إذا انحرفت هلكت وهلك جميع من فيها وأنت مسؤول عن إقامة حدود الله في رعيتك الخارجة عنك والداخلة فيك ولا تعرف إقامة الحدود عليها إلا بمعرفة شرع ربك.

وقال: اخلف إيعادك لا وعدك وسم إخلاف إيعادك تجاوزاً حتى لا تسمى أنك مخلف ما أوعدت به ولو كان شراً، فإن الأحكام تتبع الأسماء كما سئل مالك رحمه الله عن خنزير البحر فقال: هو حرام فقيل له: إنه سمك من حيوان البحر فقال: أنتم سميتموه خنزيراً ما قلتم: ما تقول في سمك البحر؟ قال: وهذا الذي قررناه كان سبب وقوع المعتزلة فيما وقعوا فيه من القول بإنفاذ الوعيد؛ قالوا: لاستحالة الكذب على الله في خبره وما علمت المعتزلة أن مثل ذلك لا يسمى كذباً في العرف الذي نزل به الشرع فحجبهم دليلهم العقلي عن علم الوضع الحكمي وهذا من قصور العقول وفوقها وفي كل موطن مع أدلتها ولا ينبغي لها ذلك بل الذي كان ينبغي لها النظر إلى المقاصد الشرعية في الخطاب ومن خاطب وبأي لسان خاطب وبأي عرف أوقع المعاملة في تلك الأمة المخصوصة. قال بعض الأعراب في مكارم أخلاقه:

وإني إذا أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

لكن لا ينبغي أن يقال في حق الحق تعالى: إنه مخلف بل يقال: إنه غفور متجاوز عن عبده والله أعلم بالصواب.

[خاتمة]

ولنختم الكتاب بجملة صالحة في الكلام على يوم القيامة وما يقع فيه وعلى الجنة والنار أعاذنا الله تعالى منها بفضله وكرمه آمين ملخصاً من أبواب «الفتوحات المكية» مشيداً بكلام بعض مشايخنا:

اعلم أن الله تعالى إذا أمر إسرافيل أن ينفخ في الصور بعثر ما في القبور ثم حشر الخلق من الناس والوحوش بعد أن أخرجت الأرض أثقالها ولم يبق في بطنها سوى عينها جيء بالعالم كله إلى الظلمة التي دون الحشر فألقوا فيها حتى لا يرى بعضهم بعضاً ولا يبصرون كيفية التبديل في السماء والأرض حين تقع فتمد الأرض مد الأديم وتبسط حتى لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، وسميت ساهرة لأنه لا نوم فيها إذ لا نوم لأحد بعد زوال الدنيا ثم وضع الصراط من الأرض علواً على استقامة إلى سطح الفلك المكوكب فيكون منتهاه إلى المرج الذي هو خارج سور الجنة. قال: وأول جنة يدخلها الناس جنة النعيم وأما المأدبة فتكون في المرج وهي در مكة بيضاء نقية فيأكل منها أهل المأدبة ثم يقوم بعضهم فيقطف من الثمار المدلاة من فروع أشجار الجنة على السور وتوضع الموازين في أرض المحشر لكل مكلف ميزان تخصه ويضرب سور الأعراف بين الجنة والنار، وقد جعله الله مكاناً لمن اعتدلت كفتا ميزانه فلم ترجح إحداهما على الأخرى، واعلم أن معنى قولنا: أن لكل مكلف ميزاناً تخصه أن كل واحد يتلون له الميزان بصورة ما كان العبد عليه في دار الدنيا وهو واحد في نفسه لا موازين متعددة هكذا أطلعنا الله عليه في واقعة من الوقائع وقد خلق الله تعالى جسد الإنسان على صورة الميزان وجعل كفتيه يمينه وشماله وجعل لسانه قائمة ذاته فهو لأي جانب مال، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمٰن: ٩] يعني بالميل إلى المعاصي والوقوع فيها وقد قرن الله تعالى الساعدة بالكفة اليمين والشقاء بالكفة اليسار، فالاعتدال سبب البقاء والانحراف سبب الهلاك، قال: وموازين الآخرة كلها تدرك بحاسة البصر كموازين أهل الدنيا ولكنها ممثلة عكس الدنيا فهي كتمثل لأعمال سواء ثم إذا وضعت الموازين لوزن الأعمال جعلت فيها كتب الخلائق الحاوية لجميع أعمالهم لكن الظاهرة

فقط دون الباطنة لأن الأعمال الباطنة لا تدخل الميزان المحسوس أبداً لكن يقام فيها العدل وهي الميزان الحكمي المعنوي فمحسوس لمحسوس ومعنى لمعنى يقابل كل بمثله. قال: وآخر ما يوضع في الميزان الحمد لله ولهذا ورد «والحمد لله تملأ الميزان» قال: وإنما لم تكن لا إله إلا الله تملأ الميزان كالحمد لله لأن كل عمل من أعمال الخير يقابله عمل آخر من جنسه ليجعل هذا الخير في موازنته ولا يقابل لا إله إلا الله إلا الشرك ولا يجتمع توحيد وشرك في ميزان واحد من الخلق أبداً، بخلاف غير الشرك من سائر المعاصي فإن الإنسان إن كان يقول: لا إله إلا الله معتقداً لها فما أشرك وإن أشرك فما اعتقد لا إله إلا الله، فلما لم يصح الجمع بينهما لم تدخل لا إله إلا الله الميزان لعدم ما يعادلها في الكفة الأخرى.

قال: وأما صاحب السجلات فإنما دخلت لا إله إلا الله ميزانه لأنه كان يقول: لا إله إلا الله معتقداً لها لكنه لم يعمل معها خيراً قط إنما عمل معها سيئاتٍ فتوضع لا إله إلا الله في مقابلة التسعة وتسعين سجلاً من السيئات فترجح كفة لا إله إلا الله بالجميع وتطيش السجلات فلم ينقل مع اسم الله شيء فإذا فرغ الناس من الموازين وقفت الحفظة بأيديهم الكتب التي كتبوها في الدنيا من أعمال المكلفين وأقوالهم ليس فيها شيء من اعتقادات قلوبهم إلا ما شهدوا به على أنفسهم بما تلفظوا به من ذلك، فعلقوها في أعناقهم بأيديهم فمنهم من يأخذ كتابه بيمينه ومنهم من يأخذه بشماله ومنهم من يأخذه من وراء ظهره وهم الذين نبذوا الكتاب وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً وليس أولئك إلا الأئمة المضلين الضلال الذين ضلوا وأضلوا.

قال: واعلم أن الذي يعطى كتابه بيمينه هو المؤمن وأما الذي يعطى كتابه بشماله فهو المنافق لأن المشرك لا كتاب له يقرأ ولذلك يقول الله عز وجل للمنافق: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤] وقد عقب الله عز وجل الذي يأخذ كتابه بشماله بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٣٣] فسلب عنه الإيمان دون الإسلام، لأنه كان منقاداً للإسلام في ظاهره ليحفظ أهله ودمه وماله وهو في باطنه إما مشرك أو معطل أو متكبر أو كافر بخلاف الإيمان فإنه من أعمال القلوب لا يطلع عليه أحد.

قال: وأما الذين يأخذون كتبهم من وراء ظهورهم فهم الذين أوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم فإذا كان يوم القيامة قيل للواحد منهم: خذ كتابك من وراء ظهرك أي من الموضع الذي نبذته فيه في حياتك الدنيا فهو كتابهم المنزل إليهم لا كتاب الأعمال فإنه حين نبذه وراء ظهره ظن أن لن يحور أي: تيقن أن لن يرجع، وهذا هو الذي يقول الله عز وجل له يوم القيامة حين يعاتبه ويقرره: أظننت أنك ملاقي الحديث ثم جيء بالحوض يتدفق ماؤه عليه من الأواني على عدد الشاربين منه لا تزيد ولا تنقص يرمى فيه أنبوبان أنبوب ذهب وأنبوب فضة وهو لزيق بالسور، ومن السور ينبعث الأنبوبان فيشرب منه المؤمنون، واعلم أن الحوض والصراط يتلونان لشاكلة العلم والعمل وهما حقيقتا الشريعة وعلومها فالحوض علومها والصراط أفعالها فعلى مقدار الإحاطة بعلم الشريعة يكون الشرب من الحوض، وعلى مقدار اتباع الشريعة يكون المشي والاستقامة على الصراط فكل من ضيق على نفسه بالورع عن كل ما كرهه الله اتسع عليه الصراط وكل من ترك الورع هنا ضاق عليه الصراط هناك بقدر ما فر، فالصراط حقيقة إنما هو هنا لا هناك لأنه لا يمشي العبد هناك إلا على الصراط الذي أنشأه بأعماله في دار الدنيا من الأعمال الصالحة أو غيرها فهو في دار الدنيا باطنٌ لا يشهد له صورة حسية يمد للعبد يوم القيامة جسراً ممدوداً على جسر جهنم محسوساً أوله في الموقف وآخره على باب الجنة كما مر يعرف كل عبد إذا شاهده أنه بناؤه بجوارحه وصنعته بيده.

قال: ولا يمشي كل إنسان على الصراط إلا في نور نفسه فقط لأن الصراط لا نور له في نفسه ولا يمشي أحد عليه في نور أحد نسأل الله اللطف، ثم يؤتى بمنابر من نور مختلفة في الإضاءة واللون فتنصب في تلك الأرض ويؤتى بالأنبياء يقومون فيقعون عليها قد غشيتهم الأنوار لا يعرفهم أحد في رحمة إلى الأبد عليهم من الخلع الإلٰهية ما تقر به أعينهم ويأتي كل إنسان معه قرينه من الشياطين والملائكة وتنشر الألوية ذلك اليوم للسعداء والأشقياء بأيدي أئمتهم الذين كانوا يدعونهم إلى الحق أو الباطل وتجتمع كل أمة إلى رسولها من آمن منهم ومن كفر، وتحشر الأفراد والأنبياء بمعزل من

الناس بخلاف الرسل فإنهم أصحاب العساكر فلهم مقام يخصهم، وقد عين الله عز وجل في هذه الأرض بين يدي عرض الفصل والقضاء مرتبة عظمى امتدت من الوسيلة التي في الجنة تسمى المقام المحمود وهو لمحمد ﷺ خاصة، ويأتي ملائكة كل سماء على حدة متميزة عن غيرها فتكون سبع صفوف أهل كل سماء صف والروح قائم مقدم الجماعة وهو الملك الذي نزل بالشرائع على الرسل، ثم يؤتى بالكتب المنزلة والصحف المكرمة وخلف كل كتاب من نزل من أجلهم فيمتازون عن أصحاب الفترات وعمن تعبد نفسه بكتاب لم ينزل من أجله وإنما دخل فيه وترك ناموسه لكونه من عند الله وكان ناموسه عن نظر فكري من عاقل مهدي، ثم يأتي الله عز وجل على عرشه وملائكته الثمانية تحمله فيضعونه في تلك الأرض والجنة عن يمين العرش والنار من الجانب الأخر، وقد عمت الهيبة الإلٰهية قلوب أهل الموقف من إنسان وملك وجان ووحش فلا يتكلمون إلا همساً بإشارة عين وخفي صوتٍ ثم ترفع الحجب بين الله وبين عباده وهو كشف الساق ويأمرهم داعي الحق بالسجود المعهود فلا يبقى أحد سجد لله خالصاً إلا سجد ولا سجد رياء اتقاء الآخر على قفاه وبهذه السجدة ترجح ميزان أهل الأعراف لأنها سجدة تكليف فيسعدون ويدخلون الجنة ويشرع الحق تعالى في الفصل والحكم بين عباده فيما كان بينهم، وأمَّا ما كان بينهم وبين الله فإن الكرم الإلٰهي قد أسقطه فلا يؤاخذ الله من عباده بذلك ذلك الوقت. فهنيئاً لمن لم يشهد مخاصمة بينه وبين أحد من الخلق ولم يقع له ذنب إلا بينه وبين الله ولن يقع له ذنب مطلقاً ويختلف ذلك باختلاف المشاهد في التوحيد ثم تقع الشفاعة الأولى من محمد ﷺ في كل شافع أن يشفع فيشفع الشافعون، ويقبل الله تعالى من شفاعتهم ما شاء ويرد من شفاعتهم ما شاء وقد بسط الله الرحمة في قلوب الشفعاء في ذلك اليوم ومن رد الله شفاعته من الشافعين فليس انتقاصاً ولا عدم رحمة بالمشفوع فيه وإنما ذلك إظهاراً للمنة الإلٰهية على عباده فيتولى الله سعادتهم ورفع الشقاوة عنهم. واعلم أن الشافعين في ذلك اليوم واحد وثلاثة فالواحد أرحم الراحمين والثلاثة هم الملائكة والنبييون والمؤمنون؛ يقول الله تعالى في ذلك اليوم: شفعت الملائكة والنبييون والمؤمنون وبقي أرحم

الراحمين فلكل شافع طائفة تخص حضرته فأرحم الراحمين يشفع في الذين لم يعملوا خيراً قط غير توحيدهم لله فقط فهم كصاحب السجلات.

قال: وهؤلاء هم الذين شهدوا مع شهادة الله والملائكة أنه لا إلٰه إلا هو، وأما الملائكة فتشفع فيمن كان على مكارم الأخلاق شفاعتهم تكون على الترتيب وآخرهم شفاعة التسعة عشر فإن الملائكة إذا شفعت لن تشفع هذه التسعة عشر، بل تتأخر إلى أن تنقضي مدة المؤاخذات كلها ويتصفون بالرحمة وذلك عندما يرون أن غضب الله قد ارتفع عن عصاة الموحدين، وأما النبييون فيشفعون في المؤمنين خاصة، والمؤمنون طائفتان مؤمن عن نظر وتحصيل دليل فالشافع فيه النبييون فإن الأنبياء جاءوا بالخير إلى أممهم وذلك هو متعلق بالإيمان ومؤمن مقلد بما أعطاه أبواه أو أهل الدار التي نشأ فيها فالشافع في هذا المؤمنون الذين فوقه في الدرجة بعد أن خلصوا بشفاعة رسول الله فيهم يعني في الشافعين. قال: وصورة شفاعة أرحم الراحمين أن تشفع أسماء الحنان والرحمة واللطف عند الاسم الشديد العقاب والمنتقم والجبار فهي مراتب أسماء الإلٰهية لا شفاعة محققة فيتولى الحق تعالى بنفسه إخراج من شاء من النار إلى الجنة ويملأ الله تعالى جهنم بغضبه وعقابه والجنة برضاه تعالى ورحمته، وقد اختلف الناس في الجنة والنار هل خلقتا الآن أم لا والخلاف مشهور وأقام كل طائفة الدليل على قوله بما رآه حجة عنده.

وأطال الشيخ محيي الدين رحمه الله الكلام على ذلك في الباب الحادي والستين من «الفتوحات» ثم قال: وأما عندنا وعند أصحابنا من أهل الكشف والتعريف فهما مخلوقتان غير مخلوقتين، فأما قولنا غير مخلوقتين فكرجل أراد أن يبني داراً فأقام حيطانها كلها الحاوية عليها خاصة فيقال: قد بنى داراً فإذا دخلها أحد لم ير إلا سوراً دائراً على فضاء وساحة ثم بعد ذلك ينشيء بيوتها على أغراض الساكنين فيها وتفاوت مراتبهم ودرجاتهم أو دركاتهم من قصور وغرف وسراديب ومهالك ومخازن وما ينبغي أن يكون فيها مما يريده الساكن من الآلات التي تستعمل فيها. وأطال في ذلك، ثم قال: فقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، إشارة إلى تعيين

أماكن كل إنسان في الجنة أو النار كما يعلم المهندس جدران البناء بالجص قبل بناء الأساسات ثم يشرع بعد ذلك في بناء السور ثم الدهاليز ثم أشجار الفواكه ثم القصور أو الدركات. قال: فإن كانت الدار هي الجنة بنى سورها من التوحيد، وإن كانت الدار هي النار بنى سورها من الشرك أو الكفر أو النفاق أو التكبر ونحو ذلك على حسب دركات سكانها في طبقاتها فلا ينتهي بناء جنة كل إنسان إلا بآخر أعماله في دار الدنيا فإذا انتهى البناء فما بقي إلا السكنى فيقال له: اخرج إلى دارك فقد كمل بناؤها، فإذا طلعت روحه حبس في البرزخ حتى يتكامل عدد السكان وتنتهي مددهم فينادي المنادي: اخرجوا جميعاً إلى مساكنكم، فمعنى أعدت على هذا التقرير أي أعدت لهم قبل دخولهم لها لا قبل خلقهم وإيجادهم ما عدا السور المتقدم ويؤيد ذلك قوله ﷺ: «من فعل كذا بنى الله له بيتاً في الجنة» فعلق وجود ذلك البيت على فعل ذلك الأمر فدل على أنه لم يكن مبنياً قبل ذلك وكذلك يؤيده أيضاً قوله ﷺ: «إن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وإنها قيعان وغراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» ونحو ذلك.

قال: وأما ما ورد في الصحيح «أن الله عز وجل خلق جنة عدن بيده وشق فيها أنهارها وأدلى فيها ثمارها» فهو صحيح لأن حضرة الحق لا ماضي فيها ولا آتي ولا صباح ولا مساء فهو كقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ١] فله تعالى أن يخبر عن حضرته المذكورة بما شاء لأنها لا تتقيد بزمان كالخلق في مصطلحهم في الألفاظ والله أعلم.

(قلت): ويحتمل أن الله تعالى خلق الجنان على ما شاء من الأوصاف التي تسمى بها جناناً من أشجار وأنهار وأتراب ثم أبقى فيها أماكن خالية قابلة لما يبنى فيها ويغرس من تناهي أفعال المكلفين غير ما ينعم الله تعالى به عليهم لا في مقابلة أفعالهم والله أعلم.

قال الشيخ: واعلم أن خواص المؤمنين ليس لهم بناء من أعمالهم إلا في الجنة، وأما غير الخواص فيبنون بأعمالهم في الجنة تارة وفي النار أخرى على حسب طاعاتهم ومعاصيهم.

وقال الشيخ في الباب التاسع والثمانين ومائتين ما نصه: روينا عن الشيخ أبي مدين إمام الجماعة رضي الله عنه أنه كان يقول: يدخل السعداء الجنة بفضل الله والأشقياء النار بعدل الله وكل منهم ينزل في داره بالأعمال ويخلد فيها بالنيات التي مات مصرّاً عليها بمعنى أنه لو مات وهو مؤمن عازمٌ على ارتكاب ذنب سنة مثلاً خلد في النار قدر سنة أو وهو عازم على عدم التوبة منه إلى أن يموت خلد في النار قدر عمره وكل ذلك إن شاء الله تعالى ثم إن شاء غير ذلك فعفوه أوسع والله تعالى أعلم، غير أن الذي وصل إلى علمنا أطول الناس مكثاً في جهنم من عصاة الموحدين من يمكث نحو خمسين ألف سنة ولعله كان يفرض أنه لو عاش إلى القدر المذكور لبقي على معصيته إلا أن يعتقد أن أحداً يريد منهم على ذلك أبداً لا بنص. قال: وهو كشف صحيح وكلام حر عليه حشمة انتهى.

قال الشيخ محيي الدين رحمه الله: وأصناف أهل الجنة أربع: الأول: الأنبياء والرسل. والثاني: أتباعهم بشرط أن يكونوا على بصيرة وبينةٍ من ربهم وهم الأولياء والعلماء والعاملون. الثالث: المؤمنون أي المصدقون بالأنبياء وبما جاءوا به من الشرائع. الرابع: العلماء بتوحيد الله من أنه لا إلٰه إلا هو بالأدلة العقلية. قال: ومقام كل صنف متميزٌ عن الآخر هناك بالنزول وإن كان نازلاً في الدرجة بالعلو إن كان عالياً ولا حسد بين الأدنى والأعلى هناك بخلاف الدنيا. قال: وإذا وقع التجلي الإلٰهي للرؤية ويكونون جلوساً على مراتبهم فالأنبياء على المنابر والأولياء على الأسرة والعلماء بالله على الكراسي، والمؤمنون المقلدون في توحيدهم على مراتب وذلك الجلوس كله يكون في جنة عدن على الكثيب الأبيض. قال: وأما من كان موحداً من طريق النظر في الأدلة فيكون جالساً على الأرض وإنما نزل على هذا عن الرتبة التي للمقلد في التوحيد لأنه يطرقه الشبه من تعارض الأدلة والمقالات في الله وصفاته فمن كان تقليده جزماً هو أوثق إيماناً ممن يؤخذ توحيده من النظر في دلالة يؤولها. قال: كان ضيافة أهل الجنة زيادة كبد الحوت إذا دخلوها بشرى لأهل الجنة ببقاء الحياة لهم فيها لأن الحوت حيوانٌ بحري مائي من عنصر الحياة المناسب للجنة بخلاف ضيافة أهل النار تكون بطحال

الثور الذي هو بيت الغم ومجمع أوساخ البدن. قال: وخلق الله تعالى الجنة بطالع الأسد الذي هو الأقليد لأنه برج ثابت، فللجنة الدوام وللأسد القهر ولذلك يقول أهلها للشيء كن فلا يتخلف عن التكوين وليس في البروج من له السطوة مثل الأسد. قال: وأما الجنة المعنوية التي هي كالروح للجنة المحسوسة فخلقها الله تعالى من الفرح والسرور والابتهاج فأجسام أهل الجنة تتلذذ بالأمور الجسمانية وأرواحهم تتلذذ بالأمور المعنويات كالروائح والنغمات الطيبة والصور الحسان وغير ذلك. قال: لو كانت الأجسام تتلذذ بالمعاني لكان كل حيوان من البهائم يتلذذ برؤية كل وجهٍ جميل وليس الأمر كذلك فما كل نعيم أهل الجنة إلا بتلذذهم بها حساً ومعنى لأنها دار الحيوان بل نقول: هي أشد تنعماً بأهلها الداخلين فيها كما ورد أنها تقول: «يا رب ائتني بأهلي فقد كثر حليي وعبقرِيي». الحديث.

وقال: الناس في الشوق على أقسام فعصاة المؤمنين يشتاقون إلى الجنة وهي لا تشتاق إليهم وأرباب الأحوال من الأولياء تشتاق إليهم الجنة وهم لا يشتاقون إليها لسكرهم بحلالهم والمكذبون بيوم الدين والقائلون بنفي الجنة المحسوسة لا تشتاق إليهم الجنة ولا يشتاقون إليها.

وقد بسط الشيخ الكلام على أحوال الجنة في الباب الخامس والستين من «الفتوحات»، قال: ومن أعظم النعيم لأهل الجنة تنعمهم بالتمني فما يتوهم أحد منهم نعيماً فوق نعيمه ويتمناه إلا حصل ووجد نفسه فيه بحسب ما توهمه، إن توهمه معنى كان معنى وإن توهمه حساً كان محسوساً فهو تمن محقق لوجود ما يتمناه، قال: وما جاءهم هذا النعيم المقيم والجزاء على مدة طاعاتهم في دار الدنيا إلا من حيث نيتهم الصالحة التي كانوا نووها في دار الدنيا وهو أن أحدهم كان يتمنى أن لو قسم الله تعالى له جميع الطاعات حتى فعلها وداوم عليها مدى الدهر، فلما قصرت به العناية في دار التكليف أعطاه الله تعالى نظير هذا التمني في الجنة فيكون له فيها ما تمناه فلحق بأصحاب تلك الأعمال في الدرجات الأخروية مع راحته في دار الدنيا من التعب كما ورد «أنه من نام على نية أنه يقوم من الليل فأخذ الله بروحه إلى الصباح كتب له قيام ليلة» الحديث بمعناه. قال: ولنا جنة برزخية أشار إليها

القرآن العظيم في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥]. قال: وإنما كانت برزخية لأنها لا هي محسوسة لقوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ [الطور: ٢٠] ولا روحانية كقوله تعالى: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ [القمر: ٥٥] فوصف الله تعالى الجنان على حسب تفاوت عقول الناس. قال: وقد صرح المسيح عليه السلام بما أومأنا إليه من النعيم الروحاني، فقال يوماً للحواريين حين أوصاهم وفرغ من وصيته: فإذا فعلتم ما أمرتكم به كنتم غداً معي في ملكوت السماء عند ربي وربكم وترون الملائكة حول عرشه تعالى يسبحون بحمده ويقدسونه، وأنتم هناك متلذذون بجميع اللذات من غير أكل ولا شرب. قال: وإنما صرح المسيح بذلك ولم يرمزه لأن خطابه كان مع قوم قد هذبتهم التوراة وكتب الأنبياء وكانوا متهيئين لتصورها وقبولها بخلاف نبينا محمد ﷺ فإنه اتفق مبعثه في قوم أميين أهل براري غير مرتاضين بعلوم ولا مقرين ببعث ولا نشور، بل ولا عارفين بنعيم ملوك الدنيا فضلاً عن نعيم ملوك الجنة فلذلك جاء أكثر أوصاف الجنان في كتابهم جثمانية تقريباً لفهم القوم وترغيباً لنفوسهم. قال: ولما كانت أنهار الجنة أربعة أنهار لا غير علمنا قطعاً أن التجلي العلمي لا يقع إلا في أربع صور ماء ولبن وخمر وعسل، فأنهار الماء لأصحاب العلوم التي تدخلها الآراء وأما أنهار اللبن الحليب الذي لم يتغير طعمه لعقده أو مخضه أو تربيته فهي لأصحاب العلم بأسرار الشرع من الأئمة المجتهدين وأما أنهار الخمر فهي للأمناء من أصحاب العلوم الذوقية كعلم الخضر عليه السلام وأما أنهار العسل المصفى فهي لأهل العلم بطريق الوحي والإيمان وصفاء الإلهام.

وأطال الشيخ في ذلك في الباب التاسع والأربعين ومائة، قال: واعلم أن أهل الجنة يعطون في الجنة التكوين، فكل ما خطر له تكوينه كونه أسرع من لمح البصر فلا يزال أهل الجنة خلاقين دائماً بإرادة الله تعالى ذلك لارتفاع الافتقار والذلة هناك، إذ الجنة ليست بمحل لذلك وإنما محله الدنيا أو النار وأطال في ذلك. قال: وفاكهة الجنة كما وصف الله تعالى لا مقطوعة

ولا ممنوعة أي تؤكل من غير قطع فيقطف الإنسان ويأكل من غير قطع فالأكل موجود والعين باقية في غصن الشجرة، وليس المراد بأن الفاكهة غير مقطوعة في شتاء ولا صيف أو يخلق مكان قطعها أخرى على الفور كما فهمه بعضهم، فعين ما يأكله العبد هو عين ما يشهده ونظير ذلك سوق الجنة يظهر فيه صور حسان فإذا نظر أهل الجنان فكل صورة اشتهاها أحدهم دخل فيها فيلبسها ويظهر بها ملكه ولعينه وهو يراها في السوق ما انفصلت ولا فقدت ولو اشتهاها كل من في الجنة دخل فيها وهي على حالها في السوق ما برحت.

ذكره الشيخ في الباب التاسع والتسعين من «الفتوحات»، قال: وأقرب شيء شبهاً بذلك في الدنيا تصور الولي أي وجوده في عدة أماكن وهو ذات واحدة حقيقة في مظاهر متعددة في رأى العين، ويليه بقرب الشبه صورة ما تراه في المرآة المقابلة لك فقد تكون في يدك تفاحة فتراها في المرآة لا تشك أنها صورة ما في يدك إلا أن الأول أشبه والله أعلم.

وقال في الباب الثاني والثمانين وثلثمائة منها: اعلم أن الصور التي في سوق الجنة مباحة فكل من اشتهى صورة دخل فيها وينصرف بها إلى أهله كما ينصرف بالحاجة مشتريها من السوق وقد يرى جماعة صورة واحدة من صور ذلك السوق فيشتهيها كل واحد من تلك الجماعة فيدخلها ويلبسها، فيحوزها كل واحد من تلك الجماعة ومن لا يشتهيها بعينها واقف ينظر إلى كل واحد من تلك الجماعة قد دخل في تلك الصورة وانصرف بها إلى أهله والصورة كما هي في السوق ما خرجت منه ولا يعلم حقيقة هذا الأمر إلا من أطلعه الله من طريق كشفه على نشأة الدار الآخرة والله أعلم. قال: والذي أعطاه الكشف الصحيح أن أجسام أهل الجنة تنطوي في أرواحهم فتكون الأرواح ظروفاً للأجسام عكس ما كانت في الدنيا فيكون الظهور والحكم في الدار الآخرة للروح لا للجسم، قال: ولهذا يتحولون في أي صورة شاءوا كما هم اليوم عندنا الملائكة وعالم الأرواح. وقال: وتجوهر أبدان أهل الجنة بحسب صفاء أعمالهم الصالحة في دار الدنيا من الشوائب فكل من كان أكثر إخلاصاً في علمه وعمله كان بدنه أشف وأنور. قال: وإذا اشتهى أهل الجنة التناسل حصل، فيجامع الرجل زوجته الآدمية أو الحوراء فيوجد الله

تعالى عن كل دفعة ولداً وذلك لأن الله تعالى قد جعل هذا النوع الإنساني غير متناهي الأشخاص لشرفه عنده. قال: ولذة الجماع هناك تضاعف على لذة جماع أهل الدنيا أضعافاً مضاعفة فيجد كل من الرجل والمرأة لذةً لا يقدر قدرها لو وجداها في الدنيا غشي عليهما من شدة حلاوتها ولكن تلك اللذة إنما تكون بخروج ريح إذ لا منيّ هناك كالدنيا كما صرحت به الأحاديث فيخرج من كل من الزوجين ريح مثيرة كرائحة المسك فيلقيان في الرحم فيتكون من حينه فيها ولد وتكمل نشأته ما بين الدفعتين فيخرج ولداً مصوراً مع النفس الخارج من المرأة ولا يزال هذا الأمر لهم دائماً كلما شاءوا. قال: ويشاهد هذان الأبوان كل من تولد عنهما من ذلك النكاح في كل دفعة ثم إن الأولاد يذهبون فلا يعودون إليهم أبداً كالملائكة المتطورين من أنفاس بني آدم في دار الدنيا لا يعودون إليهم، كالملائكة السبعين ألفاً الذين يدخلون البيت المعمور كل يوم. قال: ولا حظَّ لهؤلاء الأولاد في النعيم المحسوس ولا المعنوي إنما نعيمهم برزخي كنعيم صاحب الرؤيا. وقال: وقد يقع مثل ذلك لبعض الأولياء في دار الدنيا فينكح الولي من حيث روحه زوجته من حيث روحها فيتولد بينهما أولاد روحانيون بأجسام وصور محسوسات، قال: وقد وقع لنا ذلك مرات. وأطال في ذلك في الباب التاسع والستين وثلثمائة.

(قلت): وليس لأهل الجنة أدبار مطلقاً لأن الدبر إنما خلق في الدنيا مخرجاً للغائط ولا غائط هناك ولو أن ذكر الرجل أو فرج المرأة يحتاج إليه في جماعهم وفي ولادتها إن وقعت لما كان وجد في الجنة فرج لعدم البول فيها والله أعلم.

قال: ونعيم أهل الجنة مطلقٌ والراحة فيها مطلقة إلا راحة النوم فليس عندهم من نعيم راحته شيء لأنهم ينامون ولا يعرف شيء إلا بذوق ضده. وقال: وأما أهل النار فينامون في أوقات ببركة محمد ﷺ وذلك هو القدر الذي ينالهم من النعيم ونسأل الله العافية آمين. قال الشيخ محيي الدين: وهذا يدلك على أن النار محسوسة بلا شك كما أشار إليه قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا﴾ [الإسراء: ٩٧] فإن النار ما تتصف بهذا الوصف إلا من

كون قيامها بالأجسام لأن حقيقة النار لا تقبل هذا الوصف من حيث ذاتها ولا تقبل الزيادة، وإنما الجسم المحرق بالنار هو الذي يسجر بالنار، ذكره في آخر الباب الخامس والستين من «الفتوحات». قال: واعلم أن عدد الجنات من حيث المراتب ثلاثة: جنة اختصاص وجنة ميراث وجنة أعمال ولكل واحدة منها أهل كما ذكره الشيخ في الباب السابع والسبعين ومائتين من «الفتوحات». فأهل جنة الاختصاص الأنبياء والأطفال والمجانين أهل التوحيد العلمي ومن لم تبلغه دعوة نبي، وسميت بجنة الاختصاص لأنها لم تكن عن عمل سابق، وأهل جنة الميراث هم كل من دخل الجنة ممن ذكرنا ومن المؤمنين وهي الأماكن التي كانت معينة لأهل النار لو دخلوها كما ورد أنه يقال للمؤمن: «هذا مكانك من النار قد أبدلك الله به مكاناً من الجنة» وسبب وقوع هذا القول للمؤمن أن الوجود كله يطلب الإنسان وليس بعض الوجود في حقه أولى من بعض فإذا أمر الله بعبده إلى الجنة بفضله وكرمه بقيت نسبته من النار تستدعي حظها وملأها وكذلك من يدخل النار تبقى نسبته في الجنة تستدعي حظها وملأها فيقال له: انظر مكانك في الجنة، لو كنت آمنت بالله تعالى لدخلتها فيزداد حسرة وندامة.

قال: وأما أهل جنة الأعمال فهم أهل الأعمال الصالحة، فمن لم يكن له عمل صالح في دار الدنيا لا يكون له في جنة الأعمال نصيب، لأن الناس إنما ينزلون فيها بأعمالهم فقط، قال تعالى في هذه الجنة ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]. وقال: ﴿تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣] . قال: وهذه الجنة مشتملة على بضع وسبعين جنة على عدد شعب الإيمان لا يزيد على عددها ولا تنقص، والبضع من الواحد إلى التسع فمن جمع شعب الإيمان كلها فهو الذي يتبوأ من الجنة حيث يشاء. قال: وصورة مجاورة الجنان الثمانية لبعضها بعضاً دوائر ثمانية جنة في قلب جنة، أعلاها عدن وهي قصبة الجنة بمنزلة دار الملك يدور عليها ثمانية أسوار بين كل سورين جنة، ويلي جنة عدن في العلو والفضل جنة الفردوس ثم جنة الخلد ثم جنة النعيم ثم جنة المأوى ثم دار السلام ثم دار المقامة. قال: وكل جنة يصدق عليها اسم أخواتها، فجنة النعيم جنة خلد ودار سلام وجنة

مأوى ودار مقامة وهكذا. قال: والوسيلة الخاصة برسول الله ﷺ في أعلى جنة عدن تسمى فيها دار المقامة. قال: ولسائر الجنان اتصال بهذه الوسيلة ليتنعموا بشهوة طلعة صاحبها ﷺ ويتفرع منها سائر الجثاب، فلها شعبة في كل جنة ومن تلك الشعبة يظهر محمد ﷺ لأهل تلك الجنة فهي في كل جنة أعظم منزلة تكون فيها.

قال الشيخ في الباب السادس والتسعين ومائتين: ودرجات الجنة على عدد دركات النار، لأنه ما من درجة إلا ويقابلها درك من النار حتى أنه تعالى لما قال في أهل الجنة ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] ، قال في أهل النار: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨] إلا أنه ليس في النار دركة اختصاص كما سيأتي، وإيضاح ذلك أن الأمر والنهي لا يخلو العبد إما أن يعمل بهما أو لا يعمل، فإن عمل بالأمر كانت له درجة في الجنة معينة لذلك العمل خاصة، وفي موازنة هذه الدرجة المخصوصة لهذا العمل الخاص إذا تركه الإنسان درك في النار لو سقطت حصاة من تلك الدرجة في الجنة لوقعت على خط استواء في ذلك الدرك من النار، فإذا سقط الإنسان من العمل بما أمر فلم يعمل كان ذلك الترك لذلك العمل عين سقوطه إلى ذلك الدرك.

قال: واعلم أن الأعراف هو درج العمل بالأمر والنهي ودرك ترك العمل بهما فما منع صاحب الأعراف من النزول إلى درك تلك الأعمال السيئة إلا التوحيد وأطال في ذلك. ثم قال: واعلم أن محمداً ﷺ ملء الجنان، فلا ولي يتنعم بجنته إلا وهو ﷺ متنعم بنعمته مشاركٌ له فيها لأن الولي ما وصل إلى ذلك إلا باتباعه له ﷺ فلهذا كان سر النبوة قائماً به في تنعمه وهو معنى قوله ﷺ: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها» فله ﷺ أجر جميع الأنبياء من تبعهم لكونه نبي الأنبياء، لكل نبي أجر من تبعه من غير أن ينقص من أجرهم شيء. وقال: وأما منزلته ﷺ يوم الزور الأعظم على يمين العرش، ومنزلته يوم القيامة بين يدي الحكم العدل من حضرات الأسماء الإلٰهية لتنفيذ الأوامر الإلٰهية، فكل أهل موقف يأخذون عنه في ذلك الموطن لأنه وجهٌ كله يرى من جميع جهاته وله من كل جانب أعلام من الله تعالى يفهم عنه ما يريد على لسان ملك بصوت وحرف لكمال

النعيم والأنس، وأما شجرة طوبى فهي في منزل الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهي حجاب مظهر نور فاطمة الزهراء رضي الله عنها، فما من جنة ولا درجة ولا بيت ولا مكان إلا وفيه فرع من شجرة طوبى وذلك ليكون سر كل نعيم في كل جنة، ونصيب كل ولي فيها من نور فاطمة رضي الله عنها في حجاب ذلك الفرع.

وأطال الشيخ في ذلك في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة، وقال: فشجرة طوبى لجميع شجر الجنات كلها كآدم لما ظهر فيه من البنين، وذلك أن الله تعالى لما غرس شجرة طوبى بيده ونفخ الروح زينها بثمر الحلى والحلل اللذين هما زينة لكل لابس، فنحن على التحقيق أرضها كما قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ [الكهف: ٧] وأعطت من حقيقتها ثمار الجنة عين ما هي عليه، كما أعطت النواة النخلة وما تحمله مع النوى الذي في ثمرها انتهى.

قال: واعلم أن جميع التفاضل الواقع في النعيم بين الأنبياء إنما هو من حيث جنة الاختصاص، وأما جنة الأعمال فهم فيها متساوون من حيث أن كل عامل لخير له جنةٌ جزاء عمله ويقع التفاضل بحسب المشاهد في الأعمال وقوة الاستعداد وضعفه. وقال: وأما الطائفة الذين يعطيهم الله تعالى في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فهم أهل التوحيد في الأفعال الذين يشهدون أعمالهم خلقاً لله لا لهم حال مباشرة الأعمال فيفعلونها امتثالاً لأمر الله من غير أن يعينوا لهم في أنفسهم جزاء فكان جزاؤهم غير محدود، وذلك لأن عيونهم لم تر عملهم وآذانهم لم تسمع به ولم تخطر أعمالهم على قلب بشر من غيرهم أو منهم لتجردهم عنها لله وحده ما عدا نسبة التكليف. قال: ويعرف أهل الجنة فيها الليل والنهار بالكشف والرؤية والمقادير التي في الفلك الأطلس المعبر عنها بالبروج، فيعلمون بذلك حد ما كان عليهم في دار الدنيا مما يسمى بكرةً وعشياً وكان لهم في هذا الزمان في الدنيا حالة تسمى الغذاء والعشاء فيتذكرونها هنالك فيأتيهم الله تعالى برزق خاص في ذلك الوقت الخاص فلذلك قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢] إذ لا شمس

هناك ولا قمر. قال: ومعنى قوله تعالى في الجنة ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرعد: ٣٥] أن الأكل لا ينقطع عنهم متى اشتهوه، ولا أنهم يأكلون دائماً فالدوام في الأكل هو عين التنعيم بما يكون به الغذاء للجسم، فإذا أكل الإنسان حتى شبع فليس ذلك بغذاء ولا بأكل على الحقيقة وإنما هو كالجابي الجامع للمال في خزانته، والمعدة جامعة لما جمعه هذا الآكل من الأطعمة والأشربة فإذا اختزن ذلك في معدته ورفع يده فحينئذ تتولاها الطبيعة بالتدبير وينتقل ذلك الطعام من حال إلى حال، ويغذيه بها في كل نفس فهو لا يزال في غذاء دائم ولولا ذلك لبطلت الحكمة في ترتيب نشأة كل متغذ، ثم إن الخزانة إذا خلت من الأكل حرك الطبع الجابي إلى تحصيل ما يملؤها به وهكذا على الدوام. قال: فهذا معنى قوله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرعد: ٣٥] وأطال الشيخ في ذلك في الباب الثامن والتسعين وثلثمائة فراجعه.

قال: واعلم أن الحركة التي كانت تسير بالشمس ويظهر من أجلها طلوعها وغروبها موجودة في الفلك الأطلس الذي هو سقف الجنة، وجميع الكواكب السيارة في النار كلها سابحة فيها كسباحتها الآن في أفلاكها على حد سواء. قال: ولولا ذلك ما عرف أهل التقويم الآن متى يكون الكسوف، ولا كم يذهب من ضوء الشمس عن أعيننا فلولا المقادير الموضوعة والموازين المحكمة التي قد علمها الله تعالى للمقومين ما علم أحد منهم ذلك. قال: واعلم أن الكثيب الذي في جنة عدن هو مسك أبيض وجنة عدن هي قصبة الجنان وقلعتها وحضرة الملك الخاصة ولا يدخلها غير الخواص إلا بحكم الزيارة. وقال: وفي هذا الكثيب منابر وأسرة وكراسي ومراتب لأنّ أهل الكثيب أربع طوائف: رسل وأنبياء وأولياء ومؤمنون، وكل صنف منها متفاضل وإن اشتركوا في المنابر مثلاً قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] . وقال: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥] وقال: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الأنعام: ١٦٥] يعني الخلق فدخل فيه جميع بني آدم دنيا وآخرة، فإذا أخذ الناس منازلهم في الجنة استدعاهم الحق تعالى إلى رؤيته فيسارعون على قدر مراتبهم ومشيهم هنا في طاعة ربهم، فإن منهم البطيء ومنهم السريع ومنهم المتوسط ويجتمعون في الكثيب

وكل شخص يعرف مرتبته علماً ضرورياً يجري إليها ولا ينزل إلا فيها كما يجري الطفل إلى الثدي لو رام أحدهم أن ينزل في غير مرتبته لما قدر ولو رام أن يتعشق بغير منزلته لما استطاع بل يرى في منزله أنه قد بلغ منتهى أمله وقصده فهو يتعشق بما هو فيه من النعيم تعشقاً طبيعياً ذاتياً ولولا ذلك لكانت دار ألم وتنغيصٍ ولم تكن جنة ولا دار نعيم، غير أن الأعلى له نعيم بما هو فيه في منزلته وعنده نعيم الأدنى. قال: وأدنى الناس منزلة مع أنه ليس هناك أدنى من لا نعيم له إلا بمنزلة خاصة، وأعلاهم الذي لا أعلى منه من له نعيم بالكل، فعلم أن كل شخص نعيمه مقصور عليه فما أعجب هذا الحكم، ثم إذا نزل الناس في الكثيب للرؤية وتجلى الحق تعالى تجلياً عاماً كان التجلي واحداً من حيث العين وكثيراً من حيث اختلاف الصورة، فإذا رأوه انصبغوا عن آخرهم بنور ذلك التجلي فمن علمه في كل معتقد شرعي فله كل معتقد من علمه في اعتقاد خاص لم يكن سوى نور صورة ذلك المعتقد. قال: واعلم أن الخلق في حال الرؤية لا بد أن يفنوا عنهم، فلم يقع لهم لذة في زمان رؤيتهم فإن اللذة عند أول التجلي حكم سلطانها عليهم فأفنتهم عنها وعن أنفسهم فهم في اللذة في حال فناء لعظيم سلطانها؛ قال: وهذا ذوق غريب لا يعرفه إلا من ذاقه لا يقدر على إنكاره من نفسه. قال: وإذا وقع لأهل الجنة رؤية الله عز وجل كان الناس فيها على أقسام: فمنهم من يرى ربه بباصر العين ومنهم من يراه بكلها، ومنهم من يراه بجميع وجهه ومنهم من يراه بجميع جسده وهذه تكون للأنبياء وكمل ورثتهم بحكم التبع لهم.

وقال: وليس بين الخلق وبين ربهم هناك إلا حجاب العظمة لا غير؛ وهو أنهم يرونه بقدر وسعهم وطاقتهم لا غير من غير إحاطة، فقصورهم عن الإحاطة هو حجاب العظمة. قال: وتشبيهه ﷺ رؤيتنا لله تعالى برؤيتنا للشمس والقمر ليس المراد بها رؤيتنا لهما حال ضوئهما، وإنما المراد رؤيتنا لهما حال كسوفهما لأن البصر عند ذلك يدرك ذات الشمس والقمر التي لا تقبل الزيادة النورية ولا النقصان فهذا هو الإدراك المحقق لذات الشمس، ولذلك لما قيل له ﷺ أرأيت ربك يا رسول؟ الله فقال: نور أنّى أراه؟ يعني: كيف أراه ونوره شعشعاني يخطف الأبصار لأنه ليس من جنس النور المخلوق

بالتشبيه من حيث إدراك الذات ليكمل به النعيم لا من حيث الإحاطة فتحيط بالحق تعالى كما تحيط بالشمس والقمر حال الكسوف وغيره فافهم. ثم قال: فعلم أن نور الرب الذي يقع فيه التجلي يوم القيامة وفي الجنة لا شعاع له فلا يتعدى ضوؤه نفسه وذلك ليدركه البصر وهو في غاية الوضوح.

قال: وأقسام الناظرين إلى الحق تعالى لا تنحصر، إذ الرؤية تابعة لاعتقادهم في دار الدنيا سعة وضيقاً إجلالاً وتعظيماً وذلك ليجني كل أحد ثمرة اعتقاده، فمنهم من حظه النظر إلى ربه لذة عقلية ومنهم من حظه لذة نفسية ومنهم من حظه لذة حسية ومنهم من حظه لذة خيالية ومنهم من حظه لذة مكيفة، ومنهم من حظه لذة غير مكيفة ومنهم من حظه لذة ينقال تكييفها ومنهم من حظه لذة لا ينقال تكييفها وهكذا، فهم درجات عند الله كما كانوا في الدنيا والفطر مختلفة من أصل المزاج الذي ركبها الله عز وجل عليه. قال: وهذا هو السبب في اختلاف نظر الخلق بأفكارهم في المعقولات فحظ هؤلاء في لذة النظر مثل ما تخيل إليهم في نظرهم سواء.

قال: واعلم أن خواص الأولياء والعلماء لا ينظرون ربهم إلا في مرآة نبيهم ﷺ لكونها أكمل المرايا إذ هي حاوية لجميع المرايا. قال: وغير الخواص من الأولياء والعلماء ينظرون في مرايا من هم على أقدامهم من الأنبياء السابقين وذلك لأن تجليه تعالى في معارف قلوب الأنبياء أتم وأكمل من تجليه في قلوب غيرهم، لا سيما في باب الإيمان بما جاءت به الرسل من الصفات التي تخيلها العقول فالكامل من لا يطأ مكاناً لا يرى فيه قدم الاتباع لنبيه ﷺ أبداً. قال: ومن الأولياء من يطلعه الله تعالى على مستند كل معتقد فهذا يشارك الكل في نعيم الرؤية، فما أعظمها من لذة ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

قال الشيخ رحمه الله: وأما النار أعاذنا الله منها، فاعلم يا أخي أن الله تعالى خلقها من تجلي قوله تعالى في الحديث القدسي: «جعت فلم تطعمني وظمئت فلم تسقني» الحديث. وهذا من أعظم تنزل تنزل الحق تعالى به لعباده لطفاً بهم ورحمة، فمن هذه الصفة خلقت النار ولذلك تجبرت على الجبارين وقصمت المتكبرين. قال: واعلم أن عذاب أهل النار إنما هو بما

يكون في النار لا بنفس النار إذ النار إنما هي دار سجن أهلها وسكناهم لا غير وإنما عذاب أهلها بما يخلقه الله تعالى فيهم من الآلام متى شاء، فعذابهم حقيقة من الله تعالى وهم محل له، قال: ونضج الجلود في جهنم ليس عن النار حقيقة وإنما هو متولد بين النار وأهلها نشأ من مجاورتهما لأن نفس جمرات النار محرقة بالنار فما هي النار انظر وتأمل. وقال: وما في النار من الزمهرير هو أحد أركان النار لأن الحقائق لا تتبدل وقد خاطب الله تعالى النار بقوله: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] فلولا أن من حقيقتها البرد ما بردت فالنار تقبل البرد كما تقبل الحرارة سواء.

قلت: وهذا المحل يحتاج إلى تأمل وتحرير، وقد أطال الشيخ الكلام على النار في الباب الحادي والستين والباب الثاني والستين من «الفتوحات»، والله أعلم.

قال: واعلم أن النار لا تحرق من عصاة الموحدين إلا جوارحهم الظاهرة فقط لأن إيمانهم يمنع من تخلصها إلى قلوبهم، فانظر يا أخي عناية التوحيد بأهله كيف أمات جوارح جسده حتى لا تحس بالنار فهم كالنائم سواء حتى تأتيهم الشفاعة فإذا بعثهم الله من تلك النومة وجدوا إيمانهم على باب النار ينتظرهم فإذا غمسوا في نهر الحياة الذي على باب الجنة دخلوا الجنة، فلا يبقى في النار من علم أن الله إله واحد جملة واحدة، قال: ومحل ظهور سلطان الغضب في جهنم إنما هو إذا دخل أهلها إليها، أما إذا لم يكن فيها أحد فلا ألم فيها في نفسها ولا في نفس ملائكتها بل هي ومن فيها منهم متنعمون متلذذون يسبحون الله لا يفترون. قال: وإنما احتاجت النار إلى جرها بالسلاسل كما ورد لغلبة الرحمة منها على الموحدين فتقول: أتسلل شيئاً فشيئاً لعل الله تعالى أن يتطاول بالرحمة على عباده كما هو شأن بطانة الخير عند الملك، فإذا حق الغضب الإلهي على قوم غضبت لغضب الحق كما أنه ﷺ يقول: سحقاً سحقاً لمن أخذ بهم ذات الشمال من أمته حين يقال له: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك بعد أن كان قال: أمتي أمتي أول ما رآهم وهم يسحبون إلى النار. وقال في موضع آخر: إنما امتنعت جهنم من الإتيان بسرعة واحتاجت إلى جرها بالسلاسل للرحمة القائمة بها

على من تنتقم منه وذلك لأنها ما فتحت عليها من حين خلقت إلا على مسبح لله بحمده، لا نعرف ما هي الأحكام التي استحق بها المكلف النار إلا أن تعلم ذلك بإعلام من الله تعالى، فإذا جيء بها وأمرت بالانتقام من الجبابرة والعصاة جذبت إليها أهلها بالخاصية جذب المغناطيس للحديد، وذلك لأن الشهوات والأفعال المحرمة كانت تجذبهم إلى النار ورسول الله ﷺ آخذ بحجزهم عنها وهم يتفلتون من يده، قال: وقد أوجد الله تعالى جهنم بطالع الثور ولذلك كان صورتها الجاموس، وكان طعام أهلها إذا دخلوها طحال الثور الذي هو بيت الدم والأوساخ ومحل يجتمع فيه الدم الفاسد إذ الثور حيوان ترابي طبعه البرد واليبس، فناسب ذلك أهل النار أشد مناسبة فيما فيه من الدمية، لا يموت أهل النار بما فيه من أوساخ البدن والدم الفاسد المؤلم لا يحيون ولا ينعمون، بل كلما أكلوا من ذلك ازدادوا مرضاً وسقماً.

قال: واعلم أن محل النار وما تحت مقعر أرض الجنة الذي هو سقف النار وبهذه النار يكون صلاح ما في الجنة من المأكولات والفواكه كما تؤثر الشمس النضج في فواكه أهل الدنيا والشمس والقمر والنجوم كلها في النار تفعل في الأشياء هنالك النضج في العلو، كما كانت تفعل النضج هنا في السفل، وكما هو الأمر هنا كذلك ينتقل الأمر هناك بالمعنى وإن اختلفت الصور والأحكام. ألا ترى أن أرض الجنة مسك وهو حار بالطبع لما فيه من النارية وأشجار الجنة مغروسة في تلك التربة المسكية، فالمسك هناك بمثابة الزبل هنا في تعفين الأرض لتصيب الثمار كما ذكره الشيخ في الباب السادس والثمانين. قال: واعلم أن جميع الكواكب التي في جهنم مظلمة الأنوار لا نور لها فالقمر والشمس يطلعان ويغربان في النار لكن بلا نور فصورة الكواكب فيها كصورة الكسوف التام عندنا، فشمس جهنم شارقة لا مشرقة. قال: وإنما لم يكن أهل النار يشهدون نور الكواكب لما في الدخان من الكدورة، وكما كانوا في الدنيا عمياً عن إدراك ما جاءت به الشرائع من الحق كذلك صاروا عمياً في النار عن إدراك الأنوار، فليل أهل النار لا صباح له كما أن نهار أهل الجنة لا ليل له، قال: ولا يزال هذا الأمر للفريقين أبد

الآبدين، ولذلك سمى الله تعالى يوم القيامة باليوم العقيم لأنه لا يوم بعده. قال: هو يوم السبت لأن القيامة تقوم يوم الجمعة وما يجيء وقت الضحى من يوم السبت حتى يقع جميع ما في يوم القيامة من الحساب وتعمر الداران بأهلهما من ذلك الوقت، وتغلق جهنم على أهلها غلقاً لا فتح بعده وترى الخلق والشياطين فيها كقطع اللحم في القدر إذا أوقدت تحته نار قوية نسأل الله العافية.

(قلت): وتمام استقرار أهل كلٍّ من الدارين فيها قبل انتهاء ضحى ذلك اليوم على ما سيأتي في إنهاء الكتاب عند قول الشيخ: وينقضي بيوم القيامة جميع ما فيه من المؤاخذات.

قال: واعلم أن الفلك المكوكب مخلوقٌ في جوف الفلك الأطلس وما بينهما من خلق الجنات بما فيها، فهذا الفلك أرضها والأطلس سماؤها. قال: ومقعر فلك الكواكب هو الدار الدنيا ومن هناك إلى ما تحته يكون استحالة جميع ما تراه إلى الآخرة، فينتقل من ينتقل من الدنيا إلى الجنة من إنسان وغير إنسان وما بقي بعد ذلك فهو في النار. ذكره في الباب الحادي والسبعين وثلثمائة، فعلم أن حد النار من مقعر فلك الكواكب الثابتة إلى أسفل سافلين وذلك بعد فراغ الناس من الحساب. قال: واعلم أن أهل النار الذين لا يخرجون منها أربع طوائف: المتكبرون والمعطلة والمنافقون والمشركون ويجمعها كلها المجرمون؛ قال تعالى: ﴿وَامْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩] أي المستحقون لأن يكونوا أهلاً لسكنى النار فهؤلاء الأربع طوائف هم الذين لا يخرجون من النار من إنس وجن. قال: وإنما جاء تقسيمهم إلى أربع طوائف من غير زيادة لأن الله تعالى ذكر عن إبليس أنه يأتينا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ولا يدخل أحد النار إلا بواسطته، فهو يأتي للمشرك من بين يديه ويأتي للمتكبر من عن يمينه ويأتي المنافق من عن شماله ويأتي للمعطل من خلفه. قال: وإنما جاء للمشرك من بين يديه لأن المشرك رأى بين يديه جهة غيبته فأثبت وجود الله ولم يقدر على إنكاره فجعله إبليس يشرك بالله في ألوهيته شيئاً يراه ويشاهده، وإنما جاء للمتكبر من جهة اليمين لأن اليمين محل القوة فلذلك تكبر لقوته

التي أحس بها من نفسه، وإنما جاء للمنافق من جهة شماله الذي هو الجانب الأضعف لكون المنافق أضعف الطوائف كما أن الشمال أضعف من اليمين، ولذلك كان في الدرك الأسفل من النار ويعطى كتابه بشماله. قال: وإنما جاء للمعطل من خلفه لأن الخلف ما هو محل نظر، فقال له: ما ثم شيء، قال: فهذه أربع مراتب لأربع طوائف ولهم من كل باب من أبواب جهنم ﴿جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤]، قال: وهي منازل عذابهم، فإذا ضربت الأربعة التي هي المراتب في السبعة أبواب كان الخارج ثمانية وعشرين منزلاً عدد منازل القمر وغيره من الكواكب السيارة. قال: وكان مما ظهر من تسيير هذه الكواكب السيارة وجود ثمانية وعشرين حرفاً، منها ألف الله تعالى الكلمات وظهر بها الكفر والإيمان في العالم فترجم بها كل شخص عما في نفسه من إيمان وكفر وكذب وصدق لتقوم حجة الله على عباده ظاهراً بما تلفظوا به. قال: وإنما كان لجهنم سبعة أبواب لأن أبواب الجنة كذلك سبعة، وأما الباب الثامن فخاص بجنة الرؤية وهو الباب المغلق في النار، ويسمى باب الجحيم فلا يفتح أبداً، قال: وإنما كان الأمر كما ذكرنا لأن صورة هذه الأبواب صورة الباب الذي إذا انفتح انسد به موضع آخر فعين غلقه لمنزل فتحه منزلاً آخر، فأبواب النار إذا غلقت عين فتح أبواب الجنة.

(قلت): وأهل كل باب مبينون، ففي القرآن فأهل جهنم هم الذين كفروا بربهم، وأهل السعير هم الشياطين وأهل لظى هم كل من أدبر وتولى وجمع فأوعى، وأهل سَقَر هُمْ كل من لم يصل ولم يطعم المسكين وخاض مع الخائضين وكذب بيوم الدين، وأهل الجحيم كل همّاز مشاء بنميم منّاع للخير معتد أثيم إذا تتلى عليه آيات الله قال: أساطير الأولين، وأهل الحطمة هم كل همازٍ لمازٍ جماعٍ للمال يحسب أن ماله أخلده، وأهل الهاوية هم كل من خفت موازينه والله أعلم.

قال: وإذا دخل إبليس النار يكون ملأها، فإنه لا يعذب أحد فيها إلا وإبليس سبب تعذيبه ومشارك له فيه؛ قال ﷺ: «ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها» فبهذا الاعتبار كان ملء النار بحقيقته فإنه ما دخل أحد النار إلا لموافقته له. قال: وهذا سر كون مستقره في النار في الطابقة

الرابعة فليس هو تخفيفاً عنه بالنسبة للدركات السفلية وإنما ذلك للإحاطة والشمول. قال: ويكون عذابه في النار تارة بالزمهرير المضاد لنشأته، وتارة بالنار. قال: ونظير ذلك الجسم الحساس يكون حياته بخروج النفس، فإذا منع بالشنق أو الخنق انعكس راجعاً إلى القلب فأحرقه فمات، وأهل النار من الجن هم الكفار لا غير لأنه ليس في الجن مشرك ولا معطل ولا منافق ولهذا قال الله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ﴾ [الحشر: ١٦] الآية. فألحق الله تعالى الشيطان بالكفار ولم يلحقه بالمشركين، وإن كان هو الذي يوسوس للإنس بالشرك حتى يشركوا، فكل مشرك كافر وليس كل كافر مشركاً، أما كفر المشرك فلعدوله عن أحدية الإلٰه الحق ليسترها عن النظر في الأدلة والآيات وتعيينها في عيسى مثلاً وأما شركه فباتخاذه مع الله إلٰهاً آخر ويلحق به من آمن ببعض وكفر ببعض وتأمل قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢] ما قال: لقد أشرك لأنه لم يجعل مع الله إلٰهاً آخر انتهى، فليحرر هذا المحل فإنه دقيق.

قال: واعلم أن أهل النار يتزاورون لكن على حالة مخصوصة وهي أن لا يتزاور إلا أهل كل طبقة مع طبقته كالمحرور يزور المحرورين والمقرور يزور المقرورين فلا يزور مقرور محروراً وعكسه بخلاف أهل الجنة للإطلاق والسراح الذي لأهلها المشاكل للنعيم ضد ما لأهل النار من الضيق والتقييد. وقال: اعلم أنه ليس في النار من دركة اختصاص كما في الجنة لأن الناس إنما يعذبون في النار بأعمالهم لا غير وما أخبرنا الحق تعالى قط أنه يختص بنقمته من يشاء أبداً فما نزل من نزل النار إلا بأعماله فقط. قال: ولهذا يبقى فيها أماكن خالية فيخلق الله تعالى لها خلقاً يعمرونها وهو قوله تعالى: فيضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط أي حسبي حسبي. قال: وإنما دخل زيادة العذاب على الطائفة التي قال الله تعالى فيهم: ﴿زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨] من جهة أنهم أضلوا غيرهم وأدخلوا عليهم الشبه فالزيادة المذكورة خاصة بالأئمة المضلين وإضلالهم من أعمالهم حقيقة فما ثم زيادة إلا من هذه الحيثية فافهم. قال: وأشد العذاب على أهل النار ما يقع في

بواطنهم من التوهمات، فإنهم لا يتوهمون قط عذاباً أشد مما هم فيه إلا تكون في نفوسهم لوقته وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧﴾ [الهمزة: ٦ ـ ٧]. قال: واعلم أن أطول الناس مكثاً في جهنم من عصاة الموحدين هو من يمكث فيها نحواً من خمسين ألف سنة ثم يخرج منها بالشفاعة، قال: وإنما قلنا نحواً من خمسين ولم نقل خمسين لأنا لسنا من كمال الخمسين على يقين وإنما استروحنا إلى ما قلناه من قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] والمقدار إنما يكون تقريباً ولا يقطع بتحديده. قال: وينقضي بيوم القيامة جميع ما فيه من المؤاخذات لعصاة الموحدين فلا يبقى في النار بعد ذلك اليوم أحد ممن وحد الله تعالى ولو مرة في عمره ومات على ذلك فيوم القيامة متصل بيوم الدنيا وليس بينهما إلا ليل البرزخ وفي فجر هذه الليلة تكون نفخة البعث وفي طلوع شمس يومه يكون إتيان الحق تعالى للفصل والقضاء كما يليق بجلاله وفي قدر ركعتي الإشراق ينقضي الحكم وتعمر الداران بأهلهما كما مر فكل منهم خالد فيما هو فيه. قال: وليس عند أهل النار الذين هم أهلها نوم وإنما يكون النوم فيها لعصاة الموحدين فقط وهذا القدر الذي يتنعمون به في النار ويستريحون فمنهم من ينام الألف سنة ومنهم من ينام الأحد عشر ألفاً ومنهم إلى قريب الخمسين ألف سنة على ما مر، قال: وذلك من رحمة الله بعصاة الموحدين، قال: فعلم أن أهل النار الذين هم أهلها لا ينامون لقوله تعالى: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٥] يعني العذاب: ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ ذكره في الباب العشرين من «الفتوحات»، قال: وإذا نام عصاة الموحدين يكون نعيمهم في منامهم بالرؤية الحسنة فيرى نفسه مثلاً أنه خرج من النار وصار في فرح وسرور وأكل وشرب وجماع، ثم إذا استيقظ لا يرى شيئاً كما يرى أهل الدنيا ذلك في منامهم سواء. قال: ومنهم والعياذ بالله من يرى نفسه في منامه ذلك في بؤس وضر وعقوبات وفراش من شوك ونحو ذلك نسأل الله العافية.

قلت: فقد كذب والله وافترى من نقل عن الشيخ محيي الدين أنه كان يقول: إن أهل النار يتلذذون بدخولهم النار وأنهم لو أخرجوا منها تعذبوا

بذلك الخروج وإن وجد نحو ذلك في شيء من كتبه فهو مدسوس عليه، فإني مررت على كتابه «الفتوحات المكية» جميعه فرأيته مشحوناً بالكلام على عذاب أهل النار وهذا الكتاب من أعظم كتبه وآخرها تأليفاً، وأنا أسأل بالله العظيم كل ناظر في هذه الخاتمة إذا وجد دليلاً لكلام الشيخ من الكتاب أو السنة فليلحقه بموضعه أو دليلاً على ضد كلامه فليكتبه كذلك في موضعه فإن كلام أهل الكشف لا يتمشى كله على ظاهر النقول، على أن أكثر اختلاف أهل النقل وأهل الكشف إنما هو في الكيفيات والعلل، وأما الأحكام فلا خلاف عندهم فيها إذ الكشف الصحيح لا يجيء قط إلا مؤيداً للشريعة ولا يقبل من صاحبها إن قدر مخالفته لها. واعلم يا أخي أني لم أذكر عن الشيخ رحمه الله في هذه الخاتمة إلا بعض الأمور التي تحتملها العقول وأما ما لا تحتمله العقول فتركناه حتى يشاهده أهل الجنة إذا دخلوها وأهل النار إذا دخلوها والحمد لله رب العالمين.

والحمد لله الذي هدانا إلى هذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وقد جاء بحمد الله تعالى كتابنا نفيساً يخضع له عنق كل مصنف ترك التعصيب والحمية للنفس، فإن الشيخ رضي الله عنه كان من أكبر الوارثين كما ذكرنا ذلك في خطبة الكتاب، وقد أخبرني شيخ الإسلام الشيخ شهاب الدين الحنبلي الفتوحي رحمه الله بعد أن اطلع عليه وكتب عليه وبعد حلفه بالله عز وجل أنه طول عمره ما مر على خاطره حكم واحد مما فيه ولا مما في «الجواهر والدرر» فرضي الله عن أهل الإنصاف، وأرجو من مدد الله ثم من مدد رسول الله ﷺ أن يكون جميع ما رقمناه بأناملنا منقوشاً في نفوسنا ومحفوظاً في أرواحنا ليكون ذلك وسيلة إلى العمل ببعض ما فيه من الأخلاق المحمدية والآداب الشرعية، ونسأل الله تعالى أن يخلصنا من الدنيا على الرضا والتسليم وأن يخلص أهلها منا بالنظر إلى عوراتنا دون عوراتهم وأن لا يفضحنا بظنوننا ودعوانا ولا بما خفي علمه علينا من عظيم زلاتنا وقبيح إرادتنا ودقيق خطراتنا، وكيف لنا بذلك في هذا الزمان الذي هو محل ظهور العجائب والأحوال الرديئة، وقد استوفينا غالب الأعمال التي أهلك الله بها الأمم السالفة والقرون الماضية وحلت بنا نبأتنا وتحكمت عُمّالنا فينا بأعمالنا،

وقد قرب انشقاق الفجر الأخروي بقوة عسكر الظلم والضلال وقبض العلوم عن العمل بها وفيض الضلال، فلا تختم الدنيا إلا على حثالة كما لا يرتفع في منخل التحليل إلا النخالة؛ وقد وصف بعض أهل المائة السادسة زمانه فقال: قد صارت حكماء أهل زماننا ذباباً وعلماؤنا ذئاباً وقروده فضلاء وفهوده عقلاء وتجاره حوفية وفجاره صوفية وثعالبه زهاداً وثعابينه عباداً وأتقياؤه فصاحاً وأشقياؤه نصاحاً وعقاربه وعاظاً وحيّاته حفاظاً، استغنوا بالفضائح عن النصائح وعن المعارف بالمغارف وعن الطيبة بالغيبة وعن أسرار الغيوب بأشرار العيوب فلا الآيات السماوية تذكرهم ولا الآيات النفسانية تحجبهم. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى من كل خطأ وزلل وقع من جوارحي الظاهرة والباطنة إلى وقتي هذا عدد كل ذرة في الوجود، قال ذلك وكتبه مؤلفه العبد الفقير إلى عفو ربّه ومغفرته ومسامحته عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني عفا الله عنه وعن والديه وعن مشايخه وجميع المسلمين.

وكان الفراغ من تأليفه في يوم الأحد حادي عشر شهر رمضان المعظم قدره سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة من الهجرة الشريفة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً إلى يوم الدين وحسبنا الله ونعم الوكيل، وأنا أستغفر الله العظيم وأتوب إليه من الأقوال والأفعال والحمد لله رب العالمين.